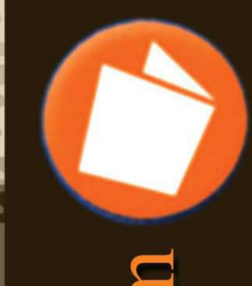


الفكر التربوى للأستاذ الإمام محمد عبده وآلياته فى تطوير التعليم

د. محمد فوزى عبد المقصود

الفكر التربوي للأستاذ الإمام محمد عبده
وآلياته في تطوير التعليم

دكتور

مد فوزي عبد ا قصود

أستاذ أصول التربية- بكلية التربية

جامعة الفيوم

فهرس

الفصل الثامن



﴿علم الإِنْسان ما لَمْ يعْلَمْ﴾

العلق: آية ٥

"إن ا تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"

"حديث شريف رواه أبو داود والحاكم"



الإهـــداء

إلى زوجتي وأبنائي...

اللهم اجعلهم قرة عينـــــــي لــــي

عانت مصر في أواخر حكم إسماعيل من سوء الأحوال المالية والاقتصادية، حيث بلغت ديون مصر في نهاية عهده (٩١) مليون جنيها مما أدي إلي التدخل الأجنبي في شئون مصر الداخلية وانتهي الأمر بعزله سنة ١٨٧٩[١]، وقاسي الشعب المصري من الاستبداد الداخلي الذي وضع مقاليد الحكم في يد الشراكسة وحول الشعب المصري في وطنه إلي مواطنين من الدرجة الثانية لا يستطيعون التصدي للزحف الأجنبي والنهوض بالبلاد كي تدخل فعلا عصر النهضة والبعث والتنوير.[٢]

ونتيجة لذلك انبعثت في مصر اتجاهات إصلاحية كانت تهدف إلي الارتقاء بالبلاد وتجديد حياتها وتحرير طاقتها، غير أنها اختلفت في سبيل تحقيق هذا الهدف، وانقسمت بصدد ذلك إلي اتجاهين.

فهناك الاتجاه الثوري بزعامة "جمال الدين الأفغاني" كان يري أن الأخذ بالحكومة الثورية والحياة النيابية الدستورية هو الوسيلة الأجدي والأفعل في بلوغ هذه الغاية، وأن أساليب النضال والثورة هي الأساليب الناجعة لتحقيق هذا الهدف، وكان من أنصار هذا الاتجاه الحزب الوطني الحر صاحب شعار "مصر للمصريين لا للأتراك والشراكسة" كما سار علي مبادئ هذا الاتجاه ضباط الجيش المصري وقادته الذين قاموا بالثورة العرابية سنة ١٨٨١، وكان لسانهم الناطق عبد ا النديم.[٣]

وبعد احتلال انجلترا لمصر ١٨٨٢، تبني هذا الاتجاه مصطفي كامل وأتباعه من رجال الحزب الوطني حيث كانوا يرون أن الاحتلال هو أصل البلاء، وأن مصر لن تصبح لها نهضة إلا بإجلاء العدو الجاثم علي أرضها، المتحكم في أرزاق أهلها وفي مصائرهم، وأن الجهود يجب أن تنصرف إلي محاربته، فإذا حققت مصر هدفها من الجهاد بإجلائه، فكل شئ بعد ذلك يسير، فالاستقلال لا يتم إلا بأساليب الثورة والنضال.

أما الاتجاه الآخر، فهو الاتجاه الاصلاحي الذي تزعمه الأستاذ الامام محمد عبده، فقد رأي أن النهوض بالأمة يجب أن يتم بأساليب التربية والإصلاح الاجتماعي بدلا من طريق الثورة والنضال، وأنه ينبغي تثقيف الشعب وتنويره قبل أن يطالب بالدستور والحياة النيابية، فلم يتكون في الأمة الرأي العام الذي يجعلها أهلا للحكم الدستوري النيابي، وليس من الحكمة أن تعطي الرعية ما لم تستعد له، فذلك بمثابة تمكين للقاصر من التصرف بماله قبل بلوغه سن الرشد، فمن يريد خير البلاء فلا يسعي إلا في اتقان التربية وبعد ذلك يأتي له جميع ما يطلبه.[٤]

وبرغم اختلاف الامام محمد عبده مع مبادئ الثورة العرابية، إلا أنه بدافع الوطنية وحرصا علي كرامة الأمة القي بكل قواه في الثورة عندما تهددت الأخطار الأجنبية استقلال

مصر بعد ضرب الأسطول الانجليزي لمدينة الإسكندرية، وظل في مكانه من المسئولين والقيادة مع الثوار حتي هزيمة الثورة في سبتمبر ١٨٨٢.[٥]

وعندما عاد إلي مصر من منفاه كان أشد ايمانا بأن القيمة الوحيدة والضرورية والمجدية هي التربية، وأن الأمل الوحيد هو في الفئة المثقفة المستنيرة، وأنه لا سبيل لنهضة مصر وتحريرها من الاحتلال إلا بالسير الطويل في هذا الطريق نحو الغايات.[٦]

وقد اعتنق أفكاره مجموعة من تلاميذه علي رأسهم قاسم أمين وسعد زغلول وأحمد فتحي زغلول وأحمد لطفي السيد ومحمد رشيد رضا وملك حفني ناصف ومصطفي عبد الرازق، حيث كانوا يؤمنون بأن ما انتاب مصر من تفكك وانحلال، وما فتك بأهلها من أدواء لم يكن في رأيهم نتيجة الاحتلال، بل إن الاحتلال هو الذي كان من نتائجه وآثاره، فالاحتلال عندهم ليس هو علة التأخر، وإن كان من المسلم به أنه يضع العراقيل في سبيل التقدم، وإنما سبيل التقدم يكون عن طريق التربية ووضع البرامج الإصلاحية التي ترمي إلي رفع المستوي الاجتماعي للأمة وتحسين أحوالها في شتي نواحي الحياة.[٧]

وقد كان هذا الاتجاه أقوي سلطانا علي عقول المثقفين، وقاد رجاله الحياة الثقافية والاصلاح الاجتماعي والسياسي في مصر في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وبفضله ظهرت اتجاهات ليبرالية في الفكر الديني والاجتماعي والتربوي غيرت معالم الحياة المصرية دون مساس بالعقيدة الدينية ومبادئ الاسلام، وعلي أيدي رجاله ظهرت قضية تحرير المرأة، وافتتحت الجامعة الأهلية ١٩٠٨، ونشطت حركة الترجمة التي نقلت إلي العربية ثمارا مختارة من الفكر الأوربي أقبل عليها المثقفون في نهم وشغف، وعن طريقه برزت فكرة القومية المصرية بحيث اصبح المصري يبحث في ملامح شخصيته وملامحها، وينظر في اعتزاز إلي أصوله القديمة والاسلامية والعربية في الوقت الذي يشخص فيه ببصره إلي الغرب متأملا أسباب القوة والرقي.

ولما كانت دراستنا هي دراسة تربوية في المقام الأول، كان من الطبيعي أن نتناول بالبحث والتحليل الأفكار التربوية ونزعات الاصلاح الاجتماعي لدي زعيم هذا الاتجاه الأستاذ الامام محمد عبده.

وتحاول هذه الدراسة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ما أهم العوامل التي دفعت الاستاذ الامام محمد عبده إلي اتخاذ طريق التربية كسبيل للارتقاء بالمجتمع وتحقيق تقدمه؟
- هل يعد طريق التربية هو الأسلوب الأمثل في تحقيق نهضة المجتمعات وتطويرها؟
- ما مفهوم التربية وأهميتها وأهدافها في نظر الاستاذ الامام محمد عبده؟
- ما الدور الذي يجب أن تقوم به وسائط التربية من وجهه نظره؟

- ما خصائص الانسان السيكولوجية كما يراها الامام محمد عبده؟ وما مطالب التربية نحوها؟
- ما القضايا التربوية ذات الأبعاد الفلسفية والثقافية التي عالجها الاستاذ الامام محمد عبده؟
- ما تصوره لواقع التعليم النظامي بمؤسساته المختلفة؟ وماذا ينبغي أن تكون عليه المنظومة التعليمية؟
- ما أهم قضايا التعليم التي كانت تشغل بال الاستاذ الامام محمد عبده والتي حاول من خلالها تحقيق الاصلاح الاجتماعي في مصر؟
- إلي أي حد أسهم الاستاذ الامام محمد عبده في تجديد التعليم الديني وتطوير الدعوة الاسلامية؟
- ما مدي مسايرة الفكر التربوي للأستاذ الامام محمد عبده للاتجاهات التربوية المعاصرة؟

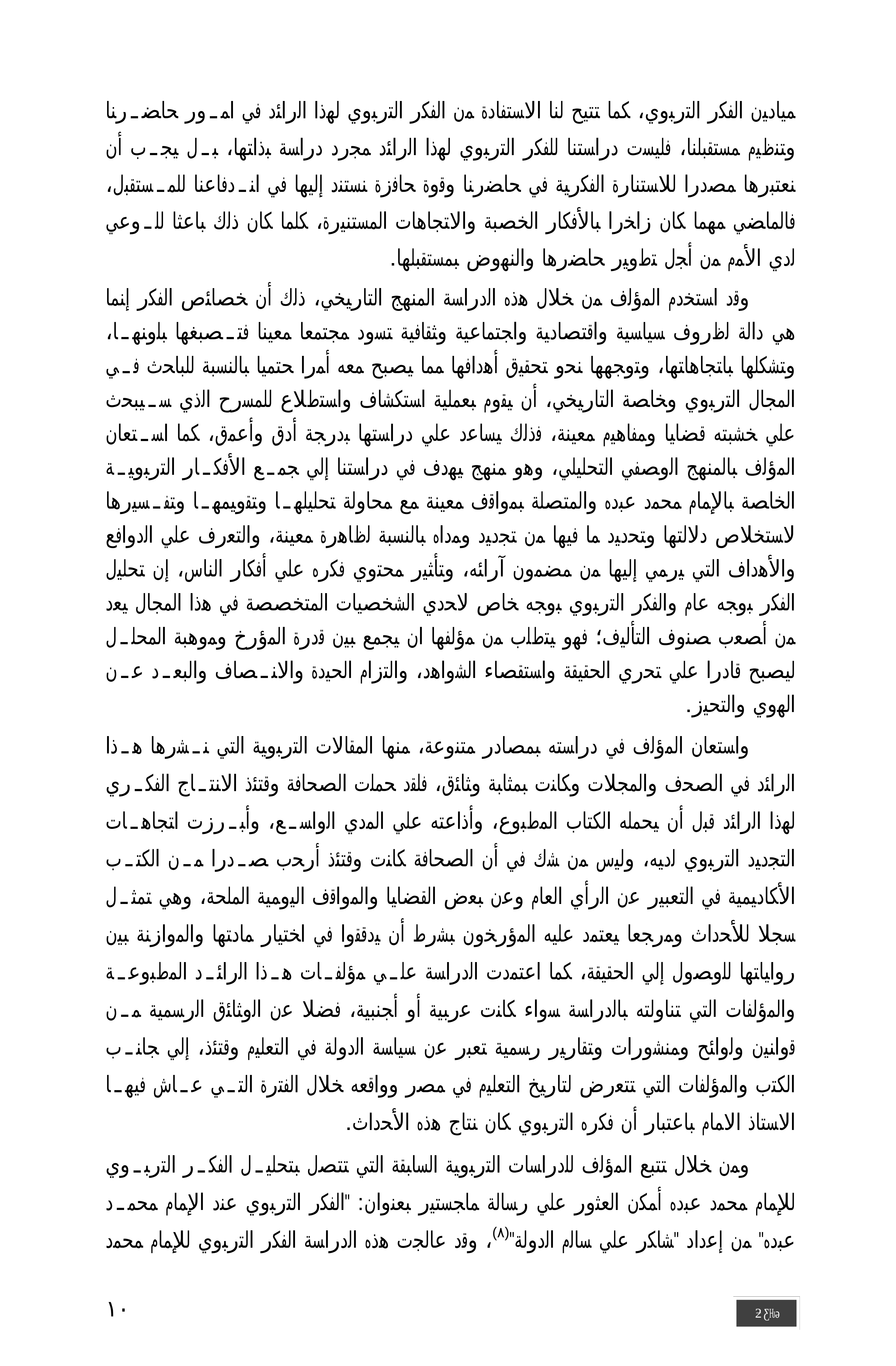
لقد جرت العادة أن تقوم دراستنا لتاريخ التربية في أمم الغرب علي أساس تحليل اتجاهات وآراء مفكريها وإبراز ما فيها من مظاهر تجديد وتحديث، بعكس الحال عند تناول تاريخ التربية في مصر، فإن دراستنا تقوم علي التأريخ للحركة التعليمية كتناول عدد المدارس التي أنشئت أو أغلقت، وعدد طلابها وميزانية التعليم وعدد طلاب البعثات، والقوانين التي صدرت، أما رأي المفكرين المصريين في مختلف قضايا التربية ومشكلات المجتمع، فهي أمور لم تحظ بالاهتمام الكافي، إن ذلك يعني أن العقلية الغربية هي العقلية المبتكرة وأن العقلية العربية مجدبة عقيمة، وما علينا إلا أن ننقل ما يقوله الآخرون.

ومن هنا تبدو أهمية هذه الدراسة التي تستهدف تحليل الفكر التربوي لأحد رواد الفكر التربوي في مصر الذي امتدت حياته منذ منتصف القرن التاسع عشر حتي أوائل القرن العشرين (١٨٤٩- ١٩٠٥) والذي آمن بأن أسلوب التربية هو أساس إصلاح المجتمع والارتقاء به.

ومن خلال تتبع المؤلف لفكر الاستاذ الإمام محمد عبده في مجال التربية والتعليم وجهوده في هذا الميدان تحاول الدراسة إثبات أن آراءه وأفكاره في هذا الصدد لا تقل في قيمتها عن آراء رجال الفكر التربوي الغربي إن لم تتفوق عليها، بل كان له السبق عليهم في بعض قضايا التربية.

إن الفكر التربوي للأستاذ الامام محمد عبده فيه الجديد الذي يستحق البحث والتحليل والذي يساير الاتجاهات التربوية المعاصرة، ويجب أن يوضع في مكانه اللائق بين الأفكار والمذاهب التي تدرس في ساحات العلم ودور التعليم في مجتمعاتنا المعاصرة.

وتحاول هذه الدراسة إزالة ما هو عالق في نفوس أبنائنا ممن نعدهم لمهنة إعداد وتربية الأجيال الناشئة من مفاهيم خاطئة تري أن العقلية المصرية غير قادرة علي الإنتاج والابتكار في



ميادين الفكر التربوي، كما تتيح لنا الاستفادة من الفكر التربوي لهذا الرائد في أمور حاضرنا وتنظيم مستقبلنا، فليست دراستنا للفكر التربوي لهذا الرائد مجرد دراسة بذاتها، بل يجب أن نعتبرها مصدرا للاستنارة الفكرية في حاضرنا وقوة حافزة نستند إليها في اندفاعنا للمستقبل، فالماضي مهما كان زاخرا بالأفكار الخصبة والاتجاهات المستنيرة، كلما كان ذلك باعثا للوعي لدي الأمم من أجل تطوير حاضرها والنهوض بمستقبلها.

وقد استخدم المؤلف من خلال هذه الدراسة المنهج التاريخي، ذلك أن خصائص الفكر إنما هي دالة لظروف سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية تسود مجتمعا معينا فتصبغها بلونها، وتشكلها باتجاهاتها، وتوجهها نحو تحقيق أهدافها مما يصبح معه أمرا حتميا بالنسبة للباحث في المجال التربوي وخاصة التاريخي، أن يقوم بعملية استكشاف واستطلاع للمسرح الذي سيبحث علي خشبته قضايا ومفاهيم معينة، فذلك يساعد علي دراستها بدرجة أدق وأعمق، كما استعان المؤلف بالمنهج الوصفي التحليلي، وهو منهج يهدف في دراستنا إلي جمع الأفكار التربوية الخاصة بالإمام محمد عبده والمتصلة بمواقف معينة مع محاولة تحليلها وتقويمها وتفسيرها لاستخلاص دلالتها وتحديد ما فيها من تجديد ومداه بالنسبة لظاهرة معينة، والتعرف علي الدوافع والأهداف التي يرمي إليها من مضمون آرائه، وتأثير محتوي فكره علي أفكار الناس، إن تحليل الفكر بوجه عام والفكر التربوي بوجه خاص لاحدي الشخصيات المتخصصة في هذا المجال يعد من أصعب صنوف التأليف؛ فهو يتطلب من مؤلفها ان يجمع بين قدرة المؤرخ وموهبة المحلل ليصبح قادرا علي تحري الحقيقة واستقصاء الشواهد، والتزام الحيدة والانصاف والبعد عن الهوي والتحيز.

واستعان المؤلف في دراسته بمصادر متنوعة، منها المقالات التربوية التي نشرها هذا الرائد في الصحف والمجلات وكانت بمثابة وثائق، فلقد حملت الصحافة وقتئذ الانتاج الفكري لهذا الرائد قبل أن يحمله الكتاب المطبوع، وأذاعته علي المدي الواسع، وأبرزت اتجاهات التجديد التربوي لديه، وليس من شك في أن الصحافة كانت وقتئذ أرحب صدرا من الكتب الأكاديمية في التعبير عن الرأي العام وعن بعض القضايا والمواقف اليومية الملحة، وهي تمثل سجلا للأحداث ومرجعا يعتمد عليه المؤرخون بشرط أن يدققوا في اختيار مادتها والموازنة بين رواياتها للوصول إلي الحقيقة، كما اعتمدت الدراسة علي مؤلفات هذا الرائد المطبوعة والمؤلفات التي تناولته بالدراسة سواء كانت عربية أو أجنبية، فضلا عن الوثائق الرسمية من قوانين ولوائح ومنشورات وتقارير رسمية تعبر عن سياسة الدولة في التعليم وقتئذ، إلي جانب الكتب والمؤلفات التي تتعرض لتاريخ التعليم في مصر وواقعه خلال الفترة التي عاش فيها الاستاذ الامام باعتبار أن فكره التربوي كان نتاج هذه الأحداث.

ومن خلال تتبع المؤلف للدراسات التربوية السابقة التي تتصل بتحليل الفكر التربوي للإمام محمد عبده أمكن العثور علي رسالة ماجستير بعنوان: "الفكر التربوي عند الإمام محمد عبده" من إعداد "شاكر علي سالم الدولة"(٨)، وقد عالجت هذه الدراسة الفكر التربوي للإمام محمد

عبده من منظور إسلامي، حيث ذكر صاحب الرسالة في مقدمتها أن دراسته هي دراسة في التربية الإسلامية والتراث الإسلامي، لأنها تتناول آراء مفكر مسلم تعلم في ظل الثقافة الإسلامية.. ولذا كان تناولها للفكر التربوي للإمام محمد عبده في إطار محدود.

فقد حصر الباحث أهداف التربية عند الإمام محمد عبده في إطار ضيق تمثل في التربية الروحية والتربية العقلية والتربية الخلقية بينما اتسمت أهداف التربية عند الإمام محمد عبده – كما تناولناها – بالشمول والتنوع، كما أنه خلط بين أهداف التربية ومجالات التربية لديه.

وتخلو الدراسة من القضايا التربوية ذات الأبعاد الفلسفية والثقافية التي عالجها الإمام محمد عبده وتناولناها بالتفصيل في دراستنا، كقضايا الطبيعة الإنسانية، ونظرية المعرفة، والقيم، والوسطية في التربية الإسلامية، والأصالة والمعاصرة، والتجديد اللغوي، والحوار الثقافي مع الآخر، والنقد ومنهجه، فضلا عن أن الدراسة لم تتطرق إلي المنظومة التعليمية وآليات تطويرها عند الإمام محمد عبده، ولم تتناول بالقدر الكافي بعض قضايا التعليم الهامة التي أثارها الأستاذ الإمام كتعميم التعليم وتعليم المرأة والتعليم الأجنبي.

ولم تتعرض الدراسة للجهود التربوية للإمام محمد عبده من خلال مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية لتعليم أبناء الفقراء، مع أن جهود الرجل في هذا المجال التربوي تعد علامة مضيئة ينبغي أن تنال حظها من الدراسة الوافية.

وإذا كانت دراسة الباحث متصلة بالتربية الإسلامية كما ذكر في مقدمة بحثه. فلم يتعرض لمنهج الأستاذ الامام في إعداد الدعاة وجهوده في مجال الدعوة الإسلامية وتصديه لرجال الفكر الغربي الذين حاولوا الإساءة للإسلام، وهو ما قمنا بإبرازه في دراستنا.

إن من الظلم أن نحصر الفكر التربوي للإمام محمد عبده في الإطار الاسلامي، فالرجل كان موسوعي المعرفة، متنوع الثقافات، ومن ثم كانت دراستنا للفكر التربوي لديه من منظور شامل ومتكامل.

وتسير خطة الدراسة في هذا المؤلف علي النحو الآتي:

- المقدمة.
- الفصل الأولي وعنوانه: "حياة الأستاذ الامام محمد عبده وعصره".
- الفصل الثاني وعنوانه: "التربية (مفهومها، وأهميتها وأهدافها)".
- الفصل الثالث وعنوانه: "وسائط التربية ".
- الفصل الرابع وعنوانه: "سيكولوجية الإنسان".
- الفصل الخامس وعنوانه: "قضايا تربوية ذات أبعاد فلسفية وثقافية".
- الفصل السادس وعنوانه: "المنظومة التعليمية وآليات تطويرها".
- الفصل السابع وعنوانه: "التعليم والإصلاح الاجتماعي".



- الفصل الثامن وعنوانه: "اتجاهات الفكر التربوي للأستاذ الإمام محمد عبده نحو إصلاح التعليم الديني وتطوير الدعوة الإسلامية".

هوامش المقدمة

١- عبد الرحمن الرافعي، عصر إسماعيل، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٤٨، ص ٢٩٦.

٢- محمد عمارة، دراسة في الفكر السياسي والاجتماعي للإمام محمد عبده، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، جـ ١، الكتابات السياسية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٢، ص ٤١.

٣- نفس المصدر السابق، ص- ص ٤٢، ٤٣.

٤- محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٨٠، ص ٢٣٤.

٥- محمد عمارة، دراسة في الفكر السياسي والاجتماعي للإمام محمد عبده، مصدر سابق، ص ص ٤٤- ٤٩.

٦- محمد محمد حسين، مصدر سابق، ص ص ٢٣٤- ٢٣٥.

٧- أحمد محمد خليفة، في المسألة الاجتماعية، القاهرة، دار المعارف، ص- ص ٣٧- ٣٨.

٨- شاكر علي سالم الدولة، الفكر التربوي عند الإمام محمد عبده، رسالة ماجستير غير منشورة في أصول التربية، كلية التربية، جامعة طنطا، ١٩٨٣.

الفصـــل الأول

حياة الأستاذ الإمام محمد عبده وعصره

حياة الأستاذ الإمام محمد عبده وعصره

حياة الإمام محمد عبده:

اتفق بعض الباحثين علي أن مولد الإمام محمد عبده في قريـة "محلـة نـصر" مركـز "شبراخيت" بمديرية البحيرة سنة ١٨٤٩م ومنهم الدكتور "عثمان أمين" في كتابه "رائـد الفكـر المصري الإمام محمد عبده"، وقد ذكر الدكتور "علي جمعة" في مقالة له تحـت عنـوان "إمـام التجديد في الرأي والفتوي" في مجلة العربي عدد (٤٩٥)، رقم (٥٩٩)، ص ٨٣ أنه ولـد فـي محلة نصر سنة ١٢٦٦هـ الموافق عام ١٨٤٩م غير أن ملف الأسـتاذ الامـام محمـد عبـده الموجود في دار المحفوظات تحت رقم (٢٢٦٧٩)، محفظة (١٧٣)، دولاب (٤٥)، عـين رقـم (٤)، يثبت انه ولد في قرية "شنرا" التابعة لمركز السنطة حاليا بمحافظة الغربية (أنظـر وثيقـة ميلاده بملحق رقم ١) وقد ولد أبوه عبده خير ا "بمحلة نصر" مركـز "شـبراخيت" بمديريـة البحيرة وهو من أصل تركماني، أما أمه السيدة جنينه فقد ولدت بقرية "حصة شبشير" بمحافظـة الغربية من أسرة تنتمي إلي قبيلة "بني عدي" وهي قبيلة عمر بن الخطاب رضي ا عنه[1].

وكان الأب عبده خير ا من المناهضين للساطة بسبب استبدادها وتعنتها، لذلك دأبت علي الايقاع به، وكان من حملة السلاح المجيدين للرمي والتنشين الدقيق، وقد ضيقت السلطة عليـه الخناق، وحتي لا يقع في حبائلهم هام علي وجهه، وأسلمته المقادير إلي قرية "حـصة شبـشير" مركز "محلة منوف" في ذلك الوقت، وهي قرية بعيدة بعض الشئ عن طرق المواصلات العامة ليكون في مأمن عن العيون والعسعس، حيث تزوج فيها من السيدة "جنينة" بنت "عمر عثمـان" وإثر زواجه ترك هذه القرية تعمية علي السلطة واتجه إلي قرية "طوخ مزيد"[2].

ويحكي أن هناك ذئبة متوحشة كانت تقطع الطرق وتخيف الفلاحين، لكن عبده خيـر ا كمن لها وصوب عليها قذيقة أصابتها مقتلا، وفرح الناس بهذا الخبر واستضافه عمـدة "طـوخ مزيد" وعرض عليه الإقامة الدائمة في بلدته، لكنه فضل عليها قرية "شنرا" وقد اهـداه عمـدتها بيتا كما أعطاه من الأنعام جاموسة وحمارا، واستقر هناك وولد له "محمد" الذي سيصبح العـالم الشهير الذي جابت شهرته الآفاق.

اتجه عبده خير ا بعد ذلك إلي "شبراخيت" حيث وشي به أحد الوشاة مدعيا أنه أصـبح مأوي لمن فروا بأسلحتهم، وكان "عباس الأول" قد أصدر أمرا بتجريد الأهالي من السلاح فسجن ثم أفرج عنه في عهد سعيد وعاد إلي قريته الأصلية "محلة نصر"[3].

عاش الطفل محمد عبده في قرية "محلة نصر" في بيت من بيوت القريـة المتوسـطة لا يحسب من أفقرها، لأن الفقير في القرية الصغيرة لا يقتني الخيل ولا يفرغ لرياضـة الفروسـية وما إليها، ولا يملك من موارد الكسب ما يعينه علي فتح بيته للضيافة وإيواء الضيوف من علية الزائرين في نظر أبناء القرية.. ولا يحسب من أغناها لأن القرية كان فيها ما هو أغنـي مـن

أرباب ذلك البيت، ولم تكن من السعة بحيث يتسع زمامها كما يقول أبناء الريف لبيوت كثيرة من أصحاب الثراء، وعدد سكانها خلال حياة محمد عبده لم يزد علي ألف نسمة في نهايـة القـرن التاسع عشر كما جاء في إحصاء سنة ١٨٩٧م[٤].

نشأ الصغير محمد عبده في منزل به زوجات متعددات وأولاد مختلفي الأمهات، فقد تزوج أبوه زوجة أخري غير أمه، وكان له منها بنين وبنات، فاستطاع الصبي منذ حداثة سنه أن يقف علي ما في نظام الأسرة المصرية من عيوب سيوجه همته إلي إصلاحها، وسمع الـصبي عـن كثير مما أصاب أسرة أبيه من بغي الحكام وعنتهم، وبقيت آثار ذلك في نفسه، ولعـل ذكريـات كهذه ستكون له في المستقبل حافزا علي النهوض بدعوة المصريين إلي عدم الاستكانة للحـاكم، وإلي التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة علي الشعب وما للشعب من حـق العدالـة علـي الحكومة[٥].

تعلم القراءة والكتابة في منزله وأتم حفظ القرآن الكريم في منزله علي يد محفظ خاص في سن العاشرة، فلم يكن مضطرا إلي أن يحيا حياة صبيان القرية في الكتاتيب، ووقاه ا مما يتعرضون لـه فيها من عادات ضارة بالعقل والبدن، وصانه من عيوب تلك البيئة العجيبة التي صورها الدكتور طـه حسين في كتاب (الأيام) أبدع تصوير[٦].

في الجامع الأحمدي:

قام الأب بإرسال ابنه إلي الجامع الاحمدي في طنطا في سن الخامسة عشر لدراسة شـئ من علوم الفقه واللغة العربية والتجويد تمهيدا للترقي منه إلي الأزهر الشريف.. وقد تبدو هـذه الظاهرة أمرا مألوفا لدي أوساط القرويين ممن يأملون في تنشئة أبنائهم أو أحد منهم تنشئة قومية علي هدي من الدين والخلق، والتعليم الأزهري هو المجال الأوحد لتحقيق ذلك، ولم يقبـل منـه أبوه عذرا للتخلف عن المسجد الأحمدي بعد تزويجه المبكر في نحو السادسة عشر[٧].

استمر محمد عبده يتردد علي الجامع الأحمدي قرابة العام ونصف العام، إلا أنه لم يستطع أن يتجاوب مع المقررات الدراسية أو نظم الدراسة العقيمة التي كانـت تعتمـد علـي المتـون والشروح التي تخلو من التقنين البسيط للعلوم وتفتقد إلي الوضوح في العرض، وحسبنا أن ننقل فقرة من سيرته التي كتبها في هذا الشأن، يقول: "جلست في دروس العلم، وبدأت بتلقي (شـرح الكفراوي علي الأجرومية) في المسجد الأحمدي بطنطا، وقضيت سنة ونـصف لا أفهـم شـيئا لرداءة طريقة التعليم، فإن المدرسين كانوا يفاجئوننا باصطلاحات نحوية أو فقهية لا نفهمها، ولا عناية لهم بتفهيم معانيها لمن لم يعرفها، فأدركني اليأس من النجاح وهربت من الدرس"[٨]، وقرر أن يترك الدراسة ويتجه إلي الزراعة، ولكن أباه أصر علي تعليمه، فلما وجد من أبيه العزم علي ما أراد وعدم التحول عما رسمه له هرب إلي بلدة قريبة فيها بعض أخوال أبيه، وهناك التقـي بالشيخ الصوفي "درويش خضر"- خال ابيه- الذي كان له أكبر الأثر في تغيير مجري حياته[٩].

كان الشيخ "درويش" متأثرا بتعاليم السنوسية التي تتفق مع الوهابية في الدعوة إلي الرجوع إلي الإسلام الخالص في بساطته الأولي، وتنقيته مما شابه من بدع وخرافات، واستطاع الشيخ "درويش" أن يعيد الثقة إلي محمد عبده، بعد أن شرح له بأسلوب لطيف ما استعصي عليه من تلك المتون المغلقة، فأزال طلاسم وتعقيدات تلك المتون القديمة، وقربها إلي عقله في سهولة ويسر، واستطاع المطبب أن يبث فيه روح المثابرة التي ظهرت آثارها العاجلة في قراءته لنفسه بعد أن كان يقرأ له، وعاد محمد عبده إلي الجامع الأحمدي وقد اصبح أكثر ثقة بنفسه وأكثر فهما للدروس التي يتلقاها هناك، بل لقد صار محمد عبده شيخا ومعلما لزملائه يشرح لهم ما غمض عليهم قبل موعد شرح الأستاذ.[١٠]

وقد حدث أن أحد المشايخ قد ماتت إبنته فعاقه الحزن عليها عن إتمام (شرح الزرقاني علي الفرية)، وآخر عرض له عارض منعه من اتمام (شرح الشيخ خالد علي الأجرومية)، وجلس محمد عبده بين زملائه يطالع معهم الكتابين شارحا لهم ما فيهما من معاني وأفكار[١١].

وبينما كان يقوم بتوضيح ما في (شرح الزرقاوي) إذ يري شيخا في هيئة المجاذيب الذين "يظن كثير من الناس أن لهم في صفحة الغيب نفحات" وقد وقف ذلك الشخص أمامه ناظرا إليه منصتا لما يقرأ، فلما رفع محمد عبده نظره إليه قال المجذوب "ما أحلي حلاوي مصر البيضاء" فقال محمد عبده: " وأين الحلاوي التي معك؟" قال المجذوب: "سبحان ا ، من جد وجد"، ثم انصرف الرجل لتوه، وترك الفتي مسترسلا في أحلام وأماني كثيرة عن السفر إلي المدينة الكبيرة ذات الصيت البعيد، وشعر أن ذلك القول من المجذوب إلهام ساقه ا إليه ليحمله علي مغادرة طنطا وطلب العلم في عاصمة مصر حيث يقوم الأزهر فخر العروبة والإسلام[١٢].

في أروقة الأزهر:

انتقل محمد عبده من الجامع الأحمدي إلي الجامع الأزهر عام (١٢٨٢هـ - ١٨٦٥م)، وقد كان الأزهر غاية كل متعلم وهدف كل دارس، فدرس الفقه والحديث والتفسير واللغة والنحو والبلاغة وغير ذلك من العلوم الشرعية واللغوية.

كانت الروح السائدة في الأزهر هي روح الحفاظ علي القديم وتغليب النقل علي العقل، والنفور من كل جديد، وبلغ من تعصب أنصار القديم لآرائهم أنهم كانوا يرمون خصومهم بالضلال والزيغ عن الدين، وكان محمد عبده مضطرا إلي أن يحضر علي كثير من أولئك الأساتذة المحافظين أمثال الشيخ (عليش والرفاعي والجيزاوي والطرابلسي والبحراوي) وسنري موقفهم منه حين يتقدم إلي امتحان العالمية، وكان ينافس حزب المحافظين حزب المتصوفين وعلي رأسهم الشيخ حسن رضوان، وكان لهذا الحزب مريدون من أساتذة الأزهر وطلابه كالشيخ "حسن الطويل" والشيخ "محمد البسيوني" والشيخ "محمد المغربي"، وكان طبيعيا أن ينضم محمد عبده إلي حزب التصوف هذا لأنه أقل الحزبين جمودا علي القديم وأقلها نفورا من الجديد، ثم لأن التصوف كان أقرب إلي فتي لم يزل مريدا متحمسا للشيخ درويش[١٣].

كانت الدراسة في الأزهر قائمة علي قراءة المتون والشروح والحواشي والتقارير، وكـان المعلم لا يراعي حالة الطلاب ودرجة استعدادهم للفهم حتي قال محمد عبده: "كنت أسمع الـشيخ وهو يدرس فأحسبه يتكلم لغة أجنبية، وكان علي الطلاب أن يحفظوا ما يقرأون"(١٤).

وقد آلي الشاب علي نفسه ألا يواظب علي حضور الأساتذة الذين لا يفهـم مـنهم، وفـي أواخر كل سنة كان يذهب إلي محلة نصر ليقضي فيها أشهر المسامحة الصيفية، وكـان يجـد الشيخ "درويش" قد سبقه إليها، وهناك يأخذ الشيخ "درويش" في مدارسة الشاب علي ما حـصل عليه من العلوم الأزهرية فيسأله: "هل درس المنطق ومبادئ الحساب والهندسة والعلوم الكونية؟" فيجيب الشاب: "إن بعض هذه العلوم غير معروف في الأزهر"، فيقول الشيخ: "طالـب العلـم لا يعجز عن تحصيله في كل مكان".... وكان لهذه الكلمات تأثير في نفس محمد عبـده، فكـان إذا عاد إلي القاهرة إلتمس تلك العلوم المهملة في الأزهر عند العارفين بها.(١٥)

قضي الشيخ سبع سنوات في الأزهر سالكا طريق الصوفية لأن فيه مجاهدة للنفس وعزلة عن الناس، فكان يصوم النهار ويقوم الليل بالصلاة أو الذكر، ويمشي مطرقا ولا يتصل بالناس.

ومرة ثانية تمكن الشيخ درويش من إخراجه من هذه العزلة، وأبرز له أن الصوفية ليست نزعة انطوائية وإنما هي التزام القيام بالعمل الصالح وتفاعل مع البيئة، وأخذ يستـصحبه إلـي مجالس العامة ويفتح له الكلام في الفنون المختلفة، ويوجه إليه الخطاب ليتكلم فيتكلم الحاضرون فيجيبهم محمد عبده.(١٦)

وقد باح محمد عبده في مقطع من سيرة حياته ببعض ما كان يدين به إلي الشيخ "درويش" وبما كان يكنه لذكراه من عاطفة فقال: "ولم أجد إماما يرشدني إلي ما وجهت إليه نفسي إلا ذاك الشيخ الذي أخرجني في بضعة أيام من سجن الجهل إلي فضاء المعرفة، ومن قيود التقليد إلـي إطلاق التوحيد.. وهو مفتاح سعادتي إن كانت له سعادة في هذه الدنيا، وهو الذي رد لي ما كان غاب من غريزتي، وكشف لي ما كان خفي عني مما أودعه ا في فطرتي"(١٧).

واتصل محمد عبده بالرجل الثاني الذي كان له أثر كبير في توجيهه إلي العلوم العـصرية وهو الشيخ "حسن الطويل" الذي كانت له معرفة بالرياضيات والفلسفة والمنطق، وكان له اتصال بالسياسة، وعرف بالشجاعة في القول بما يعتقد دون رياء أو مواربة.. وقد حركت دروس الشيخ "حسن الطويل" كوامن محمد عبده ودفعته إلي البحث عن المزيد(١٨).

وفي سنة ١٨٧٦ شرع محمد عبده يتصل بالصحف ويكتب منها عـدة مقـالات أخلاقيـة واجتماعية فيها دعوة صريحة إلي حرية الفكر وإلي الإصلاح المتزن الجرئ، ومـن المقـالات التي كتبها "الكتابة والقلم"، و "المدبر الانساني والمدبر العقلي الروحاني"، و "الدعوة إلي العلـوم العصرية"... وذاعت تلك المقالات واشتهر محمد عبده بين أقرانه الطلاب فالتفوا حوله وأعجبوا به(١٩)، أما الشيوخ الجامدون فقد أوغرت صدروهم علي ذاك المجاور الناهض الذي أوشـك أن يفسد عليهم أمرهم لميله إلي دراسة الفلسفة والعلوم العقلية، وترجيحـه لـبعض آراء المعتزلـة

وتحرره من التقليد ودعوته إلي التجديد، وسعي بعض الطلبة الحاقدين للوشاية به إلي الشيخ "عليش" وأخبروه بأن محمد عبده يعمل علي إحياء مذهب المعتزلة، والمعتزلة مشهورون بأنهم أحرار في الفكر الاسلامي، فاستدعاه الشيخ "عليش" قائلا: له: "بلغني أنك رجحت مذهب المعتزلة علي مذهب الأشاعرة" فأجابه الإمام قائلا: " إذا كنت قد تحررت من تقليد الأشاعرة فهل أرضي لنفسي تقليد المعتزلة، إنني آخذ بالدليل ولا أقلد أحد".

هذه المراجعة من طالب شاب تنطوي علي قدر كبير من الجرأة، فكان طبيعيا أن يغضب الشيخ عليش وهم بضرب المجاور محمد عبده، وسواء صحت هذه الرواية أم لم تصح، فقد كان لتلك الرواية دوي كبير ولم ينقطع محمد عبده عن قراءة الدرس(٢٠).

ولما تقدم محمد عبده لامتحان شهادة العالمية لقي كثيرا من العنت، وابتلي أشد الابتلاء، فأكثر الشيوخ متحاملون عليه، يحسدونه علي نبوغه، وكان الشيخ "عليش" من بين أعضاء اللجنة التي كان يرأسها الشيخ "محمد العباسي المهدي"، وهاجم الشيوخ محمد عبده وأجمعوا أمرهم علي رسوبه وحرمانه من الشهادة العالمية، ولكن الإمام محمد عبده صمد أمام أعضاء اللجنة بردوده المنطقية القوية، وأعجب به الشيخ العباسي وكان من رأيه منحه الشهادة العالمية من الدرجة الأولي، غير أن تعصب أعضاء اللجنة جعلهم يمنحونه شهادة العالمية من الدرجة الثانية سنة ١٨٧٧(٢١).

الإمام محمد عبده وجمال الدين الأفغاني:

يقول كاتب سيرة الأستاذ الإمام محمد عبده، إن أحد المجاورين في رواق الشام أخبر الإمام محمد عبده أنه جاء إلي مصر عالم أفغاني عظيم يقيم في خان الخليلي، فسر محمد عبده بذلك وأخبر الشيخ حسن الطويل ودعاه إلي زيارته معه، فألفياه يتعشي ودعاهما إلي الأكل معه فاعتذرا، فطفق يسألهما عن بعض آيات القرآن الكريم وما قاله المفسرون والصوفية فيها ثم يفسرها لهما، فكان هذا مما قاب قلب محمد عبده به عجبا وشغفه حبا، لأن التصوف والتفسير هما قرة عينه أو كما قال "مفتاح سعادته".

وعندما عاد الأفغاني إلي مصر في عام ١٨٧١، كان محمد عبده أشد الطلاب الملتفين حوله حماسا، وكان الأفغاني يفيض ذكاء وحيوية ونشاطا، فهو دائم الحركة، دائم التفكير، دائم النقد، دائم العطاء، وكان محركا للعديد من ثورات الطلاب ومظاهراتهم، فقد وهب نفسه لهدف أسمي وغاية نبيلة هي إيقاظ العالم الاسلامي من سباته والنهوض به من كبوته وضعفه، فعمل علي تبصرة الشعوب بحقوقها من خلال تنوير عقول أبنائها(٢٢).

كان محمد عبده أشد الطلاب الملتفين حول جمال الدين الأفغاني حماسا، وحضر التلميذ علي أستاذه دروسا نافعة في كتب المنطق والحكمة والفلسفة والتصوف وأصول الدين والعلوم الكونية، ولكن الدروس الروحية التي كانت تسري من أحاديث هذا المصلح العظيم أعظم قوة

وأعمق أثرا من دروس الأوراق والأسفار، ولم تكن شروحه للكتب التي يقرأها علـي تلاميـذه معاني فكرية تستخرج من ألفاظها القاموسية علي عادة الشراح الذين يقفـون بالعبـارات عنـد ألفاظها ومعانيها، ولكنه كان يشرح العبارة ليستخرج منها قوة حية تسري في النفس فتحركها إلي العمل، وكأنما الكلمات المشروحة علي لسانه تلك المفاتيح الصغيرة التي تدار فتنبعث منها قـوي من الكهرباء لا يستقر عليها قرار... وخير الأساتذة علي ما نعلم هو الأستاذ الذي ينبه في التلميذ ملكات ذهنه وضميره ويستثير فيه الاجتهاد والهمة علي حسب فطرته واستعداده، فلـيس بخيـر الأساتذة من يجعل تلاميذه نسخا منه تحاكيه ولا تزيد من عندها شيئا غير الاقتداء بـه والعمـل علي غراره، فهذه هي تربية التقليد والمحاكاة، تصلح للذين خلقوا للاتباع ولا تصلح للذين خلقوا علي نصيب من قدرة الاستقلال والاجتهاد.

وجدير بالذكر أن طريقة تعليم الشيخ حسن الطويل لمحمد عبده تختلف عن طريقة جمـال الدين الأفغاني فقد كان الشيخ حسن الطويل يتبع في تعليمه طريقة النظريات، أما جمـال الـدين الأفغاني فكان يتبع طريقة العمليات التي تعيش مع صاحبها في معترك الحياة وتعقب لها أثرا في نفسه وفيما يحيط به من أحوال قومه، وخلاصة الفارق بين الطريقتين هي خلاصة الفارق بـين صاحب درس وصاحب رسالة، وقد يلتقيان ولكن لا يتساويان.

وهكذا كانت تربية جمال الدين الأفغاني لمحمد عبده وهو يخطو خطواته الأولـي علـي طريق العمل والاصلاح، إنه لم يخلق فيه ملكة كانت معدومة فيه، ولكنه رده إلي طبيعته العملية وعزز فيه تلك الثقة التي لا غني عنها لمن يتولي عظائم الأمور وينهض إلي الغايـة العـصية والمطلب البعيد، ولم تكن الطبيعة العملية طارئا جديدا علي سليقة الفتي الذي شب عـن الطـوق وهو يركب الخيل ويحمل السلاح ويتمرس برياضة الفروسية.

لقد رأي محمد عبده من خلال "الأفغاني" الدنيا التي حجبتها عنه طبيعـة الدراسـة فـي الأزهر، فكان يستمتع بالدروس التي كان يلقيها في داره ويعمل علـي نـشر أفكـاره، ووجـد "الأفغاني" في "محمد عبده" الذكاء وحسن الاستعداد وعلو الهمة فضلا عن الحماسة في الـدعوة إلي الإصلاح، فأخذ يمرنه علي كتابة المقالات وأسفر ذلك عن انتاج تمثل في رسـالة سـماها "رسالة الواردات" صحبها جزئيات عن "الممكن وواجب الوجود" وكيف بدأ الخلـق، وواردة في "علمه بالجزئيات"، كما كتب نسختان بخط يده يحال فيهما كتاب "الاشارات" لابن سينا تشهدان بمدي اهتمامه بها في ذلك الحين وقد اختتم احداها بتقريظ الأفغاني[٢٣].

وبتكليف من أستاذه كتب أيضا مقالتين، تحدث في المقالة الأولي عن أهمية علوم التربيـة والتهذيب في حفظ فضائل النفوس في إطار مقارنات بين عدة علوم مثل الطب والتاريخ الطبيعي وعلوم النبات.

ولما كانت علوم التربية تتعلق بالسلوك الانساني فقد أطلق عليها الإمام محمد عبده اسم "الطب الروحاني".

يقول: "وكما أنه يجب علي الطبيب البدني أن يكون علي علم تام بمنافع الأعضاء وغايتها، كذلك علي الطبيب الروحاني ان يكون عالما بمنافع الأخلاق ومضارها علي طبق ما في نفس الأمر والواقع، وكما يلزم ان يكون الطبيب شفيقا رحيما صادقا لا ينظر إلي الدنايا، ولا ينحط إلي المقاصد السافلة، كذلك علي النصحاء والمرشدين أن يكونوا من ذوي الاستقامة والفضيلة"[٢٤].

وتحدث في المقالة الثانية عن "الصنائع" وأهميتها للإنسان وأنها نتاج قوة فاعلة وفكر سديد، ثم يخلص من هذا إلي أن المجتمع الإنساني الذي افتقد القدرة علي قيام الصنائع مجتمع أشل والأولي إماتته وقطعه[٢٥].

من هذه النماذج يبدو التيار العملي الذي أجراه جمال الدين في ثقافة تلميذه... ولم يلبث هذا الاتجاه أن تفاعل في مجريات الأمور ليتحول إلي تيار وطني له جانب اجتماعي يهدف إلي ما فيه إصلاح التكوين الاجتماعي في بعض الأحوال، وله جانب سياسي أيضا بلغ ذروته في ثورة عرابي وما أعقبها من أحداث.

الإمام محمد عبده معلما:

لكل شخصية مفتاح يمكن عن طريقه سبر أغوارها والوقوف علي أعماقها، ومفتاح شخصية الاستاذ الامام محمد عبده هي ملكة التعليم التي فطر عليها لتعليم الناس أفرادا كانوا أو جماعات، ويبدو من بروز هذه الملكة والحاحها علي خواطر المستعدين لها وبوادر نفوسهم وأذهانهم انها عبقرية خاصة من تلك العبقريات الروحية التي تخلق في الإنسان ومعها حافز لا يستريح من حوافز الغيرة علي إنجاز عملها والحماسة لتحقيق مقاصدها، وشأنها في ذلك شأن كل عبقرية موهوبة تطبع علي أداء رسالتها في عالم العقيدة والإيمان أو في عالم العلم والفن والجمال[٢٦].

إن صاحب العبقرية المطبوعة علي التعليم لا يستهدف نقل طائفة من المعلومات المحفوظة برأسه إلي رؤوس غيره، فتلك رسالة لا نفحة فيها من الروح ولا مدد لها من السليقة، وإنما يعمل صاحب العبقرية المطبوعة علي التعليم علي دفع المتعلمين علي عمل ويستثيرهم إلي غاية ويبث في نفوسهم من الحماسة مثل ما انطوي عليه في أعماق ضميره من الممارسة لعمله وغايته، ولا مطمع له في أجر يناله منهم أو من سواهم، بل هو يعطي الأجر ويجزله لو استطاع.

إن رسالة التعليم لدي الامام محمد عبده رسالة فلسفية في صميمها قبل ان تتجه إلي وجهتها الفكرية، فلم يكن يعنيه ان يعلم لينقل علي الناس معلومات يجهلونها وكفي، ولكنه كان يعلم ليحفز الناس إلي عمل لا يتوانون عنه ويحملهم علي خلق يحبب إليهم ذلك العمل ويسعدهم عليه.

بعد أن نال محمد عبده شهادة العالمية من الأزهر، انطلق ليبدأ رحلة كفاحه من أجل العلم والتنوير واشتغل بالتدريس كمهنة بقيت دوما أقرب المهن إلي سجيته فدرس في الأزهر حيث كانت دروسه في المنطق والفلسفة والتوحيد، كما قام بالتدريس في دار العلوم "مقدمة أبن خلدون" وألف كتابا في علم الاجتماع والعمران إلي جانب التدريس في مدرسة الألسن، كما كان يلقي دروسا خاصة في داره(٢٧).

ولم يشأ أن يوقع تلاميذه فيما وقع فيه فيجعلهم يعانون من وعورة المنهج، فدرس لهم (مقدمة ابن خلدون)، و(تهذيب الأخلاق لابن مسكويه) وهو نسخة اسلامية من الفلسفة اليونانية إلي جانب تدريس الترجمة العربية لكتاب جيزو عن "تاريخ تمدن الممالك الأوربية" وهكذا عرفت الكتب النافعة طريقها إلي عقول الناشئة وارتفع مستوي الدرس، وما كان اهتداؤه لتلك المؤلفات إلا تأثرا بعلمي الأخلاق والاجتماع. وهما من ثمار اتصاله بالشيخين الجليلين خال أبيه "الشيخ درويش" والسيد "جمال الدين الأفغاني"(٢٨).

كانت قضية ""الاصلاح الجواني" اصلاح العقلية والعقيدة والأخلاق هي الرسالة الأولي التي اضطلع بها الأستاذ الامام محمد عبده كمعلم، وحظي هذا الجانب من التربية الأخلاقية بكل اهتمامه في حياته الخصبة النافعة الهادية، يكافح العادات والتقاليد السيئة وينقد البدع والمعتقدات الفاسدة.

كان الامام محمد عبده من خلال تدريسه يستحث الشباب للتضحية فداء للأمة المقهورة التي يقتسم الأجانب إرثها علانية أمام أعين الشعب، وطالب الامام محمد عبده الشباب بالاستعداد من أجل الوفاء بإصلاح الوطن فهم اليوم شباب الأمة وغدا رجالها.

وكان منهجه التعليمي دائما يركز علي التحرر من قيود التقليد والتمسك الشديد بها، وألمح إلي أن الفلسفة هي وسيلة التحرر من التقليد.

وحارب في المدرسة الخديوية طغيان اللغات الأجنبية وطالب بتركيز الاهتمام باللغة الأم، وكانت دعوة محمد عبده من خلال دروسه بالرغم من هدوئها فعالة ومؤثرة بدرجة أزعجت السيادة الاستبدادية، ولم يمارس محمد عبده مهام وظيفته التدريسية سوي عام واحد ثم نصح بتقديم استقالته ومغادرة القاهرة والعودة إلي مسقط رأسه ثانية والبقاء هناك، وقد أعاق هذا القرار عاما عن المضي قدما في طريقه الإصلاحي الذي بدأه.(٢٩)

الإمام محمد عبده صحفيا:

حينما تولي الخديوي "توفيق" العرش تقلد "رياض باشا" رئاسة النظار فاتجة إلي إصلاح الوقائع المصرية، واختار الامام محمد عبده ليقوم بهذه المهمة، فضم محمد عبده إليه "سعد زغلول" و "إبراهيم الهلباوي" و "الشيخ محمد خليل" وغيرهم، وأنشأ في الوقائع قسما غير رسمي إلي جانب الأخبار الرسمية، فكانت تحرر فيه مقالات اصلاحية أدبية واجتماعية، وكان الامام محمد عبده هو محررها الأول، وظل الامام محمد عبده في هذا العمل نحو سنة ونصف استطاع خلالها ان يلعب دورا هاما في توجيه الرأي العام بسلسلة من المقالات عن النظام الاجتماعي وخاصة عن التربية الوطنية، وتناولت مقالاته أمورا أساسية في حياة الأمة الاجتماعية والقانونية والشرعية، فكتب عن تفشي الربا والرشوة، وناقش المواءمة بين القانون والقوة، وحاجة الانسان إلي الزواج وتعدد الزوجات، واستجاب للنوازع الوطنية الثائرة فيه، فهاجم التدخل الأجنبي في شئون البلاد ودعا أبناء الوطن إلي الوحدة والتماسك ومؤازرة الجيش المصري.[٣٠]

وكان في مصر وقتئذ تياران قويان يتنازعان حركة الإصلاح:

الأول : يمثله فريق من الإصلاحيين المعتدلين الذين يرون ان الاصلاح الحقيقي للأمة انما يكون من خلال نشر التعليم الصحيح بين أفراد الشعب، والتدرج في الحكم النيابي وكان الإمام محمد عبده وتلميذه سعد زغلول ممن يمثلون هذا التيار حيث عبرا عن هذه النزعة الإصلاحية من خلال الصحف.

والثاني : يدعو إلي الحرية الشخصية والسياسية تأسيا بدول أوربا، وكانت نواته جماعة من المثقفين الذين تعلموا في أوربا، وتاثروا بجو الحرية فيها وأعجبوا بنظمها ومنهم "أديب اسحق" وكان هؤلاء ينظرون إلي محمد عبده ورفاقه علي أنهم رجعيون، ولا يوافقونهم فيما ذهبوا إليه من أن الاصلاح ينبغي ان يأتي بالتدريج ليستقر وليس طفرة فيزول.[٣١]

الامام محمد عبده والثورة العرابية:

عندما اشتعلت الثورة العرابية ١٨٨١ إلتف حولها كثير من الوطنيين، وانضم إليهم الكثير من الأعيان وعلماء الأزهر، واجتمعت حولها جموع الشعوب وطوائفه المختلفة وامتزجت مطالب جنود الشعب بمطالب جموع الشعب والأعيان والعلماء، وانطلقت الصحف تشعل لهيب الثورة وتثير الجموع وكان "عبد ا النديم" من أكثر الخطباء تحريضا علي الثورة.

لم يكن محمد عبده في بداية الأمر مشايعا لعرابي فقد كان يعتبره ناطقا بأفكار عسكرية بحتة، وكان محمد عبده يعلن انه يفضل قيام نظام للحكم مصحوب بإصلاح داخلي للترقي وسيلته الرئيسية في نظره هي نشر الثقافة وبث التربية الأخلاقية والسياسية الصحيحة التي تناسب قيام دستور حر، ولكن إزاء تدفق الحوادث لم يستطع الشاب المصري الغيور إلا أن يسارع لشد أزر العرابيين الثائرين وانضم إلي المؤيدين للثورة وكان واسطة عقد بين رجال عرابي وبين رجال

الدولة من المدنيين من أعضاء مجلس النواب، وكان من وراء الفتوي التي صدرت من الـشيخ "عليش" شيخ الجامع الأزهر وقتئذ بخلع الخديوي لمحاولته بيـع الـبلاد للأجانـب واسـتجابته لاشارات قناصل أوربا، وأصبح محمد عبده أحد زعماء الجناح المدني للمقاومة الـشعبية، وقـد وضع مع فريق من الزعماء المدنيين بتحريض من "بلنت" عريضة أرسـلت إلـي جلادسـتون ونشرت في جريدة التايمز يتهم فيها انجلترا بالتآمر لغزو مصر، ثم كان في مقدمة الصفوف التي دعت إلي وحدة الجبهة الداخلية ووضع صيغة القسم الذي اقسم به ضباط الثورة(٣٢).

ألقي القبض علي الامام محمد عبده بعد الاحتلال البريطاني علي مـصر ١٨٨٢ وعـودة الخديوي إلي الحكم، وسجن لمدة قصيرة، وعومل معاملة سيئة، وقد ترك ذلك وانهيار الحركـة القومية أثرا عميقا في نفسه، فقد قال المحامي البريطاني الذي أرسله بلنت للدفاع عن عرابي في محاكمته:

"إن عظمة محمد عبده الفكرية كانت قد حجبتها لفتـرة مـا غيـوم الـضعف المعنـوي والجسدي، فقد بدا عقله وجسده وكأن ردة الفعل المتولدة من الآمال الخائبة ونـزاع اليـأس قـد حطمتهما تحطيما لم يبق معه أي أمل في الشفاء"(٣٣).

بين بيروت وباريس:

حكم علي الامام محمد عبده بالنفي لمدة ثلاث سنوات فذهب أولا إلي بيروت ١٨٨٣ حيث أقام بها نحو عام ثم ما لبث أن دعاه أستاذه الأفغاني للسفر إليه في باريس حيث منفاه، واستجاب محمد عبده لدعوة أستاذه حيث ساعده علي تنظيم جماعته السرية واشتركا معا في إصدار مجلة "العروة الوثقي" التي صدرت من غرفة صغيرة متواضعة فوق سطح أحد منازل باريس، حيـث كانت تلك الغرفة هي مقر التحرير وملتقي الاتباع والمؤيدين.

دعت المجلة إلي إقامة الجامعة الاسلامية والزود عين الشرقيين ومقاومة التسلط الأجنبـي والفساد الداخلي.

لقد أزعجت هذه المجلة الانجليز وأثارت مخاوفهم، كما أثارت هواجس الفرنسيين، وكـان الامام محمد عبده وأستاذه وعدد قليل من معاونيهم يحملون عبء تحرير المجلة وتمهيد الـسبل لها للوصول إلي العالم الاسلامي، وكان مقالات الامام تتسم في هذه الفترة بالقوة والدعوة إلـي مناهضة الاستعمار والتحرر من الاحتلال الأجنبي بكل صوره وأشكاله، وزار الامام محمد عبده لندن ١٨٨٤ للبحث مع "هرتنجتون" وسواه قضية مصر والسودان، واستطاع الانجليـز اخمـاد صوت "العروة الوثقي" الذي أضج مضاجعهم وأقلق مسامعهم، فاحتجبت بعـد ان صـدر منهـا ثمانية عشر عددا في ثمانية أشهر، وسافر الامام محمد عبده بعد توقف "العروة الـوثقي" عـن الصدور إلي تونس ومنها إلي مصر متنكرا علي أمل اللحاق بثورة المهدي في الـسودان، لكـن هذه المشاريع لم تسفر عن شئ فعاد محمد عبده إلي بيروت ١٨٨٥ بعد أن تهـاوي كـل شـئ

حوله، فقد فشلت الثورة العرابية، وأغلقت جريدة "العروة الوثقي"، وابتعد عن استاذه الذي رحـل بدوره إلي "فارس".[٣٤]

وكان علي محمد عبده ان يشغل وقته في بيروت بالتأليف والتعليم فشرح "نهج البلاغة" و "مقامات بديع الزمان الهمذاني" وأخذ يدرس تفسير القرآن الكريم في بعض مساجد بيـروت ثـم دعي للتدريس في "المدرسة السلطانية" ببيروت، فعمل علي النهوض بها وأصلح برامجها فكـان يدرس التوحيد والمنطق والبلاغة والتاريخ والفقه، كما كتب في جريدة "ثمرات الفنون" عددا من المقالات تشبه مقالاته في "الوقائع".

وكتب أثناء وجوده في بيروت لائحتين لاصلاح التعليم الديني في الدولة العثمانيـة بعـث بهما إلي شيخ الاسلام في استنبول، وترجم رد أستاذه "جمال الدين الأفغاني" علـي الـدهريين، وعني بتدريس فقه الامام أبي حنيفة في المعاملات، وأعد نسخة أولي لرسالة التوحيد، واستجاب لالحاح اهل بيروت ليفسر لهم القرآن الكريم ويشرح لهم مقامات بديع الزمان الهمذاني.

وأسس الامام محمد عبده وبمعونة أشخاص آخرين في بيروت جمعية دينية سـرية مـن أهدافها التقريب بين الأديان الثلاثة الكبري الإسلام والمسيحية واليهودية، فكان له الـسبق فـي تطبيق مبدأ "الحوار بين الثقافات".. وكان القس "اسحق تيلر" راعي الكنيـسة الانجليزيـة أحـد الأعضاء العاملين في تلك الجمعية، وهو الذي حاول فيما يبدو نشر أفكارها في انجلترا، ويقـال إنه جرت بين هذا القس وبين محمد عبده مراسلات كان من آثارها أن تحدث القس عن الاسلام حديثا وديا، ونشر بهذا المعني مقالات في صحف لندن[٣٥]، ولكن يبدو ان نشاط الشيخ المصري في هذه الجمعية قد فسر في (تركيا) تفسيرا سياسيا يناقض مصالح الخلافة العثمانية ممـا حـدا بالسلطان عبد الحميد إلي السعي لدي الحكومة الانجليزية لاصدار العفو عن الـشيخ المـصري ودعوته إلي مغادرة بيروت في أقرب وقت، كما أن تدخل الوكالة البريطانية ووساطة عدد مـن الساسة والزعماء منهم سعد زغلول والأميرة نازلي فاضل ومختار باشا كان له أثر في صـدور العفو عن محمد عبده سنة ١٨٨٩ وآن له أن يعود إلي أرض الكنانة.[٣٦]

العودة إلي مصر:

كان أهم أهداف الامام محمد عبده عند عودته إلي مصر بعد المنفي اتخاذ التربية وسـيلة للاصلاح الاجتماعي واصلاح العقائد، والعمل علي إصلاح المؤسـسات الاسـلامية كـالأزهر والأوقاف، واتخذ محمد عبده قراره بمسالمة الخديوي حتي يتمكن من تنفيذ برنامجه الاصلاحي الذي يطمح إلي تحقيقه كما هادن اللورد "كرومر" المعتمد البريطاني في مصر، ويتهم الـبعض الأستاذ الامام بأن ذلك يمثل نقصا في وطنيته ولكننا نري أن السبب في ذلك لـيس نقـصا فـي وطنية الإمام أو تواطئا مع الاحتلال، وإنما للظروف الحضارية والتاريخية التي شكلت شـروط التفاعل بينه وبين واقعه، فقد رأي محمد عبده أن الجانب الأهم من المشكلة الحضارية لا يتمثـل

بالاستعمار العسكري، بل بالتخلف الحضاري وهو الذي أعطي المبرر ومهد الطريق للاستبداد والاستعمار، ولو كانت الأمة متحررة من قيود التخلف والجهل لما تمكن الحكام من استعبادها ولما دخل الاحتلال أراضيها، والمرحلة الأولي من الاصلاح- كما يري- تتمثل في الاصلاح التربوي والاصلاح الديني وتحرير الدين مما علق به من شوائب ومفاهيم خاطئة وفي ذلك كان يقول:

"آن الدين في ثلاث: جاهل به، ومغالي فيه، وشخص امتزج معه بقلبه، ولكن ضاقت سعة عقله عن تصريفه تصريف الأنبياء له"[٣٧] وأظن أن الإمام رحمه ا يتحدث عن الواقع الذي نعيشه الآن.

لقد أدرك الامام محمد عبده بعد عودته من المنفي أن الاصلاح التربوي هو الطريق الفعال لنهضة الأمة بعد أن فشل العمل السياسي في تحقيق ذلك ومن مقولاته المشهورة في هذا الشأن "لعن ا ساس ويسوس وسياسة"، ولذا وضع تقريرا بعد عودته حول الاصلاحات التي يراها ضروية للنهوض بالتعليم ورفعه إلي "اللورد كرومر" نفسه، فحقيقة الأمر أنه كان القوة الفاعلة والحاكم الحقيقي لمصر.[٣٨]

كان الامام محمد عبده يأمل ان يكون ناظرا لدار العلوم أو أستاذا فيها بعد عودته إلي مصر، ولكن الخديوي واللورد كرومر لم يكن لديهم استعداد لتركه يعمل حيث يمكنه التأثير مجددا في الشبيبة.

وقد تم تعيينه قاضيا أهليا في محكمة بنها ثم الزقازيق ثم عابدين ثم عين مستشارا في محكمة الاستئناف سنة ١٨٩٥.

وبرغم وظائفه في القضاء، إلا أنه بقي قلبيا عالما ومعلما ومنظما للمدارس، فقد ساعد علي إنشاء جمعية خيرية إسلامية كان هدفها إنشاء المدارس الخاصة لتعليم أولاد الفقراء وساعد علي إدارة شئونها، وفي سنة ١٨٩٥ اقنع الخديوي عباس بتأسيس مجلس إدارة للأزهر وحقق بواسطته بعض الاصلاحات في تلك الجامعة القديمة، وكان يلقي دروسا في الأزهر كما كتب تفاسيرا لبعض أجزاء من القرآن الكريم، وأسهم مع أحد معاونيه "محمد رشيد رضا" في إعداد تفسير مستفيض للقرآن بكامله مبني علي محاضراته، إلا أن وفاته حالت دون إنجازه.[٣٩]

تعلمه الفرنسية وانفتاحه علي الثقافة الغربية:

بدأ الامام محمد عبده يتعلم الفرنسية وهو قاض في محكمة عابدين، وكانت سنه وقتئذ قد شارفت علي الأربعين حتي تمكن منها تحدثا وقراءة وفهما، وهو ما شهد به أحمد لطفي السيد حين ذكر أن الامام محمد عبده كان يجلو لأخوانه المصريين ما غمض من عبارات الفيلسوف الفرنسي "تين" في كتابه المشهور عن "الذهن" وقد أملي الامام محمد عبده في مرض موته فصلا بالفرنسية نشره المسيو "دي جرفيل" في كتابه عن مصر الحديثة بعنوان: "وصية سياسية

للمرحوم المفتي محمد عبده"، فضلا عن أن الامام قد ترجم عن الفرنسية كتاب "التربية" للفيلسوف الانجليزي "هربرت سبنسر" ترجمة تدل علي تمكنه من تلك اللغة.(٤٠)

وقد هداه إلهام البديهة إلي منهج في تعليم اللغات للكبار لم يكن معلوما في ذلك الحين، ولم ينتشر قط في البلاد الغربية أو الشرقية قبل وفاته، ونعني به المنهج الكلي أو منهج الابتداء بالكلام المجمل والانتهاء إلي التفاصيل المتفرعة عليه، فقد جاءه معلم الفرنسية وفي يده كتاب من كتب الأجرومية الأولية فقال للمعلم: "لاوقت عندي للابتداء من البداية فلنبدأ حيث تنتهي وتناول قصة من قصص "اسكندر توماس" ليقرأ عبارتها ويستمع لتصحيح المعلم لنطقه وتفسيره لمعانيها قال: "أما ما عدا ذلك فهو عملي، والنحو يأتي في أثناء العمل" وعلي هذا النهج أتم الكتاب وأسبقه بكتابين آخرين، وتعود بعد الدرس أن يطالع ما قرأه علي المعلم منفردا بصوت مرتفع ليسمع نطقه، ويتذكر مواضع خطئه وتصحيح معلمه، واختبر في نفسه نجاح هذا المنهج فأوصي به من كان يعرفهم من طلاب، ومنه استفاد الشاعر "حافظ إبراهيم" فوائد حسنة في هذا الشأن حين تحدث عن محاولته لترجمة كتاب "البؤساء" لفيكتور هيجو.

وكان الامام محمد عبده حريصا علي مطالعة الفكر الأوربي علي نطاق واسع وكانت مكتبته تحتوي فيما تحتويه من الكتب العديدة مثل كتاب "أميل" لجان جاك روسو، وكتاب "حياة يسوع" لشتراوس، وتآليف "رينان" وكتاب التربية "لسبنسر" ومؤلفات "تولستوي".(٤١)

الإمام محمد عبده مفتيا:

في عام ١٨٩٩م تم تعيين الامام محمد عبده مفتيا للديار المصرية وكانت فتاويه تنبعث من رؤية تنويرية عصرية تربوية ترتكز علي ما يلي:

- ميله إلي العقلانية والتسامح بالعلم ونبذ التقليد.
- ايمانه بحرية الانسان واستقلال الإرادة.
- الاهتمام باللغة كوسيلة للتفاعل الحضاري.
- الاعتماد علي تفسير روح القرآن الكريم دون التوقف عند حرفيته.

ومن خلال فتاويه وضع أسس دولة المواطنة القائمة علي المساواة بغض النظر عن الدين أو الجنس من ذكر أو أنثي، وهذا أعظم إنجاز حضاري قدمه الأستاذ الامام محمد عبده حيث أكد من خلاله علي المساواة بين غير المسلمين والمسلمين في القصاص والدية، وتحرير المرأة العربية من قيود التقاليد العربية التي تتعارض مع روح الدين الاسلامي مثبتا الحقوق الأساسية لها:

- المرأة إنسان هي شقيقة الرجل.
- إيمان النساء كالرجال.
- جزاء المؤمنات في الآخرة كالمؤمنين.

- مشاركة النساء للرجال في الشعائر الدينية والأعمال الاجتماعية والسياسية.
- مبايعة النبي (ص) للنساء كالرجال.
- أمر المرأة بالمعروف ونهيها عن المنكر.
- حقوق النساء المالية والميراث.

ومن أشهر فتاوي الأستاذ الامام محمد عبده:

- فتوي تبيح للمسلمين ادخار أموالهم وأخذ فوائد وأرباح.
- فتوي تبيح لهم ان يأكلوا من ذبائح غير المسلمين.
- فتوي تبيح لهم أن يتزيوا بزي غير زيهم التقليدي. [٤٢]

وهكذا يتضح طابع التجديد في فتاوي الاستاذ الامام محمد عبده التي ترتكز علي الاجتهاد وتحقيق دولة المواطنة القائمة علي المساواة بغض النظر عن الدين أو الجنس.

أثر الأسفار في نفس الإمام:

كان الامام محمد عبده ممن يعتقدون بأن الكتب وحدها لا تكفي لمعرفة الناس والحياة، بل كان يري أنه لابد ان يكمل الانسان ثقافته بالاطلاع علي ذلك الكتاب الكبير "كتاب العـالم" كمـا يقول الفيلسوف الفرنسي "ديكارت"، لهذا كان الاستاذ الامام محمد عبده حريصا علي أن يقوم كل عام ببعض الرحلات إلي خارج بلاده، وكان يقول عندما يريد السفر إلي أوربا "إنني أذهب لكي أجدد نفسي" وقد زار الامام كثيرا من بلاد أوربا وأفريقيا وآسيا للوقوف علي أحوالها وفهم روح أممها وتحدث عن أثر تلك الأسفار في نفسه فقال:

"ما من مرة أذهب إلي أوربا إلا ويتجدد عندي الأمل في تغيير أحوال المسلمين إلي خيـر منها، وذلك بإصلاح ما أفسدوا من دينهم وتشحيذ عزائمهم إلي معرفة شئونهم وامتلاك ناصيتها بأيديهم دون افراط في ملتهم، وهذه الآمال وان كانت تضعف في نفسي عندما أعود إلي ديـاري لكثرة ما ألاقي من العنف، وشدة ما أصادف من المصاعب، وسـوء مـا أري مـن انـصراف المسلمين عن النظر في منافعهم، وشدة عداواتهم لأنفسهم، وقوة رغبتهم في تمكين ظالميهم مـن رقابهم، وحبهم في الاستعباد لهم لغير سبب معقول، ولكني متي عدت إلي أوربا ومكثـت فيهـا شهرا أو شهرين تعود إلي تلك الآمال ويسهل علي تناول ما كنت أعده من المحال". [٤٣]

وكان علي اتصال ببعض المفكرين الأوربيين فكتب رسالة إلي "تولستوي" وذهـب إلـي برايتون لمقابلة الفيلسوف الانجليزي "سبنسر" وهكذا أصبح الامام محمد عبـده بفـضل ثقافتـه الشاملة ومشاغله العامة من أوسع الناس شهرة وأحبهم إلي القلوب.. إن الصورة التي أخذت لـه علي سطح مجلس العموم في أثناء زيارته لانجلترا تظهر لنا رجلا وسيما مربوع القامة أسـمر اللون ذا سحر هادئ عجيب لا يقوي علي حجب بريق الإيمان في عينيه حجبا تاما، وقد ازدادت لديه في أواخر أيامه معالم اللطف والذكاء ونوع خاص من الروعة الروحية. [٤٤]

الحملة الشرسة ضد الامام محمد عبده:

أثار نشاط الامام محمد عبده الكثير من الشيوخ الرجعيين حتي كان الكثيرون منهم كما قال قاسم أمين يعترضون عليه قائلين: "ما هذا الشيخ الذي يتكلم اللغة الفرنسية ويسيح في بلاد الافرنج ويترجم مؤلفاتهم وينقل عن فلاسفتهم، ويباحث علماءهم ويفتي بما لم يقل به أحد من المتقدمين ويشترك في الجمعيات الخيرية ويجمع المال للفقراء والمنكوبين.. إن كان من أهل الدين فليقض حياته بين الجامع والبيت، وإن كان من رجال الدنيا فإنا نراه يعمل فيها وحده أكثر من جميع الناس".[٤٥]

وكانت علاقته بالخديوي عباس يشوبها شئ من الفتور الذي ظل يزداد علي مر الأيام، خاصة بعدما اعترض علي ما أراده الخديوي من استبدال أرض من الأوقاف بأخري له إلا إذا دفع الخديوي للوقف عشرين ألفا من الجنيهات فرقا بين الصفقتين... وتحول الموقف إلي عداء سافر من الخديوي عباس لدرجة انه كان يقول: "إنه يدخل علي كأنه فرعون" ويستمع محمد عبده إلي هذه الشكوي فيقول "وأينا فرعون".

وبدأت المؤامرات والدسائس تحاك ضد الاستاذ الامام وشنت بعض الصحف هجوما قاسيا عليه لتحقيره والنيل منه ولجأ خصومه من رجال الدين الرجعيين إلي العديد من الطرق الرخيصة والأساليب المبتذلة لتجريحه وتشويه صورته أمام العامة، حتي أضطر إلي الاستقالة من الأزهر سنة ١٩٠٥ وأثر ذلك أحس الاستاذ الامام بالمرض واشتدت عليه وطأته الذي تبين أنه السرطان، وأنشد في مرض موته كما يروي عنه الأمير شكيب أرسلان تلميذه الشامي هذين البيتين من الشعر:

ولست أبالي أن يقال محمد أبل أم اكتظت عليه المآتم

ولكنه دين أردت صلاحه أحاذر أن تقضي عليه العمائم

وما لبث أن توفي بالاسكندرية في (١١ يوليو ١٩٠٥) عن عمر بلغ سنة وخمسين عاما.[٤٦]

واقع عصر الاستاذ الامام محمد عبده:

يتأثر الفكر السائد لأي مفكر بواقع العصر الذي يعيش فيه، فمن خلاله ينمو هذا الفكر، وتزدهر أصوله، ويتألق رجاله في حياتهم العقلية والوجدانية.

وإذا كان الفكر انعكاسا لواقع هذا العصر، فليس معني ذلك أنه انعكاس سلبي، فالرابطة بينه وبين الواقع رابطة جدلية فكلاهما مؤثر ويتأثر.. ومن الطبيعي أن فكر الاستاذ الامام محمد عبده بوجه عام وفكره التربوي بوجه خاص لم يظهر اعتباطا وإنما ظهر نتيجة تأثير ظروف سياسية واقتصادية ثقافية شهدها المجتمع آنذاك، كما أنه لم يكن نتاج ظروف المجتمع فحسب، بل إنه أسهم مع غيره من الأفكار الأخري في تغيير الواقع الاجتماعي.

شهد الأستاذ الامام محمد عبده عدة حكام تعاقبوا علي حكم مصر هم عباس الأول وسعيد وإسماعيل وتوفيق وجزءا من حكم عباس حلمي الثاني كما شهد أيضا فترة من الاحتلال البريطاني في مصر.

وفيما يلي دراسة واقع العصر الذي عاش فيه الاستاذ الامام محمد عبده من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية علي اعتبار أنه تأثر بها وأثر فيها.

أ- واقع الحياة السياسية في عصر الامام محمد عبده:

كان أهم ما يميز تلك الفترة ظهور النزعة القومية قبل عهد الاحتلال البريطاني لمصر في عهد سعيد، وقد ساعد علي ذلك دخول أبناء الفلاحين في الجيش ووصول بعضهم إلي المناصب الكبيرة في الإدارة المدنية مثل رفاعة الطهطاوي وعلي مبارك ومحمود الفلكي.

غير أن الحركة القومية بدأت تظهر بوضوح خلال عهد اسماعيل حيث طالبت من جهة بحقوق الشعب السياسية من جهة ومنع التدخل الأجنبي والاحتفاظ باستقلال البلاد من جهة أخري، وبدأت البلاد تشهد نظاما دستوريا حيث أقام اسماعيل مجلس شوري النواب سنة ١٨٦٦ برغم أن رأيه كان استشاريا إلا أنه كان له اتجاهاته الوطنية التي تجلت في التعليم الشعبي ومواجهة التدخل الأجنبي، وكتب الامام محمد عبده في تلك الفترة عدة مقالات تتعلق بأهمية الشوري في الحكم ومقاومة التدخل الأجنبي الذي تمثل في الرقابة المالية الأجنبية علي مصر نتيجة الأزمة المالية، وانتهي الأمر بعزل إسماعيل.[٤٧]

زادت الحركة القومية اشتعالا في عصر توفيق الذي عطل الحياة النيابية، وقويت في الثلاث سنوات الأولي من حكمه ثلاث حركات متشابكة، حركة الذين رأوا عن شعور وطني في خضوعه لنفوذ أوربا خطرا علي استقلال مصر، وحركة الذين كانوا عن مبدأ أو مصلحة يريدون احلال الحكم الدستوري محل الحكم المطلق، وحركة الضباط المصريين الذين أرادوا القضاء علي سيطرة الضباط الأتراك الشراكسة علي الجيش، وقد أدت السياسية البريطانية الفرنسية المؤيدة للخديوي توفيق إلي صهر هذه الحركات تدريجيا في حركة واحدة هي الثورة العرابية التي طالبت بعزل وزارة رياض المستبدة، وزيادة عدد الجيش إلي ١٨٠٠٠ جندي، وتأليف مجلس نيابي، وانضم الإمام محمد عبده إلي الثورة العرابية وطالب من خلال مقالاته في صحيفة الأهرام بإعادة الحياة النيابية ووضع حد للتدخل الأجنبي مما أدي بالخديوي توفيق إلي إقرار دستور ١٨٨٢ الذي أعاد الحياة النيابية واعطاء الحق لمجلس شوري النواب لمناقشة وتقرير ميزانية الدولة، غير أن انجلترا وفرنسا اعتبرت الثورة العرابية خطرا علي مصالحها وانتهي الأمر باحتلال مصر سنة ١٨٨٢.[٤٨]

وباحتلال انجلترا لمصر هيمن المعتمد البريطاني علي مقاليد الحكم في مصر حيث تم صبغ الإدارة المصرية بالصبغة الانجليزية، وأضعف الجيش المصري الذي لم يزد عدده عن

ستة آلاف جندي، ووضع الانجليز نظام البدل النقدي، وبذلك حرمت البلاد من روح الجندية وحارب الانجليز الوحدة الوطنية وتم تقييد حرية الصحافة وعدم السماح لها بالمساس للاحتلال.

ومن الطبيعي أن يتأثر التعليم بأحوال مصر السياسية في تلك الفترة حيث كانت أبرز خصائصه المركزية الشديدة وجعل اللغة الانجليزية لغة التعليم الرسمية وتشكيل المناهج التعليمية لتلائم أغراض الاحتلال.[٤٩]

ب- واقع الحياة الاقتصادية في عصر الامام محمد عبده:

لم يتميز عصر عباس وسعيد من الوجهة الاقتصادية إلا بإنشاء خطين للسكك الحديدية من القاهرة إلي كل من الإسكندرية والسويس، والبدء في حفر قناة السويس، وقد اهتمت انجلترا بالمشروع الأول لتسهيل مواصلاتها بين الشرق والغرب، وتولت فرنسا تنفيذ المشروع الثاني وتطلعت إلي السيطرة علي مصر من جديد بعد فشل محاولة نابليون سنة ١٧٩٨.

وفي عهد سعيد تم إلغاء نظام الاحتكار وأعيدت الأراضي إلي الفلاحين المصريين.

وفي عصر إسماعيل حدث توسع في مساحة الأراضي الزراعية حيث بلغت مساحتها (٥) مليون فدانا نتيجة اهتمامه بمشروعات الري وشق الترع مثل ترعتي الإبراهيمية والاسماعيلية، وبدأت مصر تجني أرباحا طائلة في بداية عصر إسماعيل بسبب اختفاء القطن الأمريكي من الأسواق لقيام الحرب الأهلية في أمريكا، كما أسس عددا من المصانع ومد خطوط السكك الحديدية، غير أن تلك الاصلاحات الاقتصادية ضاعت قيمتها نتيجة تراكم الديون علي مصر واستفحال الأزمة المالية بسبب تبذير إسماعيل في إنفاق الأموال علي ملذاته ورحلاته في أوربا وإسرافه في منح الهدايا والرشاوي للباب العالي، فضلا عن نفقات حفر القناة التي وصلت إلي ١٦,٨ مليون جنيها، ونفقات حفلة افتتاح القناة التي وصلت إلي ١,٤ مليون جنيها، الأمر الذي أدي إلي وصول ديون مصر في عهده إلي (٩١) مليون جنيها مما أدي إلي بيع أسهم قناة السويس بأبخس الأثمان، وبدأ التدخل الأجنبي بسلسلة من الاجراءات تمثلت في إرسال بعثة كيف، ثم إنشاء صندوق الدين، ووضع نظام المراقبة الثنائية، وتأليف وزارات بها وزيران أجنبيان أحدهما إنجليزي للمالية والآخر فرنسي للأشغال وانتهي الأمر باحتلال انجلترا لمصر سنة ١٨٨٢.[٥٠]

وباحتلال انجلترا لمصر تميزت ملامح الاقتصاد المصري بالسيطرة الأجنبية علي النشاط المالي وزيادة رؤوس الأموال الأجنبية المستثمرة في مصر، وكثرة البنوك الأجنبية، والتخصص الزراعي وتأخر الصناعة والتبعية التجارية لانجلترا، وانخفاض مستوي دخل الفرد المصري حيث لم يزد متوسطه خلال فترة الاحتلال عن (٣٠) جنيها سنويا، فضلا عن انتشار البطالة حيث بلغت نسبتها أكثر من ٥٠% وترتب علي ذلك كثرة الجرائم بأنواعها من سرقة وتسول وفساد وتزوير وغش.[٥١]

ج- واقع الحياة الاجتماعية في عصر الإمام محمد عبده:

تميزت الحياة الاجتماعية في عصر الإمام محمد عبده بوجود تفاوت كبير في البناء الطبقـي حيث كان علي قمة هذه الطبقات كبار ملاك الأراضي والتي كانـت تمتلـك ٤٣,٩% مـن جملـة الأراضي الزراعية، وقد اعتبر كبار ملاك الأراضي أنفسهم الطبقة المؤهلة لحكم المجتمع واحتلـوا أغلب المجالس النيابية التي عرفتها مصر سنة ١٨٦٦، وكان منهم النظـار والمـديرون ورؤسـاء المحاكم، وتميزت نظرة أفراد هذه الطبقة بالمحافظة والخشية من أي تغير اجتمـاعي، وفـي ظـل الاحتلال قبلت هذه الطبقة الحكم الانجليزي لما وفره لها من رخاء وأمن.[٥٢]

أما الطبقة الوسطي فقد مثلها فئتين: فئة المثقفين التي شـملت قطـاع يـشمل المـوظفين وأصحاب المهن الحرة من المحامين والمهندسين والأطباء والصحفيين وأساتذة المدارس العليـا والطلاب، وقد نشأت هذه الطبقة في عهد محمد علي علي إثر إنشاء نظام التعليم الحديث ودراسة التلاميذ للعلوم الحديثة واللغات الأجنبية، وبرغم ارتفاع المستوي الثقافي والتعليمي لهذه الطبقـة، إلا أنها كانت محرومة من شغل المراكز اللائقة التي كانت قاصرة علي الانجليز والأجانب.

أما الفئة الأخري فهي تمثل التجار وأصحاب الورش الصناعية الـصغيرة التـي تـأثرت بالاحتلال البريطاني بعد أن سيطرت العناصر الأجنبية علي النشاط الصناعي والتجاري وأسواق التجارة الداخلية.

وتمثلت الطبقة الثالثة في عامة الشعب من عمال وفلاحين، وقد اتسمت أحوال العمال بأجورهـا المنخفضة، ولم يكن يتعدي أجر العامل غير الفني (٣) قروش يوميا والعامل الفني عـن (٨) قـروش يوميا... أما الفلاحون فقد كانوا يشكلون غالبية سكان مصر بالنسبة للطوائف الأخري لأن مصر بلـد زراعي حيث شكلوا ثلثي سكان مصر وكانوا لا يملكون إلا (١,٣٠٠,٠٠٠) فدانا من جملة أراضـي مصر التي كانت تقدر بحوالي (٥) مليون فدانا، وقد عاني الفلاحون من الضرائب الكثيفـة والـسخرة وهي تلك الضريبة الجسمانية التي يؤديها الفلاحون بالاكراه وبدون أجر.

وقد حاول الاحتلال البريطاني كسب مهادنة الفلاحين بما ألغاه من السخرة والكربـاج... وتميزت أحوال الفلاحين بصفة عامة بانخفاض مـستوي المعيـشة والمعتقـدات الاستـسلامية والتخلف الفكري الشديد بسبب انتشار الأمية بينهم بشكل ساحق.

أما الطبقة الرابعة فتتمثل في الطوائف الأجنبية التي تمثلت فـي الأوربيـين الـذين إزداد تدفقهم في عهد سعيد واسماعيل نتيجة الامتيازات والتسهيلات التـي منحـت لهـم، وتملكـت الأراضي الزراعية والبيوت والمباني التي كانت معفاة من الضرائب، كما شغلوا عدد كبيرا من الوظائف الأخري.[٥٣]

كذلك ازداد عدد اليهود حيث بلغ عددهم حسب احصاء ١٨٩٧ (٢٥,٠٠٠) يهودي اشتغلوا بالأعمال التجارية، كما كان هناك طائفة الأتراك التي تمتعت بامتيازات كثيرة خلال حكم عباس

وسعيد وإسماعيل، وكان منهم ضباط الجيش وكبار ملاك الأراضـي، كمـا شـغلوا مناصـب محافظي المديريات، وبوجود الاحتلال البريطاني فقد الأتراك والشراكسة مراكزهم القيادية فـي الجيش، ومن الفئات الأخري الجالية الشامية التي جاءت إلي مصر هربا من ظلم الحكم التركي، وكان الكثير منهم علي درجة كبيرة من الثقافة وإجادة اللغات الأجنبية وقد وصلوا إلـي أعلـي المراكز الإدارية وكان منهم معظم المحاسبين والمترجمين.(٥٤)

وقد انحطت أحوال المرأة وخاصة في الطبقات الفقيرة، وكان الرجل هو الحـاكم بـأمره ونهيه ولم يكن للمرأة إلا الطاعة والخدمة اليومية والحمل والولادة وبخاصة في الريـف وعنـد الكادحين.(٥٥)

د- واقع الحياة الفكرية في عصر الإمام محمد عبده:

إذا كانت مصر خلال عصر الإمام محمد عبده قد شهدت تدهورا في أحوالهـا الـسياسية والاقتصادية والاجتماعية فإن هذه الفترة تميزت بالبعث الثقافي والتنوير الفكري فقد شهدت هذه المرحلة حركة بعث وإحياء للثقافة العربية القديمة مع انفتاح علي الثقافة الأوربية الحديثة، كمـا حدث تحول في الأفكار ووعي متزايد لدي قطاع من المتعلمين والمثقفين بمشاكل مجتمعهم.

وترجع مظاهر التطور الفكري بمصر خلال تلك المرحلة إلي عدة عوامل مختلفـة لعـل أهمها: نشأة التعليم الحديث علي يد محمد علي الذي جعل هدفه منه خدمـة الجـيش وتخـريج الموظفين اللازمين لبناء الدولة الحديثة، وإذا كان عصر عباس وسعيد يعد عصر ظلام فكـري فإن الحركة التعليمية ازدهرت من جديد في عصر إسماعيل وخاصة في الفتـرة الأولـي مـن حكمه، فقد أعيد إنشاء ديوان المدارس ١٨٦٣ ليشرف علي التعليم ويرعاه، وكان من أبرز مـن ساهم في هذه النهضة التعليمية إثنان من أبناء الفلاحين الذين تثقفوا ثقافة أزهرية ولكنهم اتصلوا في الوقت نفسه بأوربا عن طريق البعثات العلمية، وهذا يدلنا علي أن التوجيه الثقافي بدأ ينتقـل إلي جيل جديد من المثقفين الذين حاولوا التوفيق بين الثقافتين العربية والأوربية، وأهم ممثلي هذا الجيل الرائدان (رفاعة الطهطـاوي) (١٨٠١ – ١٨٧٣) و (علـي مبـارك) (١٨٢٣- ١٨٩٣) وبجهودهما أخذ التعليم يتجه إلي محاولة تعليم أبناء وطنهما بدلا من أن يدور في دائرة احتياجات الوالي وحده، وأصبح نظام التعليم الذي كان أشبه بالهرم المقلوب في عهد محمد علـي يتميـز بالاعتدال، وأصبحت العناية بالتعليمين الابتدائي والثانوي تسير جنبا إلي جنب مع العناية بالتعليم العالي، وترتب علي ذلك زيادة أعداد الطلبة، وأصبحت الغالبيـة العظمـي مـنهم مـن أبنـاء المصريين كما زاد عدد الكتاتيب في القري حتي بلغ عددها في سـنة ١٨٧٨ (٥٣٧٠) مكتبـا، وامتدت النهضة التعليمية إلي ميدان العلوم النظرية بعد أن كانت مقتصرة علي العلوم الطبيعيـة وحدها فأسست مدرسة الإدارة سنة ١٨٦٨ لتدريس القانون، كما كثر عدد المدارس الأجنبية حتي بلغ عددها (٧٠) مدرسة.(٥٦)

وأعاد إسماعيل إلي البعثات اعتبارها بعد أن قلت وتضاءلت حيث بلغ عدد أفرادها (١٧٢) مبعوثا اتجه معظمهم إلي فرنسا ولئن تميز النصف الأول من القرن التاسع عشر بازدهار التعليم العالي بصفة خاصة، فقد تميز النصف الثاني من القرن التاسع عشر بمحاولة إصـلاح التعلـيم الشعبي وتمثل ذلك في مشروعين: مشروع لائحة رجب ١٨٦٧ التي كانت ترمي إلي إصـلاح الكتاتيب والإكثار منها، ومشروع التعليم القومي الذي قدمه قومسيون تنظيم المعارف سنة ١٨٨٠ وكان يهدف إلي إصلاح التعليم الشعبي وتوحيده وتعميمه لجميع أبناء الشعب، غيـر أن هـذين المشروعين لم يترجما إلي واقع عملي بسبب الظروف المالية والسياسية، وشهد هـذا العـصر إنشاء دار العلوم سنة ١٨٧٢، كما تم إفتتاح أول مدرسة ابتدائية لتعليم البنات سنة ١٨٧٢ هـي مدرسة السيوفية وأعقبها افتتاح مدرسة أخري سنة ١٨٧٤.[٥٧]

وباحتلال انجلترا لمصر سنة ١٨٨٢ أقام الاستعمار الانجليزي سياسـته التعليميـة علـي توجيه التعليم وجهة نفعية ضيقة تتمثل في تخريج الموظفين الكتابيين، وتدعيم الثنائية التعليميـة التي تتمثل في وجود نوعين من التعليم تعليم ديني وتعليم مدني والمباعدة بين التعليم والانتـاج، وتضييق نطاق التعليم والحد من الانفاق عليه، وفرض المصروفات الباهظة علي التعليم المـدني والتشدد في الامتحانات وإضعاف الثقافة الوطنية عن طريق فرض اللغة الانجليزية في المنـاهج الدراسية إلي جانب المركزية الشديدة وتشجيع التعليم الأجنبي، ونتيجـة لـذلك نـشأت بعـض الجمعيات الأهلية التي استهدفت إنشاء المدارس لتعليم أبناء الفقراء بالمجان لعل أهمها الجمعيـة الخيرية الإسلامية التي ساهم الإمام محمد عبده في تأسيسها والتي أنشأت عدة مـدارس لتعلـيم أبناء الفقراء بالمجان.[٥٨]

ومن العوامل التي أسهمت في اليقظة الفكرية في تلك الفترة ازدهار حركة الترجمـة فـي عهد إسماعيل بعد أن توقفت في عهد عباس وسعيد، وقد كانت الفترة الأولي من حكمه منـصبه علي الاهتمام بترجمة الكتب العلمية، غير أنه في خلال فترة حكمه الأخيرة نشط اتجاه ترجمـة الكتب الأدبية، ومن أهم الكتب السياسية التي ترجمت في تلك الفتـرة "تـاريخ تمـدن الممالـك الأوربية" للسياسي الفرنسي (جيزو) ترجمة حنين نعمة ا الخوري سنة ١٨٧٦، وقد لعب هـذا الكتاب دورا هاما في حركة التوعية السياسية والاجتماعية وقد أعجب الإمام محمد عبـده بهـذا الكتاب وكان يقوم بقراءته علي تلاميذه في الأزهر.[٥٩]

وفي عصر الاحتلال إنهال سير الترجمة بعد أن أصبحت حرة لـيس للدولـة يـد فـي تشجيعها، وكان أحمد فتحي زغلول من أنشط مترجمي هذه الفترة وقد اهتم أساسا بالموضوعات السياسية والاجتماعية ومن أشهر الكتب التي ترجمها كتاب مبادئ التشريع "لبنتام" وسـر تقـدم الانجليز السكسونيين "لأدمون ديمولان" وشهدت هذه الفترة ترجمة العديد من الكتب التربوية منها علي سبيل المثال "التربية" تأليف "هربرت سبنسر" وترجمه من الفرنسية الإمام محمـد عبـده، و"القول المنتخب في التربية والأدب" تأليف "بليتيه" وترجمة "أحمد حسين" ١٨٩٦.[٦٠]

وكان للنهضة الصحفية في تلك الفترة أثر كبير في ظهور اليقظة الفكرية حيث بلغ عدد الصحف والمجلات العربية الصادرة في عهد إسماعيل سبع وعشرون صحيفة ومجلة منها ما هو رسمي كمجلة "اليعسوب الطبية" (١٨٦٥) "وروضة المدارس" (١٨٧٠) ومنها ما هو شعبي كصحيفة "وادي النيل" (١٨٦٧) "ونزهة الأفكار" (١٨٧٩)، "وأبي نظارة" (١٨٧٧)، أما الصحف الأجنبية فقد انتشرت انتشارا كبيرا حتي زادت علي الصحف العربية وأصبح عددها أكثر من ثلاثين صحيفة، ولما جثم الاحتلال علي صدر مصر أغلقت أكثر الصحف أبوابها حتي إذا نشط الرأي العام من جديد عادت الصحف إلي النشاط فأنشأ عبد ا النديم صحيفة "الأستاذ" (١٨٩٢)، وأنشأ الشيخ علي يوسف صحيفة "المؤيد" (١٨٩٩)، وأنشأ مصطفي كامل صحيفة "اللواء" سنة (١٩٠٠)، وتنوعت موضوعات الصحف فمنها من اهتم بالجانب الوطني كصحيفة "اللواء"، ومنها ما اهتم بالقضايا الاجتماعية كصحيفة "المؤيد" حيث ظهرت فيها مقالات تدعو إلي تحرير المرأة بقلم قاسم أمين سنة (١٨٩٩)، وعلي صفحات الوقائع والأهرام ظهرت مقالات الإمام محمد عبده تنتقد أساليب التربية والتعليم والعادات السيئة في المجتمع وتطالب بإصلاح وتنقية المجتمع المصري من البدع والخرافات.[٦١]

ولعبت المطابع ودور الكتب دورا هاما في اليقظة الفكرية في مصر خلال تلك الفترة، فقد تمكن إسماعيل من استرداد مطبعة بولاق المشهورة التي اهداها سلفه سعيد باشا إلي عبد الرحمن رشدي، وتوالي إنشاء المطابع بعد ذلك نذكر منها مطبعة الديوان، ومطبعة أركان حرب، ومطبعة النيل، والمطبعة الوطنية بالاسكندرية، ثم توالي إنشاء المطابع الأهلية، وقد أدي أنتشار المطابع إلي طبع الكتب العربية القديمة التي ألفت في عصور ازدهار الحضارة العربية الاسلامية مما أدي إلي إطلاع المثقفين علي نماذج من التراث العربي لم يكونوا يعرفونها، كما تولت المطابع طبع الكتب الغربية التي كان يترجمها أعلام المصريين فضلا عن الاهتمام بإنشاء دور الكتب العامة أمام المتعلمين، فأنشأ علي مبارك دار الكتب المصرية (١٨٧٠)، وإلي جوار دار الكتب أنشئت مكتبات أخري كالمكتبة الأزهرية سنة (١٨٧٩)، ومكتبة الجمعيات العلمية.[٦٢]

وقد ازدهرت الحركة الفنية في تلك الفترة فتم إنشاء دار الأوبرا في عهد إسماعيل حيث تم استدعاء فرقة أجنبية قامت بتمثيل رواية عايدة باللغة الفرنسية، وبدأت الفرق المسرحية تتواجد بمصر منذ ذلك الحين، نذكر من أهمها فرقة "سليم نقاش" وفرقة "يعقوب صنوع" التي مثلت أمام الخديوي إسماعيل روايتين أحداها بعنوان "غندور مصر" والثانية بعنوان "الضرتان"، ولم يكن التمثيل في ذلك العهد وسيلة للكسب وإنما كان وسيلة لاشباع الهواية، وعالج التمثيل مشكلات المجتمع واتصل بموضوعات التاريخ وشهد ذلك العهد عددا من المطربين والملحنين الذين طوروا الموسيقي والغناء أمثال سلامة حجازي ومحمد عثمان.

وظهرت في تلك الفترة بعض الجمعيات العلمية والأدبية التي أسهمت في نمو النشاط الفكري، وتنوعت هذه الجمعيات فمنها من اهتم بنشر الثقافة العلمية كالمجمع العلمي الذي أسسه

الفرنسيون سنة (١٧٩٨)، والجمعية الجغرافية التي أسست سنة (١٨٧٥)، ومنها من اهتم بنـشر الثقافة الأدبية كجمعية الاعتدال سنة (١٨٨٦)، وجميعة "نادي رعمسيس" سنة (١٩٠٥)، ومـن الجمعيات ما اهتم بالتأليف والنشر كجمعيات المعارف لنشر الكتب سنة (١٨٦٨)، وشركة طبـع الكتب العربية سنة (١٨٩٨).(٦٣)

وبعد فإن الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتطور الثقافي الذي شهدته مصر في عصر الإمام محمد عبده كان له أثر كبير في ظهور مفاهيم واتجاهات تربوية جديدة لدي الأستاذ الامام محمد عبده ستكشف عنها دراستنا في الفصول المقبلة.

هوامش الفصل الأول

١- مجاهد توفيق الجندي، قراءة أولي في وثائق مجهولة، أضواء جديدة علي أوراق من ملف الإمام محمد عبده، مجلة الأزهر، أكتوبر ٢٠٠٥، جـ٢٩، السنة ٧٨، ص ١٢٢١.

٢- نفس المرجع السابق، ص ١٢٢٢.

٣- عبد السميع البطل، مجلة منبر الإسلام، العدد ٨، السنة ٢٥، نـوفمبر سـنة ١٩٦٧، ص ١٢٨.

٤- عباس محمد العقاد، عبقري الإصلاح والتعليم الأستاذ الامام محمد عبده، أعـلام العـرب (١) مكتبة مصر، الفجالة، ١٩٦٢، ص ٢٥.

٥- نفس المصدر السابق، ص ٨٠.

٦- نفس المصدر السابق، ص ٨٤.

٧- صلاح الدين حمزة، الامام محمد عبده وآراؤه النقدية والبلاغية، مطبعـة عابـدين، القـاهرة، ١٩٨٤، ص ١٩.

٨- نفس المصدر السابق، ص ٢٠.

٩- سمير حلبي، محمد عبده رائد الإصلاح في العصر الحديث،
Http:/ WWW, Islam on Line Net/ Arabic/ History/ 1422/ 07/ Article 29, Shimi, Page 1 of 7.

١٠- عثمان أمين، دروس للشباب في سيرة الأستاذ الامام محمد عبده، المجلس الأعلي للشئون الاسلامية، عدد ٤٠، نوفمبر ١٩٦٤، ص ١٢.

١١- نفس المصدر السابق، ص ٢١.

١٢- نفس المصدر السابق، ص ٢٢.

١٣- عباس محمود العقاد، مصدر سابق، ص ٣١.

١٤- نفس المصدر السابق، ص ٣٢.

١٥- عثمان أمين، دروس للشباب في سيرة الأستاذ الإمام محمد عبده، مصدر سابق، ص ٢٣.

١٦- نفس المصدر السابق، ص ٢٤.

١٧- محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ١، القاهرة، مطبعة المنار، ص ٢٣.

١٨- سمير حلبي، مصدر سابق، (انترنت) Page 1 of 7

١٩- عثمان أمين، دروس للشباب في سيرة الاستاذ الامام محمد عبده، مصدر سابق، ص ٣٠.

٢٠- نفس المصدر السابق، ص ٣١.

٢١- نفس المصدر السابق، ص ٣٢.

22- Charles Adams, Islam and Modernism in Egypt, London, 1933, P. 124.

٢٣- صلاح الدين حمزة، مصدر سابق، ص ٢٢

٢٤- نفس المصدر السابق، ص ٢٢.

٢٥- محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ٢، مطبعة المنار، سنة ١٩٣١، ص ٣٤.

٢٦- عباس محمود العقاد، عبقري الاصلاح والتعليم الاستاذ الامام محمد عبده، مصدر سـابق، ص ١١٣.

٢٧- البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، ترجمة كريم عزقول، مطبعـة النهـار للنشر، بيروت، ١٩٦٨، ص ١٦٤.

٢٨- نفس المصدر السابق، ص ١٦٥.

٢٩- عثمان أمين، دروس للشباب في سيرة الأستاذ الامام محمد عبده، مصدر سابق، ص ٣٣.

٣٠- البرت حوارني، مصدر سابق، ص ١٦٦.

٣١- عثمان أمين،دروس للشباب في سيرة الاستاذ محمد عبده،مصدرسابق، ص ٣٥

٣٢- البرت حوارني، مصدر سابق، ص ص ١٦٦- ١٦٧.

33- A.M. Brodley, How We Defended Arabic and His Friends, London, 1885.

٣٤- سمير حلبي، مصدر سابق، (انترنت) Page 5 of 7

35- Blunt , My Diaries, II , London, P.P 96- 97.

٣٦- البرت حوراني، مصدر سابق، ص ١٦٨.

٣٧- محمود سلامة محمود الهايشة، الامام المصلح محمد عبده، مائة عام علي وفاته (انترنت)، الحوار المتمدن، العدد ٢٢١٩، ٢٠٠٥، ٥-٦.

Mahmoud Elhaisha @ Yahoo. Com.

٣٨- عبد العاطي محمد أحمد، الفكر السياسي للامام محمد عبده، القـاهرة، الهيئـة المـصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨، ص ١٢٢.

٣٩- البرت حوراني، مصدر سابق، ص ١٦٩.

٤٠- عثمان أمين، دروس للشباب في سيرة الاستاذ الامام محمد عبـده، مـصدر سـابق، ص ١١٠.

٤١- نفس المصدر السابق، ص ١١١.

٤٢- أبو بكر القاضي، الامام محمد عبده ومدرسة الحداثة والتجديد، انترنت،

Sudanesoline, com, P. 9.

٤٣- عثمان أمين، دروس للشباب في سيرة الاستاذ الامام محمد عبـده، مـصدر سـابق، ص ١١١.

٤٤- نفس المصدر السابق، ص ١١٢.

٤٥- البرت حوراني، مصدر سابق، ص ١٦٦.

٤٦- قدري قلعجي، محمد عبده بطل الثورة الفكرية في الإسلام، أعلام الحريـة، العـدد ١٢، بيروت، دار العلم للملايين (د.ت) ص ١٩٢.

٤٧- البرت حوراني، مصدر سابق، ص ١٦٦.

٤٨- نفس المصدر السابق، ص ١٦٧.

٤٩- ابو الفتوح رضوان،جناية الاحتلال علي التعليم، مجلد الرائد،يوليو ١٩٥٦

٥٠- راشد البراوي ومحمد حمزة عليش، التطور الاقتصادي في مصر في العـصر الحـديث، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٤، ص ١٣٦.

٥١- نفس المصدر السابق، ص ١٤٣.

٥٢- عبد العظيم رمضان، صراع الطبقات في مـصر (١٨٣٧/١٩٥٢)، بيـروت، المؤسـسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٨، ص ١٤١.

٥٣- نفس المصدر السابق، ص ١٧١.

٥٤- لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث من عصر اسـماعيل إلـي ثـورة ١٩١٩، المبحث الأول، الخلفية التاريخية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠، ص ص ٣٢٥.

٥٥- نفس المصدر السابق، ص ٣٢٦.

٥٦- أحمد عزت عبد الكريم: تاريخ التعليم في مصر،جـ٢، القاهرة، مطبعة النـصر، ١٩٤٥، ص-ص ٣١٦- ٣١٧.

٥٧- محمد فوزي عبد المقصود: التربية والتعليم عبر العصور،مطبعة جامعة القـاهرة، فـرع الفيوم، ٢٠٠٢، ص- ص ١٨٢- ١٨٣.

٥٨- نفس المصدر السابق، ص ١٨٤.

٥٩- محمد يوسف نجم، العوامل الفعالة في تكوين الفكر العربي الحديث، الفكـر العربي فـي مائة عـام، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٦، ص-ص ٤٨- ٤٩.

٦٠- تدلنا الفهارس الموجودة في دار الكتب المصرية عن مؤلفي ومترجمي كتب التربية خلال هـذه الفترة.

٦١- علي الدين هلال، التجديد في الفكر العربي الحديث، القاهرة، معهد الدراسـات العربيـة العاليـة، ١٩٧٥، ص ٣١.

٦٢- شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، القاهرة، دار المعـارف، ١٩٧٧، ص ١٠١.

٦٣- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، جـ٤، القـاهرة، دار الهـلال (د.ت)، ص ص ٧٧- ٨٠.

الفصل الثاني

التربيـة

" مفهومها - أهميتها - أهدافها"

التربية

" مفهومها - أهميتها - أهدافها"

بلغ الوعي التربوي بمصر في نهاية القرن التاسع عشر ذروته بإصدار قرارات قومسيون تنظيم المعارف سنة ١٨٨٠، وكانت تستهدف نشر وتعميم التعليم في المرحلة الأولي وإقامة نظام تعليمي موحد فيها، وذلك بإذابة الفوارق بين التعليم في الكتاتيب والمكاتب الأولية من جهة والمكاتب الرسمية الابتدائية من جهة أخري، وتقديم لون من التعليم يتم فيه المزج بين المواد النظرية وبين دروس عملية وتمارين تطبيقية ترتبط بالبيئة وبالاحتياجات الاجتماعية ارتباطا مباشرا، وإقرار مبدأ إشراف الحكومة علي التعليم الشعبي، وإعداد معلمي المكاتب الأولية إعدادا موحدا.(١)

ومع أن هذا المشروع لم يترجم إلي واقع عملي بسبب الظروف المالية والسياسية التي تعرضت لها البلاد، إلا أنه أحدث يقظة قومية ووعي تربوي بأهمية التعليم وقيمته، وأخذت التربية تكتسب مكانة كبيرة كأداة لإصلاح المجتمع، وبدأ بعض المصلحين يرون أنها يجب أن تكون الأساس الأول لإصلاح المجتمع وتحقيق استقلاله، وان العمل التربوي يجب ان يسبق الأعمال الأخري في تحقيق هذه الغاية وكان علي رأس هذا التيار الأستاذ الإمام محمد عبده.

لم ينظر الأستاذ الإمام محمد عبده إلي التربية تلك النظرة الضيقة التي تقتصر وظيفتها علي تعليم التلاميذ وشحن أذهانهم بالمعلومات والمعارف، وإنما نظر إليها من منظور اجتماعي علي اعتبار أن لها قيمة في حل مشكلات المجتمع وتطويره وتحقيق تماسكه، فالتربية من وجهة نظره هي الأساس الأول لإصلاح المجتمع وتحقيق استقلاله، وأن العمل التربوي يجب أن يسبق الأعمال الأخري في تحقيق هذه الغاية.

فالتربية والتعليم هما السبيل لإيقاظ الوعي القومي للشعب وتأهيل أفراده للمساهمة في الحياة الجديدة، فبالتربية والتعليم تتجدد حيوية الأمم ويعاد تكوينها ويرجع تفضيل الأستاذ الإمام محمد عبده لأسلوب التربية كسبيل لإنهاض المجتمع وتحقيق استقلاله إلي عاملين:

العامل الأول : أنه جرب أسلوب السياسة وشارك في الثورة العرابية وتعرض للسجن والنفي فلم يثمر كل هذا الثمرة المرجوة، لهذا فقد آمن بأن عمل السنين في السياسة قد يضيع ولا يبقي من أثره ما ينفع، بينما عمل السنين في تربية الأمة لن يضيع ولن يذهب سدي. (٢)

العامل الثاني : استعداده وموهبته الشخصية التي فطرت علي حب التربية والتعليم، فقد اقبل في حماس علي التدريس في الأزهر بعد حصوله علي شهادة العالمية، وقرأ فيه دروسا في مواضيع كثيرة متنوعة، وكان إلي جانب هذا يقرأ في بيته دروسا في

الأخلاق والسياسة لطائفة من الطلاب الذين أقبلوا عليه، فقرأ لهم كتاب تهـذيب الأخلاق لابن مسكويه وحاضرهم في دار العلوم وألقي محاضرات في مقدمة بن خلدون، ولم يكن هذا النوع من الدرس بدء عهد جديد في مصر فحـسب، بـل كانت طريقة تدريسه أيضا مبتكرة لا عهد للبلاد بها، فقد كان الأسـتاذ الإمـام يبسط آراء المؤرخ العظيم في أسباب نهوض الأمم وسقوطها، وأصول الحضارة والعمران البشري والاجتماع الانساني، ثم يعقب عليها بآرائـه الخاصـة فـي الشئون السياسية والاجتماعية، تلك الآراء التي كان يـستقيها مـن المـصنفات الحديثة، ثم يطبق هذا بطريقة عملية علي شئون أمته، وقد عمل في الوقت نفسه مدرسا للعلوم العربية في مدرسة الألسن فجمع بين العمل فيها وفي الأزهر وفي دار العلوم، وفي أثناء منفاه اشتغل بالتدريس في المدرسة الـسلطانية ببيـروت، ولما عاد من النفي كان يتمني التدريس في دار العلوم، إلا أن ولاة الأمور خشوا من تأثيره علي الطلاب فأبعدوه عن التدريس واختاروا له وظيفة القضاء، ولمـا حيل بينه وبين معاهد التعليم أسف لذلك وأوشك أن يستعفي ولاة الأمـور مـن وظيفته القضائية لأنه كما قال: "إنما خلقت لكي أكون معلما" فهو قد جرب عمله في التدريس وعلم أنه خلق له. (٣)

وعقب "تشارلز آدمز" علي ذلك قائلا: "وفي الحق أن الخطة التي اختطها في حياته العامة فيما بعد، تظهر في جلاء ووضوح أن ميله إلي التربية كان يملأ شغاف قلبه، وتدل في صـدق علي أنه لم يولد إلا لمثل هذه الحياة". (٤)

وفيما يلي مناقشة اتجاهات التجديد لدي الأستاذ الإمام محمد عبده حول مفهـوم التربيـة وأهميتها وأهدافها.

أولا: مفهوم التربية:

كان المفهوم الشائع عن التربية في تلك الفترة يتمثل في معنيين:

أولهما : أنها عملية مرادفة لتهذيب الخلق، كأن يسلك التلميذ سلوكا يتسم بالوقار والهـدوء وعدم استخدام الألفاظ القبيحة، والالتزام بطاعة الأوامر وحفظ النظام.

ثانيهما : معرفي ويتمثل في شحن الذهن بالمعارف الموجودة في كتب التراث وتسميعها.

ونتيجة لذلك لم يكن هناك اهتمام بالتربية الجسمية والتربية الوجدانية، وأهمـل شـأن التوجيه الاجتماعي للتربية، ويمكن إبراز مفهوم التربية عند الأستاذ الإمام محمد عبـده ومـا فيها من جوانب تجديد كما يلي:

١- التربية عملية فردية اجتماعية:

أكد الاستاذ الامام محمد عبده علي أن التربية هي عملية إنماء الفرد مع توجيه هذا النمو وجهة تفيد المجتمع وفي ذلك يقول: "إن التربية هي عملية إعداد الفرد للمعيشة الصالحة في نفسه ومع الناس الذين يعيشون معه فإذا تربي الإنسان احب نفسه لأجل أن يحب غيره، وأحب غيره لأجل أن يحب نفسه".(٥)

وتنادي التربية الحديثة بنفس هذا المبدأ فهي تنظر إلي التربية علي أنها عملية تعمل علي انماء الفرد إلي أقصي حد تمكنه قدراته واستعداداته، مع توجيه هذا النمو وجهة اجتماعية بحيث يكتسب الفرد الطابع الاجتماعي لهذا المجتمع حتي يستطيع أن يحيا فيه، وهو ما يدل علي أن الاستاذ الامام كان سابقا لعصره في الفكر التربوي.

٢- التربية عملية متكاملة:

فقد أكد الاستاذ الامام محمد عبده علي ان "التربية ينبغي ان تكون عملية شاملة متكاملة لان نمو الانسان يتم بطريقة متكاملة من النواحي البدنية والعقلية والنفسية في آن واحد، وهذه الجوانب يؤثر ويتأثر بعضها ببعض".(٦)

ويتفق رأي الاستاذ الامام مع المفهوم الحديث للتربية الذي يقوم علي ان التربية عملية متكاملة لا تقتصر علي جانب واحد من جوانب الشخصية الانسانية، وعلي هذا الأساس ينبغي أن تشمل التربية جوانب الانسان الجسمية والعقلية والعاطفية والاجتماعية والخلقية.

٣- التربية هي الحياة:

التربية بمفهومها الحديث هي خبرة حية يكتسبها الانسان من خلال تفاعله مع البيئة التي يحيا فيها. وقد عبر الاستاذ الامام عن هذا المفهوم قائلا: "كل إنسان لا ينضج ولا يستو إلا من خلال تجارب الحياة وشدائدها، فالشدائد والتجارب تخلق الرجال وتصنع الأبطال".(٧)

٤- التربية عملية مستمرة:

أصبحت التربية المستمرة مطلبا هاما من مطالب المجتمعات الحديثة ومبدأ هاما من المبادئ التي تأخذ بها النظم التعليمية الحديثة، حيث أصبح من الضروري للأفراد مواصلة تعليمهم للحاق بمطالب الحياة المتغيرة من حولهم.

وعبر محمد عبده عن هذه الحقيقة بقوله: "ينبغي أن يسعي الانسان إلي طلب العلم والمعرفة واستكناه الحقائق طوال حياته، وأكمل الناس علما وفهما الذين لا ينقطعون عن طلب العلم طوال حياتهم".(٨)

٥- التربية عملية متغيرة

فالنظرة الحديثة للتربية تقوم علي أنها عملية متجددة تتغير بتغير الأهداف وتغير الزمـان والمكان، مما يجعلها ذات أنماط متعددة، وقد أكد الاستاذ الامام محمد عبده علي هـذه الحقيقـة بقوله: "إن التربية وسيلة لتحقيق غرض معلوم وتتغير وسائل التربية بتغير الزمان والمكان".[٩]

أهمية التربية:

تتضح أهمية التربية لدي الاستاذ الامام محمد عبده كما ذكرنا في وجوب ان يكـون لهـا السبق والأفضلية علي غيرها من الوسائل الأخري في إصلاح المجتمع وتحقيق استقلاله، وقـد وجدت هذه الفكرة في أواخر القرن التاسع عشر تأييدا قويا لها في كتاب فرنـسي أصـبح الآن منسيا، لكنه أحدث ضجة كبيرة في ذلك الحين، وهو كتاب "سر تفوق الأنجلو سكسون" لديمولان، وهو في هذا المؤلف يرجع أسباب استيلاء الشعوب الأنجلو سكسونية علي العالم ووصولهم إلي أعلي درجات القوة والازدهار بين جميع شعوب العالم إلي التربية، حيث كان أسـلوب التربيـة لديهم يرتكز علي دعامتين هما: تدريب الانسان علي العيش في العالم الحديث، واحترام حريـة الانسان وتنمية روح المبادرة الفردية لديه.[١٠]

وفيما يلي آراء الأستاذ الامام محمد عبده وما تتضمنه من اتجاهات جديدة حول أهمية التربية وقيمتها:

١- التربية عامل هام في تحقيق التطور والارتقاء:

أوضح الاستاذ الامام محمد عبده "إن ارتقاء الشعوب وتطورها يقاس بما لدي الأمم مـن معارف وأفكار، فالأمة ذات البسطة في الأفكار والمهارة في المعارف هي الأقوي سلطانا وهـي غالبة علي سواها من الأمم".[١١]

وفي موضع آخر أشار إلي "أن مرجع الارتقاء في عادات الأمة وأخلاقهـا هـو التربيـة وليس القانون، فالتربية هي التي تنمي وتصلح والقانون هو الذي يحفظ ويحرس"[١٢]

ويذكرنا ذلك برأي جون ديوي فيلسوف التربية الأمريكي حيث ذكر في المادة الخامسة من مؤلفه "عقيدتي التربوية" أن التربية هي الطريقة الأساسية للتقدم والاصلاح الاجتمـاعي، وكـل إصلاح لا يعتمد إلا علي قوة القانون أو الرهبة من بعض العقوبات، أو التغييـر فـي التنظـيم الخارجي أو الآلي، فهو إصلاح عابر لا قيمة له.[١٣]

وفي موضع ثالث، بين الامام محمد عبده "أن التأخر الحقيقي في البلاد هو عـدم سـريان روح التربية الشرعية التي تجعل إحساس الانسان بمنافع بلاده كاحساسه بمنافع نفسه، وشـعوره بأضرار وطنه كشعوره بأضرار نفسه" وهو يري أن التربية مفتقدة في مصر منذ عهـد محمـد علي.. "حقا إنه أرسل جماعة من طلاب العلم إلي اوربا ليتعلموا فيها، فهل أطلق لهم الحرية في

أن يبثوا في البلاد ما استفادوا؟ كلا ولكنه أتخذهم كآلات تصنع له ما يريـد.. وظهـر بعـض الأطباء الممتازين وهم قليل، وظهر بعض المهندسين الماهرين وهم ليسوا بكثير، والسبب فـي ذلك أن محمد علي ومن معه لم يكن فيهم طبيب ولا مهندس، فاحتاجوا إلي بعض المـصريين. كان يختطف تلامذة المدارس من الطرق وأفناء القري كما يتخطف عساكر الجيش فهل هذا مما يحبب القوم في العلم ويرغبهم في إرسال أولادهم إلي المدارس. بلي كان يخوفهم من المدرسـة كما كان يخيفهم من الجيش".[١٤]

وأشار الأستاذ الإمام إلي النتائج التي تترتب علي فقدان التربية قائلا: "إذا افتقـد الانـسان التربية فقد افتقد كل شئ، فلن يستطيع أن يتحلي بالعدل أو الغني أو الكمال إلا إذا كان مـصقولا بالتربية والتعليم، ذلك أن عدل الجاهل ظلم، فإن صدر عنه العدل بطريقة المصادفة لا عن قصد، فلابد له من التخبط فيظلم، وإن غناه فقر، فإن أتي هذا الغني من الحظ فلابد يوما أن يختل سيره فيفتقر، وإن كمال الجاهل نقص، فإنه طلاء علي حائط خرب عما قريب يكـشط ويتنـاثر منـه التراب ثم ينهدم".[١٥]

لقد اقتنع محمد عبده بأن تقدم المجتمع وارتقائه لا يتحقق إلا بالتربية، وأن التقدم لن يكون ثابتا إلا إذا سار وئيدا أكيدا، ومن هنا نفهم لم أقلع محمد عبده عن الأساليب الثوريـة التـي لـم تحقق شيئا، وآثر أسلوبا أبطأ ولكنه أبقي أثرا وهو طريق التربية، تربية الشعب وتربية القـادة، تربية الشعب لفهم الحياة والسير فيها، وتربية القادة لتوجيه الشعب في قراه ومدنه.[١٦]

وقد كان يعجب للنبهاء الذين لا يتفرغون للتربية بدلا من الانشغال بالسياسة، حيث عبـر عن ذلك قائلا: "أني لأعجب لجهل نبهاء المسلمين، كل همهم في السياسة وإهمالهم أمر التربيـة الذي هو كل شئ وعليه يبني كل شئ، إن السيد جمال الدين كان صاحب اقتدار كبير لو صرفه ووجهه للتربية والتعليم لأفاد الاسلام أكبر فائدة، وقد عرضت عليه حين كنا في باريس أن نترك السياسة ونذهب إلي مكان بعيد عن مراقبة الحكومات، ونربي ما نختـار مـن التلاميـذ علـي مشربنا، فلا تمضي عشر سنوات إلا ويكون عندنا كذا وكذا من التلاميذ الذين يتبعوننا في تـرك أوطانهم، والسير في الأرض لنشر الاصلاح المطلوب فينتشر أحسن الانتشار".[١٧]

لقد اتبع محمد عبده في سعيه لإنهاض مصر أسلوبا قريبا من الأساليب المتبعة اليوم فـي التخطيط لإنهاض البلاد المتخلفة ومساعدتها علي الارتقاء، وبالطبع فهو لم يكن يفكر في وضـع مشاريع ذات مدي طويل أو قصير لتحقيق الاصلاح عن طريقها علي مراحل، كما أنه لم يهـتم بجمع المعلومات الاحصائية التي تستخدم اليوم في وضع مخططات التنفيذ، ولكنه تناول مـسألة الاصلاح في المجتمع المتقهقر وكيفية حدوثه، وأثار حولهما عددا مـن الأسـئلة التـي تواجـه المهتمين بالتخطيط التربوي أو التنمية الاجتماعية هي: من أين يبدأ الإصـلاح فـي المجتمـع المتقهقر؟ هل بإصلاح الوضع الاقتصادي والسياسي أولا؟ أم ببـث الثقافـة وتغييـر العـادات

الاجتماعية؟، وبدون تردد يجيب محمد عبده علي هذا السؤال بأن الارتقاء التربوي هو أسـاس كل ارتقاء مادي، وقد لا يختلف موقفه عن موقف الطهطاوي في هذا الصدد، غير أن الطهطاوي جعل نقطة البداية لبلوغ الثروة والعمران تنمية الفضيلة، ويعني ذلك الآداب الدينية والأخلاقيـة، بينما يقوم الارتقاء التربوي لدي محمد عبده علي العقل قبل الدين.

"إن إنشاء المدارس خير من إنشاء المساجد، لأن صلاة الجاهل في مسجد لا خيـر فيهـا، ولكن فتح المدارس يقضي علي الجهل، فتؤدي الفرائض الدينية والأعمال الدنيوية علي وجههـا الصحيح ولهذا كان التعليم أول من يبدأ به".(١٨)

٢- التربية عامل هام في التنمية الاقتصادية للمجتمعات:

لقد تأكد في عصرنا الحالي الدور الذي تقوم به التربية في زيادة الانتاج والدخل القـومي، وأصبح ينظر إلي التربية علي أنها استثمار في الموارد البشرية، وهناك كثير مـن الدراسـات العالمية التي وجهت اهتمامها لدراسة العائد الاقتصادي للتربية، وأوضحت بما لا يـدع مجـالا للشك أن هذا العائد يفوق اضعافا مضاعفة نظيره من أي عائد آخر يأتي عن طريق أي استثمار في أي مجال آخر غير مجال التربية.

وقد فطن الامام محمد عبده إلي قيمة التربية في التنمية الاقتصادية وأهميتها فـي تنميـة الثروة البشرية اللازمة لتطوير المجتمع، فعدد عددا من الثروات الطبيعية القائمة في مصر مبينا أنه لا قيمة لها ما لم يستغلها البشر الاستغلال المناسب "وماذا تصنع الوسـائل المهيئـة إذا لـم تصادف من ينتهزها؟ وهل يوضع السيف الصقيل بلا بطل؟ كلا... فمـا فقـر الـبلاد إلا قلـة الراشدين فيها، وما غناها الحقيقي إلا كثرة المهتدين".(١٩)

وأبرز الاستاذ الامام نفس المعني في مقال آخر مبينا أن الأمم لا تقدر ثروتها بما تملك من موارد طبيعية، وإنما بما تملك من ثروة بشرية متعلمة: "أليس من البين أنه لا دين إلا بدولة، ولا دولة إلا بصولة، ولا صولة إلا بقوة، ولا قوة إلا بثروة، وليست التجارة والصناعة هـي ثـروة الدولة، إنما ثروتها أهاليها، ولا تمكن ثروة الأهالي الا بنشر العلوم فيما بينهم حتي يتبينوا طريق الاكتساب، فإن ذلك أمر خفي علي ذوي الألباب فضلا عن غيرهم".(٢٠)

وهكذا يؤكد الاستاذ الامام علي أهمية استغلال العنصر البشري في التربيـة وضـرورة الاهتمام بالتنمية البشرية فالعنصر البشري يمثل أهم ما تمتلكه أي دولة، وهناك العديد من الدول الفقيرة في مواردها الطبيعية وثرواتها الاقتصادية نجحت في استغلال عناصرها البشرية لتحقيق تقدمها، وتعد اليابان نموذجا حيا للدول التي نجحت في تنمية عنصرها البشري الذي خلق منهـا قوة اقتصادية عظمي برغم ثرواتها الاقتصادية المحدودة.

لقد تأكد الدور الهام الذي تقوم به التربية في اعداد القوي البشرية المدربة التي تسهم في زيادة الانتاج والدخل القومي، وأصبح ينظر إلي التربية من الناحية الاقتصادية علي انها استثمار للموارد البشرية.

٣- التربية ضرورة لارساء الديمقراطية السليمة:

تحرر التربية الانسان من قيود العبودية والجهل.. ولايمكن أن تعمل الحرية أو الديمقراطية في ظل الأعين أو الفقر الثقافي، ولايمكن أن نتصور شخصا جاهلا يمارس بنجاح حقوقه السياسية في الانتخاب والتصويت أو إبداء الرأي، وهذا بالطبع يبرز أهمية التربية في تكوين المواطن الحر المستنير القادر علي المشاركة الواعية في تقدم بلاده.

وقد أكد الاستاذ الامام محمد عبده علي قيمة التربية في ارساء قواعد الديمقراطية، فقد أوضح أن الديمقراطية والحياة النيابية لا يمكن أن تنتشر في المجتمع الجاهل، فلابد أن يسبق التعليم الديمقراطية، فالتربية والتثقيف هما السبيل لتكوين الرأي العام، ومتي تكون الرأي العام سهل الحصول علي الحياة النيابية والدستورية "فالمعهود فيه في سير الأمم وسنن الاجتماع، أن تقييد سلطة الحكومة وإلزامها بالشوري والمساواة بين الرعية، إنما يكون من الطبقات الوسطي والدنيا إذا فشا فيهم التعليم الصحيح والتربية النافعة، وصار لهم رأي عام، وليس من الحكمة أن تعطي الرعية ما لم تستعد له، فذلك تمكين للقاصر من التصرف بماله قبل بلوغ سن الرشد".(٢١)

من خلال استعراض أهمية التربية عند الاستاذ الامام وما تنطوي عليه من أفكار جديدة سبق بها عصره يتضح لنا اجماعه علي أن التربية يجب أن يكون لها السبق والأولوية علي غيرها من الوسائل الأخري في تطوير المجتمع وتحقيق استقلاله وهو رأي يحتاج إلي مناقشة وتحليل.

لا ينكر أحد ان التربية تلعب دورا هاما في اعداد رأس المال البشري الذي يسهم في عملية التنمية الشاملة، وليس من شك في أن رأس المال البشري هو أكبر عناصر الانتاج قيمة وشأنا، فهو يفوق ما للموارد الطبيعية وما لرأس المال المادي من شأن في الانتاج والتنمية، ومن هنا تهتم الدول المتقدمة بالتربية لأنها تدرك قيمتها في بناء التقدم.

فاليابان لم تصبها عجلة التقدم الخارقة إلا بعد ثورة في سياستها التربوية وتخصيص ١٠% من ميزانيتها للتربية والتعليم، وادخال شبابها مضمار التقدم العلمي منذ الصغر حتي أصبحت تكنولوجيا الحضارة تسري في دمائهم.

والولايات المتحدة الأمريكية عندما استشعرت تخلفها عن الساحة فيما بدا لها، وجدت أن مرجع ذلك هو قصور التعليم، فشكلت لجنة لاصلاح الخلل الذي أصاب نظام التعليم الأمريكي، وسجلت في تقريرها أن التعليم هو اساس القوة المستقبلية لأمريكا، بل أن الجماهير اعتبرت التعليم أكثر أهمية من تطوير النظام الصناعي أو القوة العسكرية، ربما لأن الجماهير أدركت بوعيها أن التعليم هو حجر الزاوية بكل منهما، وفي عمليات المسح لأولويات التمويل، احتل

التعليم المرتبة الأولي بين اثني عشر مرفقا، فالتعليم جاء قبـل الرعايـة الـصحية، والمعونـة الاجتماعية، بل والدفاع العسكري. [٢٢]

ونحن مع تسليمنا بقيمة التربية وأهميتها في حياة المجتمعات، إلا أننا لا نستطيع أن نخص التربية بكل شئ، أو نعطي لها الأولوية المطلقة، فالتنمية التربوية لا قيمة لها إلا ضـمن اطـار التنمية العامة، والنظرة العلمية في دراسة المجتمعات، تضع التطور التربوي فـي مكانـه مـن العملية الشاملة للتقدم، وان علينا ان نقيم توازنا في الاهتمام بجوانب التنمية المختلفة سواء كانت تربوية أو اجتماعية أو اقتصادية أو عسكرية أو سياسية، ولاشك أن القرار النهائي في ذلك كلـه قرار سياسي تضعه السلطة العليا في الدولة التي تشرف علي التخطيط، وهو قرار يـستند إلـي توصيات المخططين وإلي الدراسات الشاملة الكاملة لأوضاع البلاد الاقتـصادية والاجتماعيـة العامة ومن بينها الأوضاع التربوية.

أهداف التربية:

الأهداف هي نقطة البداية في التخطيط للعمل التربوي سواء علي المدي القصير أو المدي البعيد، وأن وضوح الأهداف هو السبيل إلي ربط عناصر العملية التربوية بعضها ببعض، وبيان ما بينها من علاقات، وأن وضوح الأهداف يعني إدراك العلاقـات المتبادلـة بـين الأهـداف والوسائل.

ونحن حين نتعرض لأهداف التربية عند الاستاذ الامام محمد عبده فإنما نقصد الأهـداف التربوية العامة بمعناها الواسع الشامل، سواء في مجال التربية النظامية أو التربية غير النظامية والتي توجه النشاط التربوي توجيها عاما ليحقق أهدافا أشمل، هي الأهداف القوميـة بأبعادهـا السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وفيما يلي أهداف التربية عند الاستاذ الامام محمد عبده:

١- الاعداد الروحي أو النفسي:

تعاني التربية اليوم أزمة خطيرة من الناحية الروحية، فالتربية الدينية مهملة أو شكلية في معظم الأحيان، فلا البيت ولا الجامع ولا المدرسة قائم بواجبه علي الوجه الأكمل فـي تـشجيع العبادة وتنمية الروح الدينية، والانسانية اليوم هي أحوج ما تكون إلـي بعـث الـروح الدينيـة الصادقة إذا شاءت البقاء، وذلك يتطلب الاهتمام بالتربية الروحية لتوليد الطمأنينة فـي النفـوس المؤمنة التي تعيش في عالم حائر يملؤه القلق.

وقد آمن الأستاذ الامام محمد عبده بأهمية الدين في تربية النفوس وتصحيح مسار عقيدتها في وقت اختلطت فيه عقائد الناس بالأوهام والخرافات والأباطيل.

أوضح الامام محمد عبده قيمة تعاليم الدين وأحكامه في ايجاد الملكات والصفات الفاضـلة في النفس وترويضها عليها وإبعادها عن الصفات الرذيلة، كما بين أهمية تعاليم الدين في إزالـة

الخرافات والبدع قائلا: " مقصد الجميع (أي المصلحين المسلمين) ينحصر في استعمال ثقة المسلم بدينه في تقويم شئونه، ويمكن أن يقال ان الغرض الذي يرمي إليه جميعهم إنما هو تصحيح الاعتقاد وإزالة ما طرأ عليه من الخطأ في فهم نصوص الدين، فإذا استضاءت بصائر المصلحين بالعلوم الحقيقية: دينية ودنيوية، وتهذيب أخلاقهم بالمبادئ القومية، وسري الاصلاح منهم إلي الأمة، سلمت العقائد من البدع وتبعها سلامة الأعمال من الخلل والاضطراب واستقامة الأحوال".[٢٣]

واي محاولة لتربية النفوس بمبادئ مجردة عن الدين لا يكتب لها النجاح، وقد شبه الاستاذ الامام من يحاول تربية النفوس بطرق الأدب والحكمة البعيدة عن تعاليم الدين بمن يحاول تشييد بناء ليس عنده من مواد البناء شيئا، ولا يتوافر له العمال اللازمين للبناء" وإذا كان الدين كافلا تهذيب الأخلاق وصلاح الأعمال، وحمل النفوس علي طلب السعادة من أبوابها، فلم العدول عنه إلي غيره؟؟!!". [٢٤]

"وإذا كانت طبيعة المصريين تميل إلي التدين، فينبغي استغلال هذه الطبيعة في تربية نفوسهم علي مبادئ الدين وتعاليمه، وكل من طلب اصلاحها من غير طريق الدين، فقد بذر بذرا غير صالح في التربية لا يثمر.. فما لم تكن معارف الأفراد وآدابهم مبنية علي أصول دينهم، فلا أثر لها في نفوسهم".[٢٥]

وفي مقابلة للأستاذ الامام مع الفيلسوف الانجليزي (هربرت سبنسر)، أبدي له الفيلسوف الانجليزي حيرته من غلبة التيار المادي في اوربا، فسجل الاستاذ الامام عدة كلمات كعلاج لهذه الحيرة في مذكرة خاصة به تقول: "هؤلاء الفلاسفة والعلماء الذين اكتشفوا كثيرا مما يفيد في رفاهية الانسان وتوفير راحته وتعزيز نعمته، اعجزهم ان يكتشفوا طبيعة الانسان ويعرضوها علي الانسان حتي يعرفها فيعود إليها، هؤلاء الذين صقلوا المعادن فكشفوا عن وجهها اللامع المضئ، أفلا يتيسر لهم أن يجلوا ذلك الصدأ الذي غشي الفطرة الانسانية، ويصقلوا تلك النفوس حتي يعود إليها لمعانها الروحي، حار الفيلسوف في حال أوربا، وأظهر عجزه مع قوة العلم، فأين الدواء؟... إنه الرجوع إلي الدين.. الدين هو الذي كشف الطبيعة الانسانية وعرفها إلي أربابها، لكنهم يعودون فيجهلونها".[٢٦]

٢- تربية العقل:

من مهام التربية في الوقت الحاضر تعليم الناس كيف يستخدمون عقولهم وكيف يفكرون، وتحذيرهم من مزالق التفكير وتدريبهم علي أساليبه السديدة حتي يستطيعوا ان يشقوا طريقهم في الحياة بنجاح ويدعموا بناء الحضارة، وقد أهملت التربية التقليدية العناية بتدريب العقل علي التفكير السليم ووجهت اهتمامها لأمور التحفيظ والتسميع والنقل والتكرار، ومن هنا كان اهتمام الاستاذ الامام محمد عبده بالعقل كوسيلة فعالة تسهم في تطوير الثقافة وترقية المجتمع، وقد كان اهتمامه بهذه

القوة المفكرة راجعا إلي عدة اعتبارات أوضحها علي النحو الآتـي:

- **أحكام العقل قائمة علي الاستدلال:**

من الاتجاهات العلمية الحديثة أن التفكير ينبغي أن يكون قائما علي أساس التحقق بحيث لا يقبل الانسان رأيا ولا يصل إلي حكم إلا إذا قام الدليل علي صحته وسلامته وقد بين الامام محمد عبده هذه الحقيقة بقوله: "فنحن منحنا العقل للنظر في الغايـات والأسـباب والمـسببات وإدراك الفرق بين البسائط والمركبات".[٢٧]

- **أحكام العقل تتميز بالموضوعية:**

فقد أوضح الامام محمد عبده أن أحكام العقل الصحيحة تتميز بالموضوعية لأنه يقدم أدلـة وبراهين تطابق الحقيقة ولا تخضع للأهواء الشخصية. [٢٨]

- **العقل الانساني أداة تسهم في تحقيق التطور:**

بين الامام محمد عبده أن "العقل قوة متطورة تساير التطور بمعني أنه ليس من الـصحيح الاعتماد علي تفكير ساد في عصر ما للاسترشاد به في عصر لاحق".[٢٩]

- **استخدام العقل يؤدي إلي التخلص من الخرافات والأوهام:**

فالأسلوب العلمي في التفكير لا يؤمن بالخرافات والأوهام، ويعمل علي تحليلها ومناقشتها مناقشة علمية حتي يمكن التعرف علي مواطن الضعف فيها. وقد أبرز الامام محمد عبده قيمـة العقل في مطاردة الأوهام والخرافات مبينا: "أن العقل هو الميزان القسط الذي يوزن به الخواطر والمدركات، ويميز بين أنواع التصورات والتصديقات، فمتي رجحت فيه كفة الحقائق، طاشـت لغة الأوهام، وسهل التمييز بين الوسوسة والالهام".[٣٠]

- **لا تعارض بين العقل والدين:**

بين الامام محمد عبده: "إن الدين الاسلامي يرتكز علي أصول عقلية، وأول هذه الأصول هي النظر العقلي لتحصيل الايمان، والأصل الثاني تقديم العقل علي ظاهر الشرع عند التعارض بينهما، فإذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل محاولين بعد ذلك تأويل ذلـك الظـاهر تأويلا يعطيه من المعني ما يتفق مع أحكام العقل".[٣١]

والهدف من تربية العقول في نظر الامام محمد عبده اخراجها من حيز البساطة الـصرفة والخلو من المعلومات وابعادها عن التصورات والاعتقادات الرديئة إلي أن تتحلـي بتـصورات ومعلومات صحيحة تحدث لها ملكة التمييز بين الخير والشر، والضار والنافع، ويكـون لنـور العقل نفوذ تام يفصل بين طيبات الأشياء وخبائثها. [٣٢]

وهو يري أن تربية العقول يمكن أن تتحقق بوسيلتين:

الوسيلة الأولي : عدم التسليم بالأشياء إلا بالأدلة والبراهين، وهو ما تأخذ به طريقة التفكير العلمي وعبر عن ذلك قائلا: "أقرب الناس إلي معرفة الحق، الباحثون الذين ينظرون في الدلائل بقصد صحيح، لأن الباحث المستدل إذا أخطأ يوما في طريق الاستدلال أو في موضوع البحث، فقد يصيب في يوم آخر، لأن عقله يتعود الفكر الصحيح واستفادة المطالب من الدلائل".[٣٣]

وفي موضع آخر يقول: "إذا لم نصرف الفكر في تقويم البراهين وتسديدها. وكيفية الوقوف علي الحقائق وتحديدها، ففي أي شئ نصرفه؟ فإن ضل عنا رشادنا، وغاب سدادنا فهل بشئ سوي الدليل نعرفه".[٣٤]

الوسيلة الثانية : أن يأخذ العقل بمبدأ الاجتهاد وقيمة حرية التفكير المتحرر من التقليد[٣٥]، فالامام محمد عبده يشيد دائما بمبدأ الاجتهاد ويحمل علي المقادين حملة عنيفة حيث يقول: "إن أبواب الاجتهاد لم توصد كما زعم البعض واهمين، وأنها مفتوحة لجميع المسائل التي تثيرها ظروف الحياة المتجددة، ويجب ألا تكون الكلمة الأخيرة للنصوص البالية، ولا للسلطات البائدة، بل للحياة النابضة ولروح التجديد".[٣٥]

٣- الايمان بالعلم:

العلم في حد ذاته نشاط انساني، وعائد من عوائد استخدام قدراته العقلية، فمجال العلم هو كل الأنشطة العقلية للانسان المتصلة بفروع المعرفة المختلفة والتي تعمل علي تطوير المجتمع وتحسين ظروفه وعلاج مشكلاته، ويتضمن العلم جانبين: جانب معرفي يمثل المعارف والمعلومات، والجانب الآخر يمثل الأسلوب والمنهج الذي يتخذه العلم للوصول إلي النتائج. [٣٧]

ويهدف العلم إلي تحقيق أهداف ثلاثة: التفسير والضبط والتنبؤ، والعلم تراكمي البناء وفي حركة نماء مستمرة، يأخذ من أخطاء الماضي منطلقا للبحث عن الحقيقة الصحيحة السليمة، والحقيقة هنا ليست أبدية بل عرضة للمناقشة والتخطئ.[٣٨]

ويعد العصر الذي نعيش فيه الآن عصر العلم والتكنولوجيا وهو عصر يتميز بالتغيرات السريعة والتطورات المذهلة في المعرفة العلمية والتطبيقات والأساليب التكنولوجية، ولقد أصبح العلم بمفهومه الحديث وطبيعته الديناميكية كمادة وطريقة ومنهج للتفكير والبحث، من الأمور التي لا غني عنها في حياة المجتمعات المتقدمة والنامية لمواجهة المشكلات والتحديات في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من المجالات الحيوية المؤثرة في حياة الانسان وسعادته، ولاشك أن لهذه التغيرات والتطورات انعكاساتها ومطالبها من التربية، فالتربية مطالبة اليوم أكثر من أي وقت مضي أن تبذل كل جهد ممكن لتربية الانسان العصري القادر

علي استخدام الأسلوب العلمي في تفكيره، والتزود بالمعرفة والمهارات الأساسية التي تمكنه من تحقيق التوافق الذكي مع طبيعة عصره.

وقد أكد الامام محمد عبده علي قيمة العلم وأهميته في تجديد ثقافة المجتمع والارتقاء بـه، وسعي إلي أن يكون الايمان بالعلم أحد الأهداف الهامة التي تعمل التربية علي تحقيقها متخذا في ذلك المبررات الآتية:

أ- حقائق العلم تقوم علي الدلائل:

فأسلوب العلم الحديث يقوم علي عدم قبول الأحكام إلا إذا قـام الـدليل علـي صـحتها وسلامتها، وقد عبر الامام محمد عبده عن ذلك بقوله: "العلم هو الكشف عـن الأمـر الحقيقـي باستخدام الدليل، بحيث إذا أراد أن يميلك عنه مميل لا يقدر علي ذلك، ولا يسمي العلم علما إلا إذا ظهر فيه الشك والاحتمال"[٣٩]. "وأفضل العلوم -في نظره- ما أخذ بالبراهين والحجج والأدلة الدامغة".[٤٠]

ب- قيمة العلم تقاس بما يحقق من نفع:

فالتربية الحديثة تؤكد علي أن العلم تقاس قيمته بما يحققه من منفعة وأشار الاستاذ الامـام إلي هذه الحقيقة بقوله: "من شروط العلم الحقيقي أن تكون له غاية تتمثل في نفع الانسان، وقـد جاء في الحديث الشريف والأدعية المأثورة قوله (ص): "اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني مـا ينفعني وزدني علما" (رواه الترمذي وابن ماجه). [٤١]

ج- حقائق العلم قابلة للتعديل أو التغيير:

فقد أصبح ينظر إلي موضوعات العلم في الوقت الحاضر علي أنها ليست مطلقة أو أبدية، لا تتغير ولا تتبدل، والسبب في ذلك ان حقائق العلم صادرة عن الانسان وترتبط بزمان معـين وظروف معينة، وهي صحيحة في حدود ما يتوافر لها من الأدلة والبراهين، فإذا استجدت أدلـة وظروف جديدة تبين عدم كفاية صحتها فإن الحقيقة العلمية تتغير أو تتعدل. [٤٢]

وقد أكد الامام محمد عبده علي هذه الحقيقة بقوله: "لابد للعلوم من المداومة علي مراجعة نظرياتها وتحسينها حتي أشدها استقرارا، لأنه يجد علي العصر ظروف جديدة لـم تكـن فـي الحسبان". [٤٣]

د- العلم لا يقتصر مدلوله علي العلوم النظرية وحدها بل يشمل العلوم التجريبية أيضا:

فالمفهوم الحديث للعلم كمادة وطريقة للتفكير والبحث وحل المشكلات، تجعل مجالات العلم عريضة ومتعددة ومتنوعة، بحيث تشمل إلي جانب العلوم الطبيعية بفروعها المختلفة أية مجالات أخري يمكن أن تستخدم فيها الطرق العلمية، وبهذا اكتسب الكثير من النشاط الانـساني الـصفة العلمية كما هو الحال بالنسبة للعلوم التربوية والنفسية والاجتماعيـة والاقتـصادية والـسياسية وغيرها.

وقد أشار الاستاذ الامام محمد عبده إلي هذه الحقيقة "فالعلم عنده لا يقتصر مداوله علـي العلوم النظرية وحدها، بل يشمل ايضا العلوم التجريبية التي تقوم علـي التجربـة والمـشاهدة والملاحظة. فالعلوم التجريبية سبب من أسباب الثروة والقوة، وسبب من أسباب المعرفة الذهنية التي تبصر العقل بأدوات النجاح في أعمال المعيشة، والقرآن الكريم في كثير من آياتـه يـدعو المسلمين إلي دراسة العلوم الكونية واستخراج العبر والدلائل علي عظمة ا ، والمـسلمون لمـا كانوا علماء في دينهم، كانوا علماء في الكون وأئمة العالم، ولكنهم ما عـادوا العلـم ولا العلـم عاداهم إلا يوم انحرافهم عن دينهم".[٤٥]

هـ- امتزاج العلم بالنفس:

أبرز الامام محمد عبده ان العلم يجب ان يكون ممتزجا بالنفس راسخا فيها حتـي يكـون باعثا علي العمل، ولذا ثار علي الأساليب التقليدية التي ركزت اهتمامها علـي جانـب الحفـظ وشحن الذهن بالمعلومات والمعارف دون الاهتمام بالجوانب الوجدانية والحركية للتلاميذ وكـان يسمي الذين يستظهرون العلم ولا يمتزج بنفوسهم حفاظا، لأن العلم لم يمتزج بنفوسهم (وجدانهم) ولم يحركها للعمل.

إن ذلك يعني أن الامام محمد عبده يري أن العلم ينبغي ان يتصل بثلاثة جوانب تتكامـل حولها شخصية الانسان، الجانب المعرفي والجانب الوجداني والجانب الحركي، وعلي أساس هذا المبدأ تدور الأهداف التعليمية في التربية المعاصرة.

و- طلب العلم ينبغي أن يكون لذاته ولتطبيقه في الحياة:

فالتربية الحديثة تري أن العلم يجب أن يعني به من ناحيتين:

الأولي : العلم لأجل العلم ذاته، أي حب البحث والاستقصاء للتلذذ في الوصول إلـي حقـائق جديدة دون تفكير في منافع أو غايات ذاتية، وهذا من أسمي ما تستهدفه أية تربية.

الثانية : طلب العلم لأجل التطبيق علي الحياة اليومية واستخدام نتائج العلم لخدمة المجتمـع، ومع أن المدينة الحديثة هي نتيجة التطبيق العلمي علي الحياة، إلا أننا نعلم أن هذا لـم يتيسر لولا طلب العلم لأجل العلم، وتفرغ أناس للبحث والدراسة في سـبيل العلـم، لا يبغون من وراء ذلك جزاء ولا شكورا.

وقد أوضح الامام محمد عبده أن طلب العلم ينبغي أن يجمع بين هاتين الغايتين فقد بين أن "الانسان يطلب العلم أولا لحاجته إليه في تقويم معيشته أو ترقية حال أو دفاع عن نفس أو ملـة، ثم لا يلبث إذا أوغل فيه أن يجد اللذة في العلم نفسه، فتصير اللذة بتحصيله والوصول إلي وقائعه غاية تقصد بنفسها، وتضمحل فيها كل غاية سواها".[٤٦]

ز- لا تعارض بين العلم والدين:

عاش الاستاذ الأمام محمد عبده في ظل ثقافة رجعية كانت تعادي العلوم الحديثة علي اعتبار انها تتعارض مع الدين، وانه يجب تحريم تدريسها، وقد تصدي لدحض هذه الشبهة مبينا أن تلازم الدين والعلم أمر ضروري لاصلاح النفوس البشرية، فالدين لا يتعارض مع العلم، والدين كالعلم لا يتعارض مع التقدم، والقرآن الكريم في كثير من آياته يدعو الانسان إلي دراسة الكون واكتشاف أسراره، وذلك لايتحقق إلا بالعلم، والنظامين العلمي والديني وجهان لحقيقة واحدة، وقد عمل محمد عبده بهذه الروح مقتنعا اقتناعا راسخا بأن الدين والعلم متي فهما علي الوجه السليم لا يمكن أن يكون بينهما نزاع أو خصومة[٤٧]. وهو في ذلك يقول: "العلم الصحيح مقوم للوجدان، والوجدان السليم من أشد أعوان العلم، والدين الكامل علم وذوق عقل ولب برهان، وإذعان فكر ووجدان، فإذا اقتصر دين علي أحد الأمرين فقد سقطت احدي قائمتيه، وهيهات ان يقوم علي الأخري".[٤٨]

٤- الاعداد الجسمي:

فطن الاستاذ الامام محمد عبده إلي أهمية التربية الجسمية في تحقيق سلامة الأفراد الصحية ووقايتهم من الأمراض في وقت اقتصر فيه اهتمام التربية علي شحن عقول التلاميذ بالمعارف والمعلومات وتكليفهم بحفظها وتسميعها، ولم تجد التربية الجسمية الاهتمام الكافي والرعاية اللازمة في برامج المدرسة، فالدروس المخصصة لها علي هامش المواد الدراسية ومحدودة، وينظر إليها علي أنها مضيعة للوقت.

وقد أوضح الامام محمد عبده أهمية الرياضة البدنية في تقوية الجسم واكتساب النفس الصفات المرغوب فيها، وعاب علي رجال الدين الرجعين احتقارهم لها قائلا: "أبعد الناس عندنا عن ممارسة الرياضة البدنية المشتغلون بالعلوم الدينية، فإن الفروسية والرماية والسباحة عندهم من المعايب التي تزري بالعالم وتحط من قدره، وهم مع هذا يقرأون في كتبهم ان الشرع أباح المراهنة في السباق والرماية عناية بهما وترغيبا للأمة منهما".[٤٩]

"أفليس من أعجب العجب أن أناسا يزعمون أن هذا الكتاب كتابهم، يكون طلاب العلوم الدينية منهم أشد الناس رهبة من ممارسة الرياضة البدنية وابعدهم عن صفات الرجولة".[٥٠]

أن حرص الاستاذ الامام محمد عبده علي الاهتمام بممارسة التربية الرياضية لأثرها في بناء الأجسام وتقويتها، يتمشي مع الاتجاهات التربوية المعاصرة، حيث ارتفع مستوي الوعي في وقتنا الحالي بأهمية التربية الرياضية في بناء الأجيال، واعداد الأفراد للاستفادة من طاقاتهم وقوتهم في حالتي الحرب والسلم، فالتربية الرياضية مكملة لنشاطات الانسان الأخري العقلية والفكرية والسياسية والخلقية وكلها مؤثرة ببعضها ومتأثرة بها، ولذلك كان التوسع في ميدان

التربية الرياضية لما لها من تأثير في الاعداد العقلي والاجتماعي للأفراد، ولحاجة المجتمعات إليها في قطاعاتها المختلفة من الأمور الهامة.

٥- الأعداد للمواطنة الصالحة:

يبرز الأستاذ الامام محمد عبده أهمية الوطن حيث أوضح أن الوطن في اللغة يعني محل الإنسان وسكنه، وهو عند أهل السياسة مكانك الذي تنسب إليه، وهو الوحدة التي تجتمع كلمة الأمة عليها، وإذا ما ارتفع قدر الوطن فذلك يعود بالشرف والعز علي ساكنيه لأنه لا حقيقة له إلا بهم وفيهم، ولا رفعة فيه إلا منهم.

والوطن – كما يري- جامعة وطنية، ولئن فرق بين أبناء الوطن اختلاف الآراء والمشارب وتلون التصورات، فإنهم يجدون في الجامعة الوطنية ما يأتلفون به ويجتمعون عليه فيجعهلم عصبة خير متلاحمة الأطراف متأزرة متضافرة كالبنيان المرصوص.[٥١]

والتربية من أجل المواطنة عند الأستاذ الامام محمد عبده تتطاب ما يلي:

أولا: غرس حب الوطن والولاء له في نفوس الأفراد:

ومن مبررات ذلك:

أ- أنه السكن الذي فيه الغذاء والوقار والأهل والولد.

ب- أنه مكان الحقوق والواجبات التي هي مدار الحياة السياسية.

ج- أنه موضع النسبة التي يعلو بها الإنسان ويعز أو يستغل ويذل، ولذلك قيل في مثل هذا المقام أن ياء النسبة في قولنا مصري وانجليزي وفرنسي هي من موجبات غيرة المصري علي مصر والفرنسي علي فرنسا والانجليزي علي انجلترا.[٥٢]

ثانيا: وضع مناهج في الأدب السياسي:

يري الإمام محمد عبده أنه من أجل تربية المواطن وتعليمه معني المواطنة وآدابها.. فينبغي علي القائمين علي التربية أن يضعوا مناهج في الأدب السياسي، وشأن هذا المقرر المقترح أن يحدد معني المواطنة من معني الهمج والرعاع، والأدب السياسي كما يراه الإمام يعني "أن يكون الانسان حرا في رأيه متصرفا في شأنه إلي حد ألا يضر الهيئة المجتمعية ولا يمس شأن سواه".

والأدب السياسي في نظر الأستاذ الامام يقتضي "العلم بالمصلحة العمومية والحدود الشخصية، ووجه الضرورة في معرفة هذا الأدب أن المرء إذا عرف مصلحة قومه، سعي فيما يوجب لها البقاء والنماء، وإذا رأي حدود اخوانه أقام لنفسه حدا لا يتعداه وخطا لا يتخطاه، بخلاف ما إذا جهل ذلك فإنه لا يأمن حينئذ أن يظهر بما يخالف تلك المصلحة ويفسد هذه الحدود، فتكون حريته ضررا بأوطانه ووبالا علي إخوانه".[٥٣]

ثالثا: توعية المواطنين بأهمية القوانين واحترامها:

القانون كما يقول الاستاذ الامام محمد عبده "هو الناموس الحق الذي ترجع إليه الأمم في معاملاتها العمومية وأحوالها الخصوصية وهيئاتها النفسانية، والقانون قد باحثا يكون متعلقا بروابط الممالك وعلائقها أو منوطا بالسياسة الداخلية كالادارة المدنية والتدابير المنزلية أو عن أخلاق فاضلة وما يجب أن يتحلي به الإنسان منها وما يجب أن يبتعد عنه من أضدادها وسواء كان في أمة واحدة أو أمم متعددة".[٥٤]

والقوانين – كما يري – تنتج جلال الفوائد لانها مناط ضبط الأعمال، وهي ثمرة الأعمال النظرية وخلاصة الأبحاث الفكرية، وتوضع في كل أمة حسب درجة عقول أبنائها الذين يراد وضعها لهم وما ينطبق علي أحوالهم.

ويدعو الأستاذ الامام محمد عبده إلي قيام مؤسسات التعليم والصحافة بتوضيح ما غمض من القوانين حتي لا يقع الناس في خطأ استخدامها ويتعرضون للعقاب.

وهكذا يضع الأستاذ الامام أسس التربية السياسية التي ترتكز علي تأمين الولاء للوطن، وحشد الناس حوله، والعلم بالمصلحة العامة والحدود الشخصية من خلال الأدب السياسي وفهم القوانين واحترامها.

إن التربية مطالبة بالحفاظ علي النظام السياسي بتأمين الولاء له وحشد الناس حوله وتنشئة جيل جديد يؤمن به ويدافع عنه؛ ويتطلب ذلك قيام التربية ببناء مناهجها ومؤسساتها التربوية علي رؤية واضحة ينشأ عليها شبابها وتعميق فهمهم الوطني وفكرهم السياسي حتي يكونوا في حصانة من الأفكار الوافدة والمبادئ الغازية.

إن التربية السياسية للشباب في عصرنا الحالي أمرا بالغ الأهمية بالنسبة لمسار الأمم، ذلك إن الشباب يشعر أن سرعة التلاحق في الأحداث الجارية لابد وأن تصاحبها مشاركة فعلية للشباب في تشكيل المستقبل، ولذلك كله فإن التربية السياسية للأمة يجب أن تبدأ من شبابها، وأن تقوم علي صيانة حرية الشباب في أن ينمي شخصيته ويبني رأيه علي الممارسة بكل ما تسمح له تجربته في حياة عامة يوفر فيها المجتمع للشباب حرية الممارسة.

والملاحظ أن التوجيه السياسي الشعبي في المسائل المتصلة بسلوك الجماهير في الأزمات لا يكاد يكون له أثر في مجتمعنا في الوقت الحاضر، أو هو ذو أثر قليل، وإننا لنوصي في هذا الشأن بأن يكون من المهام المحددة لمؤسسات التربية عن طريق مناهجها وبرامجها التوعية بالواجبات السياسية للمواطنين بصفة عامة في أوقات الأزمات بصفة خاصة، فقد أسرفنا في التوعية بالحقوق ولكننا لم نبذل القدر الكافي في الجهة للتوعية بالواجبات، بل إن تشريعاتنا السياسية تتجه اساسا إلي الجانب الأول (الحقوق) دون الجانب الثاني (الواجبات) وهذا ينطوي علي خطورة حقيقية ونقص في تربيتنا السياسية ولابد من تلافي ذلك.

كذلك فإننا لم نسع بالقدر اللازم لاقامة التوازن بين نظريتي "الثواب" و"العقاب" في عملنا السياسي أو الوطن العام، بل ولا حتي في عملنا الاداري والانتاجي، فقد حان الوقت لان تدعو الدولة بمختلف أجهزتها التربوية والاعلامية إلي إقامة توازن بين هذين الجانبين، ومن الواجب ان تقوم مؤسسات التربية بمختلف أنواعها وأجهزة الاعلام بأبراز مفهوم سيادة القانون علي اعتبار أنه السبيل الأساسي لاقامة العدل الاجتماعي، وهو الوسيلة الحقة لاقامة التوازن بين الحقوق والواجبات في سلوك المواطنين وشعورهم بالمسئولية الوطنية التي هي خير رادع من كل زيغ.

٦- الاعداد للحياة العملية:

إذا كان للمعرفة ان تنال مكانة ممتازة بين الأغراض العامة للتربية، فيجب أن يكون الغرض الحقيقي من التربية هو المعرفة من أجل العمل وكسب العيش وليس من أجل المعرفة فحسب، وهذا ما أشار إليه الاستاذ الامام محمد عبده في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

فقد أوضح الامام.. "أن اعداد الفرد للحياة العملية يكون عن طريق الأخذ بأسبابها المجربة في الكسب والنظام في المعيشة، والالتزام بآداب الشريعة في الأعمال كلها".[55]

فهو بذلك يري أن اعداد الفرد للحياة العملية يتطلب من التربية أداء وظيفتين:

الأولي : تدريب الفرد علي عمل يتكسب منه ويستعين به في مواجهة أعباء الحياة المادية.

الثانية : تزويده بآداب السلوك المرتبطة بأداء هذا العمل والمستمدة من تعاليم الدين حتي يتحقق العمل المتقن الذي يسهم في زيادة الانتاج.

ونحن أحوج ما نكون إلي الاستفادة من هذه المبادئ في وقتنا الحاضر، فقد ثبت أن قصور الانتاج في كثير من المجالات يرجع إلي عدم التزام العاملين بآداب السلوك المتعلقة بالأداء المهني.

٧- تحقيق التماسك الاجتماعي:

تعد التربية عاملا هاما في توحيد الاتجاهات الدينية والفكرية والثقافية لدي أفراد المجتمع، وهي بهذا تسهم في تحقيق تماسك المجتمع وترابطه.. ومن هنا تحرص السلطات الحكومية في عالمنا المعاصر علي تحقيق التماسك والانسجام بين مختلف التيارات الفكرية والمذاهب داخل المجتمع، وتحريم كل نشاط يتعارض مع ذلك منعا للفتن وأخطار الانقسام.

ونتيجة للمؤثرات الأجنبية التي شهدتها مصر في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تعرضت البلاد لتيارات فكرية متعددة تباينت اتجاهاتها ونزعاتها من حيث التطرف والمحافظة، مما كان له أثره في تباين ميول الأفراد في مصر واختلاف نزعاتهم ومشاربهم،

وهذا ما كان يقلق الامام محمد عبده ومن هنا كان حرصه علي تماسك المجتمع وتوجيه التربية لتحقيق هذا الغرض.

وقد أشار الامام محمد عبده إلي أن سبيل تحقيق تماسك المجتمع المصري، هو ان تقوم تربية أبنائه علي مقومات المجتمع الأساسية التي تتمثل في قيمه الروحية ولغته القومية، وتاريخه القومي وعاداته وتقاليده. (٥٦)

"فالاقتباس وجمع شتات المعلومات والمعارف من الأجانب لن يحميا شخصية المجتمع المصري من الانقسام ويزيحا عنه خطر التوزع في الولاء". (٥٧)

وقد كان الامام محمد عبده يحرص علي تقوية شعور الترابط والتماسك بين أبناء الشعب، وهو يري "أن هذا الشعور لم يزدهر بعد في مجتمعنا، فلم يتولد فينا إحساس واحد يؤلف بين شعورنا وحاجاتنا، ويجعل كل فرد يحب نفسه لأجل أن يحب غيره لأجل أن يحب نفسه". (٥٨)

ويستطرد قائلا: "فنحن في وسط لا يحس فيه أحدنا إلا أنه شقي بوجود غيره، وقد ذهبت الثقة بيننا أدراج الرياح وخلفها الشكوك والريب والظنون الأثيمة المولدة للوساوس والأوهام، ولا شفاء للمرض أعظم من وجود الضمير الحي في وسط هذا الشقاء، ولو كنا متربين لانبث بيننا احساس واحد يؤلف بين شعورنا وحاجاتنا، وحينئذ يحس كل منا بأن عليه وظيفة يؤديها لنفسه ولغيره". (٥٩)

وهو يري أن التربية اللازمة لتحقيق التماسك الاجتماعي ينبغي أن تكون تربية غيرية مستنيرة "فالعلم الحقيقي هو الذي يعلم الانسان من معه، فيتكون من ذلك شعور واحد وروابط واحدة". (٦٠)

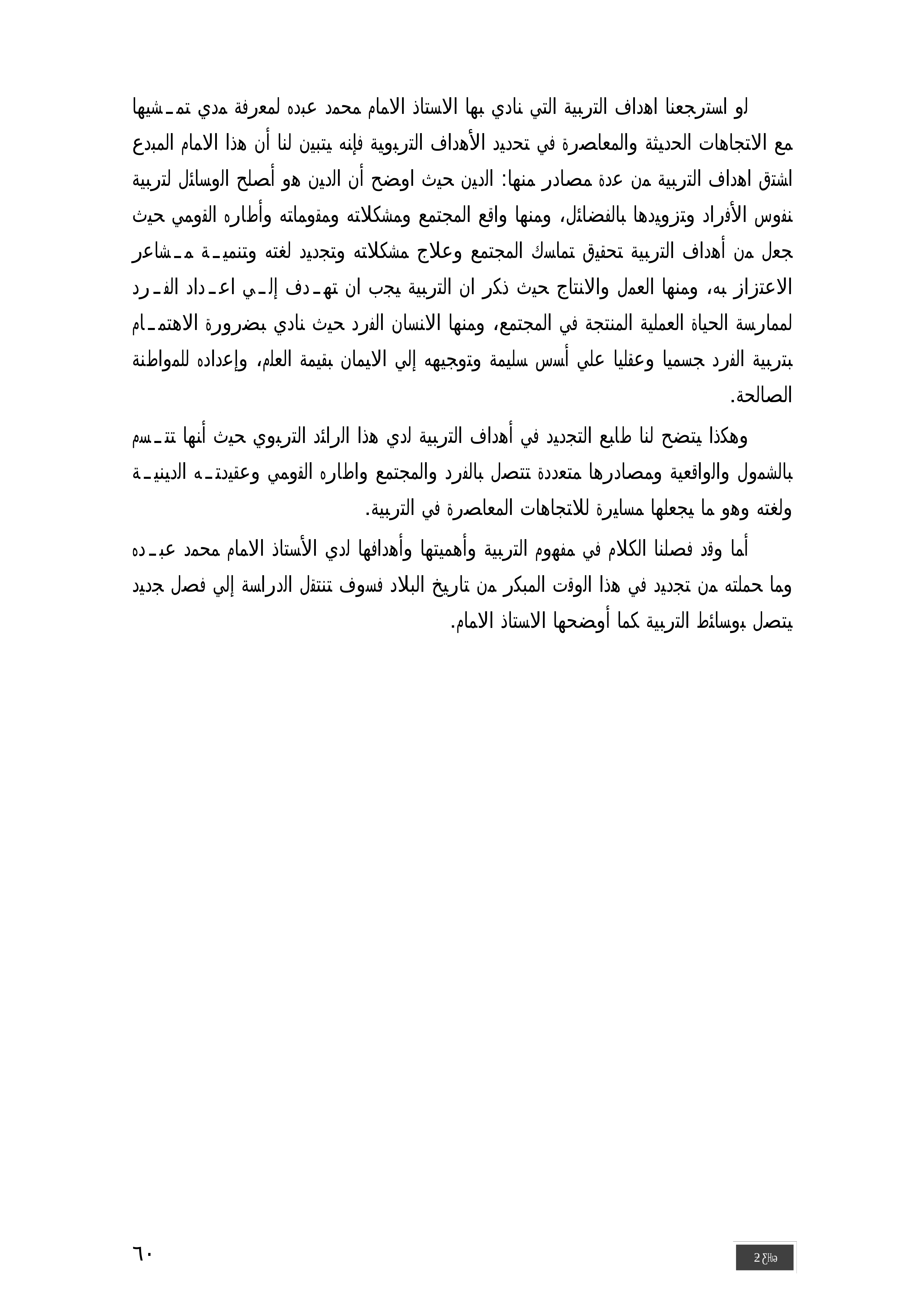
استعرضنا فيما سبق أهداف التربية عند الأستاذ الامام محمد عبده ويبقي بعد ذلك الحكم عليها والوقوف علي مدي تمشيها مع الاتجاهات الحديثة في صياغة الأهداف التربوية وتحديد مصادرها، ولكي نحكم علي هذه الأهداف، يجب ان نتعرف أولا علي المحاور التي يجب أن تقوم عليها صياغة الأهداف التربوية في الفكر التربوي المعاصر والتي تتمثل فيما يلي:

أ- واقع المجتمع وما فيه من مشكلات ومعوقات وأوضاع.

ب- الانسان وطبيعته من حيث هو عضو يعيش داخل المجتمع يؤثر فيه ويتأثر به ويسهم في تغييره وتطويره.

ج- العمل والانتاج حيث ان العمل يسهم في تحقيق التقدم الاقتصادي ويؤثر علي علاقات الناس، وهو المجال الذي تنمو فيه المعرفة.

د- الاطار القومي ومقوماته اللغوية والتاريخية حيث ان لها تأثيرا في آمال المجتمع وعلاقات أفراده، وتحديد مشكلاته وتحديد مساره.



لو استرجعنا اهداف التربية التي نادي بها الاستاذ الامام محمد عبده لمعرفة مدي تمشيها مع الاتجاهات الحديثة والمعاصرة في تحديد الأهداف التربوية فإنه يتبين لنا أن هذا الامام المبدع اشتق اهداف التربية من عدة مصادر منها: الدين حيث اوضح أن الدين هو أصلح الوسائل لتربية نفوس الأفراد وتزويدها بالفضائل، ومنها واقع المجتمع ومشكلاته ومقوماته وأطاره القومي حيث جعل من أهداف التربية تحقيق تماسك المجتمع وعلاج مشكلاته وتجديد لغته وتنمية مشاعر الاعتزاز به، ومنها العمل والانتاج حيث ذكر ان التربية يجب ان تهدف إلي اعداد الفرد لممارسة الحياة العملية المنتجة في المجتمع، ومنها الانسان الفرد حيث نادي بضرورة الاهتمام بتربية الفرد جسميا وعقليا علي أسس سليمة وتوجيهه إلي الايمان بقيمة العلم، وإعداده للمواطنة الصالحة.

وهكذا يتضح لنا طابع التجديد في أهداف التربية لدي هذا الرائد التربوي حيث أنها تتسم بالشمول والواقعية ومصادرها متعددة تتصل بالفرد والمجتمع واطاره القومي وعقيدته الدينية ولغته وهو ما يجعلها مسايرة للاتجاهات المعاصرة في التربية.

أما وقد فصلنا الكلام في مفهوم التربية وأهميتها وأهدافها لدي الأستاذ الامام محمد عبده وما حملته من تجديد في هذا الوقت المبكر من تاريخ البلاد فسوف تنتقل الدراسة إلي فصل جديد يتصل بوسائط التربية كما أوضحها الاستاذ الامام.

هوامش الفصل الثاني

١- أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في مصر، جـ٢، عـصر اسـماعيل والـسنوات المتصلة به من حكم توفيق (١٨٦٣- ١٨٨٢)، القاهرة، مطبعة النـصر،١٩٤٥، ص.ص ٦٢- ٧٥.

٢- عباس محمود العقاد، عبقري الاصلاح والتعليم الأستاذ الامام محمد عبده، سلسلة اعـلام العرب، العدد (١)، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٦٢، ص ١١١.

٣- محمد رشيد رضا، تاريخ حياة الشيخ محمد عبده، المنار، المجلد الثامن، مصر، مطبعـة المنار، ١٩٠٥، ص. ص ٤٠٣- ٤٠٤.

٤- تشارلز آدمز، الاسلام والتجديد في مصر، ترجمة عباس محمود، القاهرة، لجنـة دائـرة المعارف الاسلامية، ١٩٣٥، ص ٤٢.

٥- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام محمد عبده، جـ١، القاهرة، مطبعة المنـار، ١٩٣١، ص ٧٥١.

٦- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٤، حققها وقـدم لها محمد عمارة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠، ص ٦٣٣.

٧- نفس المصدر السابق، ص ١٠٥.

٨- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ ـ٤، مـصدر سابق، ص ٧٤٠.

٩- محمد عبده، الأعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ ـ٣، الاصـلاح الفكـري والتربـوي والالهيات، حققها وقدم لها محمد عمارة، الطبعة الأولي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٢، ص ١٧٢.

١٠- أدموند ديمولان، سر تفوق الانجلو سكسون، "بالفرنسية" ترجمة احمـد فتحـي زغلـول، القاهرة، ١٩٢٢، ص ٨٨.

١١- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام محمد عبـده، جـ ـ٢، القـاهرة، مطبعـة المنـار، ١٣٤٤هـ، ص ١٤٤.

١٢- نفس المصدر السابق، ص ٤٧٠.

13- John Dewey, My Pedgogic Creed: Chicago, 1897, P.17.

١٤- محمد عبده، ما هو الفقر الحقيقي في البلاد، الأعمـال الكاملـة للإمـام محمـد عبـده، جـ٣،مصدر سابق، ص ٤٣.

١٥- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ٢، القاهرة، مطبعة المنار، ١٩٣١، ص ٣٩٥.

١٦- محمد البهي، الفكر الاسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، القاهرة، مطبعة مخيمر، ١٩٥٧، ص ١٨٨.

١٧- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ١، مـصدر سـابق، ص ٢٢٣.

١٨- نفس المصدر السابق، ص ٩٧٥.

١٩- محمد عبده، ما هو الفقر الحقيقي في البلاد، الأعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ ـ٣، مصدر سابق، ص ٤٣.

٢٠- نفس المصدر السابق، ص ٤٢.

٢١- محمد عبده، الشوري والقانون في الوقائع المصرية، عدد ١١٤٢ في ١٩ يونيو ١٨٨١.

٢٢- مصطفي كمال حلمي، (مترجم)، أئمة في خطر Nation At Risk تقرير أمريكي وضع عـام ١٩٨٣ لعلاج أزمة التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية، مجلة اكتـوبر، العـدد ٣٥٨، ٤ سبتمبر ١٩٨٣، ص ٤١.

٢٣- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ٢، مـصدر سـابق، ص ٤٩٥.

٢٤- نفس المصدر السابق، ص ٤٦٠.

٢٥- محمد عبده، نظام التربية في مصر، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سـابق، ص ١٠٩.

٢٦- محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ١، مـصدر سـابق، ص ٨٦٩.

٢٧- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ ـ٤، مـصدر سابق، ص ٧٥٢.

٢٨- محمد عبده، رسالة التوحيد، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ٣٨١.

٢٩- نفس المصدر السابق، مصدر سابق، ص ٣٨٦.

٣٠- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ ـ٤، مـصدر سابق، ص ٧٥٢.

٣١- محمد عبده، رسالة التوحيد، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ٣٨٦.
٣٢- محمد عبده، التربية في المدارس والمكاتب الأميرية، الوقائع المصرية، العدد ٩٥٧، في ١٨٨٠/١١/٢٩.
٣٣- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٤، مصدر سابق، ص ٤١١.
٣٤- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ٢، مصدر سابق، ص ٤٧٠.
٣٥- عثمان أمين، رائد الفكر المصري الامام محمد عبده، القاهرة، مكتبة الانجلو، ١٩٦٥، ص ٥٩.
٣٦- نفس المصدر السابق، ص ٦٠.
٣٧- فؤاد سليمان قلادة وآخرون، الأهداف التربوية وتخطيط تدريس المناهج، الاسكندرية، دار المطبوعات الحديثة، ١٩٩٧، ص ٧٧.
٣٨- نفس المصدر السابق، ص ٧٨.
٣٩- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٤، مصدر سابق، ص ٢١٩.
٤٠- محمد عبده، الاضطهاد في النصرانية والاسلام، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ٢٨٢.
٤١- محمد عبده، معني العلم، الاعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ١٤٠، ص ١٤١.
٤٢- أحمد خيري كاظم، وسعد يسي زكي، تدريس العلوم، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٩٢، المقدمة.
٤٣- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٤، مصدر سابق، ص ٧٥٢.
٤٤- احمد خيري كاظم وسعد يس زكي، مصدر سابق، ص.ص ١٨-١٩.
٤٥- محمد عبده، الاضطهاد في النصرانية والاسلام، الاعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ٣٠٥.
٤٦- نفس المصدر السابق، ص ٢٩٨.
٤٧- نفس المصدر السابق، ص ٣٤٣.

٤٨- محمد عبده، الاسلام والنصرانية، الأعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ ـ٣، مـصدر سابق، ص ٣٣٤.

٤٩- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ ـ٤، مـصدر سابق، ص ٤٣٩.

٥٠- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ ـ٥، بيـروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٣، ص ٤٨٧.

٥١- محمد إبراهيم الفيومي، محمد عبده والسياسة، مجلة الأزهر، اكتوبر ٢٠٠٥، جـ٩، الـسنة ٧٨، ص ١٥٤٠.

٥٢- نفس المصدر السابق، ص ١٥٤١.

٥٣- نفس المصدر السابق، ص ١٥٤٢.

٥٤- نفس المصدر السابق، ص – ص ١٥٤٢- ١٥٤٣.

٥٥- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ ـ٤، مـصدر سابق، ص ٥١١.

٥٦- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام محمد عبده، جـ ١، مصدر سابق، ص.ص ٣٣٩، ٧٥١.

٥٧- نفس المصدر السابق، ص ٥١١.

٥٨- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ٢، مـصدر سـابق، ص ٤٧١.

٥٩- نفس المصدر السابق، ص ٤٧١.

٦٠- نفس المصدر السابق، ص ٤٧٢.

الفصل الثالث

وسائـط التربيـة

وسائط التربية

التربية بمعناها العام تعني تحقيق النمو المتكامل لكل فرد، واعداده للتكيف مع المجتمـع، ومعني ذلك ان التربية هي ضرورة اجتماعية للفرد، فالفرد لا يوجد في فراغ، ولا يولد معتمـدا علي نفسه منذ اللحظة الأولي لخروجه إلي الحياة، بل ينبغي ان يكتـسب الـصفة الاجتماعيـة تدريجيا ليصبح كائنا اجتماعيا انسانيا يتفهم أساليب الحياة في المجتمع ويتكيف معها، ونظرا إلي أن الوليد البشري لا يملك عند مولده قوة فطرية وقدرة فيزيقية ذاتية تحقق له استمرار الحياة، لذا لابد له من الاعتماد علي الآخرين عددا من السنين ليكتسب القدرة علي رعاية نفسه والتعامل مع غيره، وليس الآخرون سوي الأسرة أولا، ثم المدرسة، ثم المجتمع بمؤسساته المختلفة.

وقد تعرض الاستاذ الامام محمد عبده لدراسة وسائط التربية ودورها فـي تربيـة الفـرد وإعداده للحياة الاجتماعية كالأسرة والمدرسة والمؤسسات الدينيـة والـصحافة والمطبوعـات والمكتبات والمتاحف، ولم تكن آراؤه في هذا المجال مجرد تأملات نظرية، بل كانـت مرتبطـة بالواقع الاجتماعي الذي عاش فيه وتفاعل معه، وفيما يلي معالم الفكر التربوي للأسـتاذ الامـام محمد عبده في هذا المجال.

أولا: الأسرة:

تعتبر الأسرة الوعاء البيولوجي والاجتماعي الأول الذي يـشكل حيـاة الفـرد ويتناولـه بالتربية، فهي المكان الطبيعي لتوفير الحماية والأمن واشباع الحاجات الأساسية للطفـل، وهـي المجال الحيوي الذي تبدأ فيه أول خطوة لإتصال الطفل بالعالم المحيط به وتكوين الخبرات التي تعينه علي التفاعل مع بيئته المادية والاجتماعية، والأسرة كوعاء تربوي لا يقتصر دورها علي السنوات الأولي من حياة الطفل فحسب، وإنما يمتد تأثرها إلي مختلف مراحل عمره.

ولئن كان التطور الاجتماعي وتعقد الحياة الحديثة وظهور التخصص قد أفقد الأسرة بعض وظائفها المهمة في تربية الطفل، ولئن كانت الكثير من أوعية الثقافة قد شاركتها في هذه المهمة، إلا أن الأسرة ما زالت تلعب الدور الرئيسي في التنشئة الأولي للطفل بوجه خاص وفي مراحـل تربيته المتتابعة بوجه عام.

كان دور الأسرة في التربية من أهم القضايا التي شغلت فكر الأستاذ الامام محمد عبـده، حيث أعطاها الكثير من اهتماماته، فهو ينظر إلي الأسرة كلبنة في بنيان الأمة لابد من مـداواة جراحها إذا شئنا بنيانا قويا ينهض برسالته، ويتحدي ما يحدق به من أخطار، فهو يتحدث عن أن "الأمة تتألف من البيوت" (العائلات) وصلاح الأمة من صلاحها، ومن لم يكن له بيت لا تكون له أمة".[١]

وقد حدد الإمام محمد عبده الوظائف التربوية الملقاة علي عاتق الأسرة تحديدا متكـاملا مسايرا في ذلك أحدث الاتجاهات التربوية علي النحو الآتـــي:

١- وظائف بيولوجية: وتتمثل كما يقول في: "حفظ النوع، ووقاية الوجود البشري من خطر الفناء والزوال وحفظ النسل، وإعداد جميع ما يلزم لوقايته ونمائه الجسمي، وإبلاغه إلي الحد الذي يستقل عنده في حفظ وجوده".(٢)

٢- وظائف نفسية: وتتمثل في اشباع الحاجات النفسية للأطفال كالحاجة إلي الحنان والحب "فقلوب الآباء مجبولة علي الشفقة والحنو علي الفروع، حتي يبذلون أموالهم وأرواحهم في سبيلهم، وقلما يقسو والد علي ولده إلا لسبب قوي، كعقوق شديد أو فساد في أخلاق الصبي".(٣)

"وتعود محبة الوالدين لأطفالهم – كما يري الإمام – إلي منبعين: أحدهما فطري أودعـه ا تعالي فيهما لإتمام حكمته، وهذا الحنان عام لا فرق فيه بين الإنـسان وسـائر الحيوانـات الأخري، وثانيهما ما جرت به سنة البشر من التفاخر بالأولاد، ومن الأمل بالاستفادة بهـم فـي المستقبل".(٤)

٣- وظائف أخلاقية: وتتمثل في تربية الأبناء تربية قوامها الدين "فلا انفع للإنـسان فـي مستقبله من الولد الصالح، فهو ينفعه في دنياه، وقد ورد في الحديث الشريف أن الولـد الصالح من عمل المرء الذي ينفعه دعاؤه بعد موته، ولا يكون الولـد صـالحا إلا إذا أحسن والداه تربيته باستخدام الوعظ والنصح، والتذكير بالحق والخير علي الوجه الذي يروق القلب ويبعث علي الأمل".(٥)

٤- وظائف اقتصادية: وتتمثل في العمل وكسب العيش وفي ذلك يقول: "وقد قضت فطـرة ا تعالي بتقسيم الأعمال علي الزوجين، فعلي المرأة تدبير المنزل ورعاية الأطفـال، وعلي الرجل السعي والكسب خارجه، وهو لا ينافي استعانة كل منهما بالخدم والأجراء عند الحاجة إلي ذلك إذا توافرت لديهما القدرة المالية".(٦)

٥- وظائف اجتماعية: وتتمثل في اعداد الأبناء للحياة الاجتماعية "بتعريفهم عوائد الجماعة ونظمها، وكيفية التعامل معها، ومعرفة حقوقهم نحوها، وواجباتهم تجاهها، والأمل في ذلك إعداد أفراد صالحين في أنفسهم. وفي المجتمع الذي يعيشون فيه".(٧)

كان الأستاذ الامام يود أن تسود الأسرة المصرية عاطفة التراحم، وتقوي صـلة التعـاون بين أعضائها حتي تقوم بوظيفتها التربوية خير قيام، وكان أشد ما يقلقه ازدياد ظـاهرة التفكـك والتفسخ في صلات أفراد الأسرة، ولم تكن دراسته لهذه الظاهرة دراسة تأملية فقط، بل استندت إلي دراسة الواقع، واستخدم في بعض الأحيان الإحصاء والرصد، وهو يشير إلـي ذلـك فـي معرض حديثه عن التربية في مصر عندما يقول:

"لقد استنتجت بالاستقراء منذ كنت قاضيا في إحدي المحاكم الجزئية أن ٧٥% من القضايا بين الأقارب بعضهم مع بعض.. فهل من المعقول أن يكون الفساد في العلائق الطبيعية إلي هذا الحد من التصرم؟ وهل يمكن بعد أن نفقد روابط التراحم وصلات التعـاون بـين العـائلات أن نبحث عن الروابط للجامعة الكبري؟، أو ليس هذا كمن يطلب الثمر من أغصان الشجر بعدما جذ أصولها وجذورها، وقطع أوصال عروقها".[٨]

وفي موضع آخر يقول: "إن الروابط بين أفراد الأسرة بمصر أصبحت أرث وأضعف من الروابط الأخري في سائر البلاد، فمن نظر في أحوالهم، وتبين ما يجـري مـن الازواج مـن المخاصمات والمنازعات والمضاربات وما يكيد بعضهم لبعض، يخيل إليه أنهم ليسوا من أهـل القرآن، بل نجدهم كأنهم لا شريعة لهم ولا دين لهم، بل آلهتهم أهواؤهم وشريعتهم شهواتهم".[٩]

لقد كان اهتمام الإمام محمد عبده بوظائف الأسرة ومهامها التربوية راجعـا إلـي عـدة أسباب، بعضها فكري يتصل بثقافته الدينية، وبعضها يرجع إلي طبيعة تكوينه الريفي الذي يقـيم وزنا كبيرا للترابط الأسري ووحدة البيوت، كما أن التفكك والانحلال اللذين كانا يزحفان علـي العلاقات الأسرية كانا من العوامل والأسباب التي أزعجت محمد عبده، واستنفرت تركيزه علـي هذا الجانب من وسائط التربية.

وما أحوجنا الآن إلي أن تسود عواطف الحب والتراحم بين أفراد أسرنا كما كان يتمنـي الأستاذ الامام بعد أن أصبحت ظاهرة التفكك الأسري تهدد كيان الأسرة المصرية فـي الوقـت الحاضر، ولعل من أبرز مظاهر هذا التفكك الزيادة الكبيرة في نسبة الطـلاق، فتـشير إحـدي الإحصائيات الصادرة عن الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء سنة ٢٠٠٤ إلي وجود حالة طلاق كل (٦) دقائق، وانضمام (٢٤٠) زوجة يوميا إلي قائمة المطلقات في مصر، وأن هناك ٢ مليون & ٤٥٨ ألف مطلقة في مصر، كما توجد ٤ آلاف زوجة تطلب الطلاق سنويا & ٧٧,٦٠٠ حالة طلاق تتم كل عام، وأشارت الاحصائية إلي أن ٤٠% من حالات الطلاق تحت سن الـ ـ ٣٠، وأن ٧٥% من حالات الطلاق بسبب عدم الانجاب، كما أن نسبة الطـلاق عـام ٢٠٠٤ بلغـت ٣٧% وكانت ٧% عام ١٩٧٠.[١٠]

إن ظاهرة التفكك الأسري التي كانت تشغل بال الأستاذ الامام في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين قد استفحلت في الوقت الحالي في مصر، فقد صار للقيم المادية الـسطوة والنفوذ بين أفراد الأسرة، وأدي التقدم في الوسائل الحضارية ومجـالات التـرويح والانفتـاح الاستهلاكي إلي خلق تطلعات لدي أفراد الأسرة لتحقيـق أمـانيهم فيمـا يـشاهدون ويريـدون الاستمتاع به، فالأب يترك أفراد أسرته ويسافر إلي احدي الدول العربية للحصول علـي دخـل مرتفع، أو يقضي معظم فترات النهار في عمل إضافي لتعويض دخل الأسـرة الـذي لا يكفـي بمفرده في مواجهة أعباء المعيشة ذات التكاليف الباهظة، والأم العاملة تغيب عن بيتهـا معظـم

فترات النهار، الأمر الذي أثر علي وظائف الأسرة وحرم الأبنـاء مـن الرعايـة والاشـراف والتوجيه، وأصبحت العلاقات بين أفراد الأسرة قائمة علي أسـاس مـادي، وافتقـدت الأسـرة عواطف الحب والتراحم والحنان التي ينبغي أن تسود بين أفرادها.

كما أن إقبال الكثير من أفراد المجتمع المصري علي تقليد الغرب بما يحمله من اختلافات عميقة عن قيمنا الشرقية وأخلاقيات الإسلام العظيمة وما يتم فيه من اختلاط فج أدي إلي مفاسـد كثيرة داخل الأسرة المصرية، ولا يمكن إعفاء المناهج التعليمية ومؤسسات الإعلام من اللـوم، فقد أسهمت في إفساد حياة الأبناء ونمط تفكيرهم فأوهمتهم بأنهم أصبحوا أوسع أفقا وأقدر فهمـا للحياة من الأهل، وبمقدورهم اتخاذ قرارات فردية صائبة دون الحاجة إلي استشارة الكبار، ولـم يتم تزويدهم بالقيم التربوية الراقية، ولم تكثف الجرعات الأخلاقية، ولم توضح حقوق وواجبـات الزوجين في المناهج.

وقد أدي عجز الأسرة المصرية عن تحقيق تطلعاتها في بعض الحالات إلي وقوع أفرادها في بعض الانحرافات من أجل الحصول علي ما يريدون، وتمزقت نفسياتهم نتيجة العجز بين ما يريدون وما يستطيعون.

ثانيا: المدرسة:

تربية الفرد ما هي إلا سلسلة متصلة الحلقات، وداخل هذه السلسلة تحتل كل من الأسـرة والمدرسة مكانة متميزة ومنزلة مهمة، وإذا كان هناك فرق بين الوظيفة التربوية لكل منهما، فهو فرق في الدرجة وليس فرقا في النوع، وهو فرق في درجة التنظيم ودرجـة الانتقـاء الثقـافي، وفرق في درجة تربوية الخبرة التي هي معيار العمل التربوي أينما وجد وكيفما وجد.

ويمكن إبراز آراء الاستاذ الامام محمد عبده تجاه وظائف المدرسة كما يلي:

أ- وظيفة المدرسة هي مساعدة المتعلم علي النمو المتكامل لشخصيته:

فالشخصية الانسانية كل متكامل لا يمكن تقسيمه إلي أجزاء منفصلة، ومن هنا فإن جميـع مظاهر نمو الفرد يجب أن تدخلها المدرسة في اعتبارها، إذ لا تستطيع المدرسة أن تعني بناحية واحدة مهما بلغت قيمة هذه الناحية، وينتج عن هذا ان الخبرة التي يمر بها التلميذ في المدرسـة لايمكن أن تكون خبرة عقلية فقط أو عاطفية فقط، وإنما هي خبرة متكاملة.

وقد أكد الاستاذ الامام محمد عبده علي هذه الحقيقة، فهو يري أن رسالة المدرسة يجب أن تقوم علي الأركان الآتية:

الركن الأول : أخلاقي: ويتمثل في غرس الصفات الفاضلة في النفس وترويضها عليها، وقد عاب علي المدارس المصرية افتقارها إلي التربية الأخلاقية السليمة حيث يقول: "لقد كان هدف محمد علي من إنشاء المدارس إعداد رجال يكون عنـدهم المـام

ببعض الفنون التي تحتاجها الحكومة، نعم عني بالطب لأجل الجيش، وبالهندسة لأجل الري.. ولكن هل فكر في بناء التربية علي قاعدة من الدين والأدب".

ويستطرد قائلا: "وجاء خاف محمد علي عباس وسعيد فأهملوا النظر في المدارس حتـي جاء اسماعيل فوسع نطاقها، غير أن جميع ما آتاه من ذلك كان صوريا ليقال إن له في حكومته مثل ما لأوربا، ولم يكن القصد منه تهذيب النفوس".(١١)

الركن الثاني : معرفي: ويتمثل في "تزويد النفس بالمعلومات الحية الصحيحة التي تحدث بها ملكة التمييز بين ما هو نافع وضار، علي أن تكون هذه المعلومـات ممتزجـة بالنفس حتي تبعث علي العمل".(١٢)

الركن الثالث : وجداني: ويتمثل في "توليد إحساس واحد لدي التلاميذ يؤلف بـين شـعورهم وحاجاتهم، ويجعل كل فرد يحب نفسه لأجل أن يحب غيره ويحب غيره لأجـل أن يحب نفسه، ولا سبيل إلي ذلك إلا بتنمية الضمير الحي". (١٣)

ب- الربط بين النظر والعمل:

ويتمثل – كما يري الإمام- في "تدريب التلاميذ علي دراسة مواد الدراسة مـن وجههـا العملي والتي تتناسب مع بيئاتهم سواء كانت زراعية أو صناعية".(١٤)

وقد قام الاستاذ الامام بتطبيق هذا المبدأ في مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية التي قـام بتأسيسها والتي سنتحدث عنها بالتفصيل عند الحديث عن قضية تعليم ابناء الفقراء لديه.

وهكذا كان للاستاذ الامام السبق في المناداة بتطبيق فلسفة التعليم الأساسي والتي ترتكـز علي الربط بين المواد النظرية والمجالات العملية والتي لم تطبق في مدارسنا إلا بعد أكثر مـن (٧٥) عاما من وفاته بمقتضي القانون رقم ١٣٩ لسنة ١٩٨١.

ج- تأكيد الصلة بين المدرسة والمجتمع:

تؤمن التربية الحديثة بأنه من المستحيل فصل المدرسة عن المجتمع، إذ أن المجتمع يتكون من أفراد لهم عادات وتقاليد ونظم مشتركة، والمدرسة تتلقي أبناء هذا المجتمـع وتهيـؤهم لأن يحتلوا مكانهم في المجتمع كأعضاء ومواطنين صالحين، وهي في اعدادها لهؤلاء الأفراد تقـوم بخلق جو وبيئة لها من العادات والتقاليد والقوانين والنظم ما لا يتنافي مع المجتمـع الخـارجي، ولهذا تنظر التربية الحديثة إلي المدرسة باعتبارها مجتمعا صغيرا شبيها بالمجتمع الكبير الـذي تقوم فيه.

وقد أكد الامام محمد عبده علي ضرورة تحقيق الصلة بين المدرسة والمجتمع بحيث تقدم برامج المدرسة في صورة تنطبق علي المعاملات الجارية في البيئة، وأن يعود التلاميـذ علـي ممارسة بعض الأعمال الزراعية او الصناعية أو التجارية الموجودة في بيئتهم، ويخصص أحـد الأيام لتنفيذ ذلك. (١٥)

وهكذا كان الامام محمد عبده سابقا لعصره في المناداة بتوثيق الصلة بين المدرسة والمجتمع، وان تكون المدرسة مجتمعا صغيرا شبيها بالمجتمع الكبير الذي توجد فيه، وهو نفس ما نادي به الفيلسوف الأمريكي "جون ديوي" الذي كان يري "أن المدرسة ينبغي أن تكون صورة من صور الحياة، وأن الفشل الكبير في التربية اليوم يرجع إلي إهمال مبدأ أساسي هو ان المدرسة ما هي إلا مجتمع صغير". (١٦)

وإذا كان الاستاذ الامام محمد عبده قد نادي بتخصيص يوم يخرج فيه التلاميذ إلي البيئة ويتفاعلون معها ويمارسون أنشطتهم فيها، فإنه سبق بذلك قانون التعليم الأساسي رقم ١٣٩ لسنة ١٩٨١ الذي نص في أحد بنوده علي تخصيص يوم مفتوح يتعرف التلاميذ من خلاله علي مظاهر بيئتهم ومؤسسات مجتمعهم ويتفاعلون معها. (١٧) إلا أنه للأسف الشديد لا تقوم معظم مدارس التعليم الأساسي بتطبيقه.

ثالثا: المؤسسات الدينية:

تحظي المؤسسات الدينية في أي مجتمع بالتقديس والاحترام نظرا للدور الذي تقوم به في إعداد أفراد المجتمع روحيا، وقد ظل المسجد في تاريخ المسلمين مؤسسة تعليمية للصغار والكبار، وأول الأمكنة التي تحقق الأهداف العملية لتربية الناس بعامة والناشئة والشباب بخاصة.

إن المسجد من المؤسسات التربوية الهامة التي تسهم في تربية الفرد روحيا وتشكيل شخصيته، فبالإضافة إلي ما يغرسه من اتجاه حب الخير وكره الشر بصفة عامة، فإنه يكسب الفرد اتجاهات وعادات خلقية وتعاونية سليمة.

وتتضح أهمية المسجد في أنه لا يتعامل مع فئة معينة من الناس، ولكنه يتعامل مع جميع الذين يؤمنون بالدين دون اعتبار لمراكزهم الاجتماعية أو الوظيفية أو الاقتصادية.

ينبغي ألا تكون وظيفة المسجد قاصرة علي ممارسة العبادات بل يجب أن يكون مكان للتربية والتوجيه والإرشاد. (١٨)

وقد أشار الإمام محمد عبده إلي أهمية رسالة المسجد في تربية أفراد الشعب وخاصة العوام، وانتقد ما كانت عليه المساجد من أحوال سيئة "حيث استحوذ الجهل علي أئمتها وأفسدت الخرافات فطرتهم وأخلاقهم وصحتهم، فلا هم لهم الا تزهيد الناس وغل أيديهم وإغرائهم بالكسل والخمول، حتي صار المسلم يعدل عن الكسب الشريف إلي الكسب المرذول القائم علي الغش والحيلة والخداع، علي أن هذا التزهيد من هؤلاء الأئمة لم يصاحبه ترغيب في الآخرة والاستعداد لها، فهم قد زهدوا الناس في الدنيا وقطعوهم عن الآخرة، فخسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين... وأكثر الأئمة في هذا العهد هم من الجهال حتي بأحكام الطهارة، ومعظمهم يخطئون علي المنبر حتي في نطق آيات القرآن الكريم". (١٩)

"وخطبة الجمعة التي شرعت لتكون درسا عاما في كل أسبوع لجميع المسلمين لم تزد الناس الا جهلا وفسادا، فأكثرها يدور حول فضائل الشهور والمواسم والإغراء بالكسل والتواكل، وأكثر ما يذكر فيها من الأحاديث النبوية هي أحاديث واهية يحرم اسنادها إلي النبي (ص)". [٢٠]

وانتقد الامام محمد عبده إهمال مساجد المسلمين وعدم الاهتمام بتعميرها، مبينا أنه في الوقت الذي تزداد فيه أوقاف المسلمين ريعا ونموا، فإن مساجد المسلمين في خراب حسي ومعنوي. [٢١]

وقد وضع محمد عبده لائحة لاصلاح المساجد، وسعي لدي ديوان الأوقاف لتنفيذها، ومن أهم الأسس التي ترتكز عليها هذه اللائحة، أن تكون رسالة المساجد هي التربية والتهذيب والارشاد، فتقام فيها الدروس والمواعظ العامة لارشاد العوام الذين هم السواء الأعظم من الشعب وأن ترتبط الخطب بمشكلات المجتمع. وأن يكون أئمة المساجد من العلماء المؤهلين ممن تزودا بعلوم القرآن والسنة، ودرسوا المذاهب الفكرية، والإلمام بطرف من علوم الحياة والكون، مع مراعاة تحسين المرتبات الشهرية لشاغلي هذه الوظائف ضمانا لاجتذاب العناصر الجيدة، وأن يخصص جزء من أوقاف المسلمين لاصلاح المساجد بحيث تكون بيوت ا سليمة ونظيفة طاهرة. [٢٢]

كان الاستاذ الامام يريد أن تكون رسالة المسجد ذات مضمون اجتماعي وتربوي لأن القضايا الاجتماعية والتربوية تشكل مضامين جوهرية عالجها القرآن الكريم وتناولتها الأحاديث النبوية الشريفة، وهو ما يجب علي أئمة المسجد في وقتنا الحالي أن يؤكدوا علي هذه الجوانب في خطبهم ودروسهم.

وتعد دار الافتاء من المؤسسات الدينية الهامة التي تقوم برسالة تربوية كبيرة تتمثل في توجيه وإرشاد أفراد المجتمع إلي فهم الأحكام الفقهية المرتبطة بشئون المعاملات وأمور الحياة.

ومن المعلوم أن الأستاذ الإمام محمد عبده كان مفتيا للديار المصرية حيث تولي هذا المنصب في عام ١٨٩٩ بناء علي مرسوم صدر من الخديوي عباس حلمي الثاني بتعيينه مفتيا تضمن الإشارة إلي كفاءته بقوله: "بناء علي ما هو معهود في حضرتكم من العالمية وكمال الدراية".. وقد تجسدت سمات التجديد والفهم المعتدل المتصل بظروف المجتمع وأحوال أفراده في شخصية مفتي الديار المصرية الأستاذ الإمام محمد عبده، فقد كان حجة ومرجعية في ربط الدين بالحياة والإفتاء وفقا للواقع.

وقد سجل المفتي محمد عبده (٩٤٤) فتوي له في مجلدات دار الإفتاء. وهناك العديد من السمات لفكر الأستاذ الامام والتي انعكست بشكل واضح علي منهجه في الفتوي ومنها:

- تميزه ببعد النظر وأخذ عواقب فتواه وتأثيراتها في الاعتبار قبل أن يـصدر الفتـوي، وظهر ذلك في فتواه بعدم فسخ النكاح لردة الزوجة عن دينها إذا تعمدت ذلك للتخلص من زوجها.
- إحاطته بالقوانين والنظم في بلاده والبلاد الأخري والتوصيف الشرعي لها، وذلك حتي لا يضع السائل في حرج إذا أفتي بما لا يستطيع تنفيذه في البلد الذي يقيم به.
- فهمه لأعراف وشرائع غير المسلمين، والمصطلحات المستخدمة لـديهم فـي أمـور الزواج والمعاملات التجارية والاقتصادية.
- الحرص علي مكانة المرأة وحقوقها التي منحها لها الإسلام، والتي لا يجوز للرجل أن يجور عليها، ومن طرائف تطبيقه لهذا الأمر فتواه بحق الزوجة في زيارة والديها كـل يوم جمعة إن لم يقدرا هما علي زيارتها سواء أذن لها زوجها أو لم يأذن.
- تمسكه بالحقوق وعدم ضياعها بالتقادم، وكان يري أنه لا يوجد بالأحكام الشرعية نص يسقط الحق بمرور الزمن طالما لم يتمكن منه صاحبه.
- التيسير علي المسلمين انطلاقا من قوله تعالي: "يريد ا أن يخفف عنكم"، وقـد أفتـي بناء علي ذلك بالاكتفاء برؤية الهلال وشهادة أهل الشرع لمعرفة بداية الشهر العربـي وعدم الالتفات إلي الحساب لوجود خلاف فيه بين بعض المذاهب.
- وحدة المجتمع وعدم انفصال المسلم عن مجتمعه، بل اندماجه فيه مع احتفاظه بهويتـه ودون مخالفة لعقيدته ودينه، فأجاز محمد عبده للمسلمين أكل ذبائح أهل الترنسفال رغم مخالفة طريقتهم في الذبح للشريعة الاسلامية مستندا إلي أن ا قد أحل طعـام اهـل الكتاب، كما حلل الفوائد علي دفاتر توفير البريد. [٢٣]

رابعا: الصحافة:

تعد الصحافة إحدي وسائط التربية الهامة التي تسهم في تربية الشعوب وتثقيفهـا، فهـي تساعد علي انتقال الأفكار من مكان إلي مكان، ومن جماعة إلي أخري، وعن طريقهـا يعـرف الكبير والصغير أشياء كثيرة مختلفة عن أماكن وجماعات قد يصعب عليه الاتصال بها مباشـرة أو الانتقال إليها خلال حياته كلها، ومن هنا تكون أهميتها في حفز تفكير الناس بعـضهم نحـو بعض، وإثارة اهتمام بعضهم ببعض، وتوسيع نطاق خيالهم، بل إن أهميتها فـي التـأثير علـي الرأي العام وتوجيهه.

ومن هنا يري البعض أنها تفوق في أهميتها المؤلفات والكتب، وفي ذلك يقول بول فاليري Paul Valery "إن الإنسانية في جملتها لا تقرأ اليوم شيئا أكثر مـن الـصحف.. لأن الأغلبيـة

الساحقة ممن يعرفون القراءة لا يملكون من الوقت لهذه القراءة أكثر من ساعة في اليوم تختلس اختلاسا، ولا يمكن أن يشغلها غير الصحف.. لقد انتقلت مهمة تثقيف الـشعوب فـي جملتهـا واتساعها من أيدي الفلاسفة والكتاب والشعراء إلي أيدي الصحفيين في الوقت الحالي".[٢٤]

وبرغم ما يشهده عالمنا المعاصر من تقدم في تكنولوجيا المعلومات وآلياتها الممثلـة فـي القنوات التليفزيونية الأرضية والفضائية وأجهزة الحاسب الآلي وشبكات الانترنت والتي جعلـت العالم أشبه بالقرية الكونية الصغيرة، إلا أن الصحافة لا يزال الاقبال عليها كبيرا وما زال لهـا بريقها ومكانتها الهامة في تكوين الرأي العام.

وقد تناول الأستاذ الامام محمد عبده أهمية الصحافة ودورها في التربية، حيث يـري أن الصحافة ينبغي أن تتحول إلي منبر يعرض مختلف الآراء والأفكار التي تسهم في تربية الشعب وتهذيبه، وإنهاض المجتمع وتطويره، كمعالجة قضايا التعليم، ومقاومة الجهل، ومناصرة مبـادئ الأدب والأخلاق، وتكوين الاتجاهات المرغوب فيها كحب العمل وتدعيم الحق والعـدل، ونبـذ الأفكار الخرافية التي تفشت في الأمة وخاصة قضايا الجبر، ودراسة مشكلات المجتمع دراسـة علمية تقوم علي تشخيص أسبابها وتدبير العلاج اللازم لها.

وقد انتقد الصحف التي تقتصر اهتمامها علي نشر أخبار تتصل بأوامر الحكومة ومدح أميـر البلاد دون الاهتمام بعلاج مشكلات المجتمع، واتخذ من صحيفة الوقائع أثناء توليه رئاسة تحريرها منبرا لإصلاح التعليم في البلاد، إذ كتب فيها كثيرا من المقالات التي تنتقـد المـدارس والمعلمـين وطرائق التدريس وسياسة التعليم، وأظهر ما فيها من عجز وقصور، فكان من نتيجة ذلـك إنـشاء المجلس الأعلي للمعارف في ٣١ مارس سنة ١٨٨١. [٢٥]

وأسهم الأستاذ الامام في تطوير أسلوب أدب المقالة الصحفية وقام بتخليصها من أسـاليب الضعف والرطانة في نهاية القرن التاسع عشر، والمرء يطمئن إلي هذا الحكم كل الاطمئنان إذا هو قارن هذه القسمات لدي الأستاذ الامام بأبرز كاتبين سبقاه في الكتابة الصحفية وهما رفاعـة الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣)، وعلي مبارك (١٨٢٣- ١٨٩٢)، فكلاهما كان يسجع بـل يلتـزم السجع، وليس منهما من تقاس لغته بلغة الامام سلاسة وجزالة ودقة في استخدام قواعـد اللغـة العربية مع تطويعها كي تعبر عن الافاق الرحبة لعقل الانسان العربي الحديث. [٢٦]

لقد كان الاستاذ الامام محمد عبده يريد تحويل الصحافة من صحافة خبر إلي صحافة رأي تنشر مختلف الآراء والأفكار التي تسهم في تطوير المجتمع وعلاج مشكلاته وهو ما يتمشي مع الاتجاهات الحديثة في فن الصحافة.

تري ما هو تعليق الاستاذ الامام محمد عبده لو قدر له مشاهدة واقع الصحافة المـصري في الوقت الحاضر؟



لابد أن نعترف أن الصحافة المصرية حاليا تعاني من العديد من المشكلات التـي تـؤثر علي رسالتها، لقد كانت الصحف المصرية في الماضي الصحف الأكثـر تطـورا مـن حيـث الاخراج وكانت في مصر مدارس صحفية متنوعة علمت المنطقة العربية كلهـا كيـف تكـون الصحافة الجادة والكلمة المستنيرة، وكانت تتمتع بمجموعة من القيم الأخلاقيـة التـي منحتهـا المصداقية في الشارع المصري والعربي، وخاضت معارك كبيرة من أجل الاستقلال وتحريـر المرأة وتحرير العقل، وضمت الكثير من الرموز الذين أثروا العمل الصحفي في مقدمتهم جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومصطفي كامل وسعد زغلول ومحمد فريد ولطفي السيد وقاسم أمين وطه حسين وعباس العقاد ومصطفي عبد الرازق وحسين هيكل وتوفيق الحكيم وسلامة موسي.

وفي هذا الصدد يمكن إبراز أهم المشكلات التي تعاني منها الصحافة المصرية في الوقت الحالي علي النحو الآتـي:

- إذا كانت الاعلانات تمثل أهم الموارد المالية للصحافة، إلا أنها أصبحت تمثل تهديـدا لدور الصحافة وتأثيرها ومصداقيتها لدي القارئ، إن قارئ الصحيفة يحرص عليها من أجل كاتب يقرأ له وليس من أجل مندوب اعلانات يحمل لها صفحة اعلانية ولا يعقـل أن يحصل مندوب الاعلانات علي مائة الف جنيها شهريا بينما يحصل كاتب علي أقل من الفي جنيها.
- إن مسئولية الصحيفة أن تقدم للقارئ خدمة صحفية وليس من مسئوليتها تنظيم مسابقات ومباريات رياضية علي شواطئ المصايف، إن هذه الأنـشطة لا تتناسـب مـع دور الصحف العريقة، ومثل هذه الأنشطة تقوم بها الأندية وشـركات الـسياحة والترفيـه، وليس من مسئولية أي صحيفة أن ترعي الفن الهابط أو تدفع الملايين لشراء الملاعب المختلفة ولديها مشاكل ضخمة تمس مسئوليتها المهنية.
- ترك المؤسسات الصحفية العريقة تدار لسنوات طويلة "كعزب" خاصـة فـي أسـاليب الإنفاق والإسراف الذي تجاوز السفه في إنشاء حمامات "الجاكوزي" وغرف النوم فـي المكاتب، وتسرب المال السائب إلي المحاسيب والأصدقاء بينما آلاف العاملين في بلاط صاحبة الجلالة يعانون الحاجة وسوء الأحوال.
- ممارسة بعض المسئولين في الصحف لأساليب الابتزاز والتهديد لبعض المسئولين في مواقف تجاوزت في تهديداتها ولغتها كل تقاليد العمل الصحفي أخلاقيا ومهنيا.
- أصبح العمل الصحفي في السنوات الأخيرة عملية احتكار كاملة لأبناء العـاملين فـي الصحافة حتي وإن كانوا بلا مواهب او قدرات، ولعل حالة التدني في مستوي الكتابـة الصحفية من أهم مظاهر هذه التجاوزات.

إن الصحافة المصرية تحتاج في الوقت الحاضر إلي عملية تطوير شاملة حتي تتجاوز هذا المأزق الخطير، إن التطور الرهيب في أساليب الطباعة الحديثة والمنافسة الشرسة علي الانترنت والفضائيات والوسائل الحديثة في مجال الاتصالات يضع الصحافة المكتوبة امام اختيار وحيد إما تكون أولا تكون، وتحتاج الصحافة المصرية إلي وجوه شابه جديدة موهوبة تدرك مسئولية الكلمة وتعرف كيف تحترم عقل القارئ وإذا كان بناء الصحيفة يستغرق شهورا فإن بناء كاتب يحتاج عمرا، فضلا عن ضرورة مكافحة فساد القيادات الصحفية وإقرار مبدأ الشفافية، إن الصحافة المصرية تحتاج علي المستوي المهني إلي ثورة حقيقية تجدد شبابها، لقد خسرت الصحافة المصرية الكثير من تقاليدها الراسخة امام جمع المال وسطوة الاعلانات وتداخل الأدوار.

خامسا: المطبوعات:

تمثل المطبوعات كل ما ينشر من مؤلفات وتراجم ونشرات تسهم في ارتقاء الثقافة وتنمية الفكر.

وقد أشار الأستاذ الإمام محمد عبده إلي أهمية المطبوعات في تثقيف العقول وتنميتها وأوضح أن المؤلفات لابد وأن تتوافر فيها سلاسة الأسلوب ووضوح المعني والبعد عن الزخارف... والحديث عن المؤلفات ودورها في أداء الرسالة التربوية يلاقي دائما هوي في نفس الأستاذ الإمام، ولا نعجب من ذلك، فالرجل من رجال التعليم المهتمين بشئونه، وهو صاحب رسالة داعية إلي اصلاح مساره كي تؤتي الرسالة التعليمية غايتها في إنماء طبقة من المثقفين علي بصيرة بخصائص لغتهم وأدبهم في عصر أصبح العالم فيه أمارة علي قوة الأمة وحضارتها.

كان الأستاذ الإمام يرفض ما خلفه المولدون من مؤلفات ومن تبعهم من المتأخرين، ويدعو إلي الاعتماد علي كتب القرون المتوسطة كالقرن الثالث والرابع الهجري وهجر كتب القرون المتأخرة التي ألفت في عهد الضعف السياسي والفكري والتي تتميز بركاكة الأسلوب وضحالة المعني.

وأبرز الأستاذ الإمام أن أكثر الكتب المطبوعة التي يقبل عليها الشعب وقتئذ، هي الكتب البعيدة عن العلم والحقيقة، والتي تتصل بالأكاذيب الصرفة والأوهام والتنجيم، وترتب علي ذلك انتشار الخرافات وانغماس أغلب الشعب في ظلمات الجهل، ولهذا وجب تطهير البلاد من تلك المؤلفات الضارة، وتوجيه أنظار الشعب إلي خطورتها، وعدم الترخيص لأي مطبعة بطباعتها، ومن يتعد ذلك يجازي بأشد الجزاء.[٢٧]

وأكد الاستاذ الامام علي مسئولية الحكومة في نشر الكتب المفيدة والتشجيع علي تأليفها وخاصة الكتب العلمية التي توسع الأفق وتنظم التفكير. [٢٨]

ومن المؤسف ان أعمال الدجل والشعوذة التي كان ينادي الامام محمد عبده بالتصدي لها، ما زالت قائمة في مجتمعنا حتي الآن، بل إنها استفحلت وأصبحت خطرا يهدد الكيان الفكري للمجتمع.

وتشير بعض الدراسات إلي أن المصريين ينفقون كل عام عشرة مليارات من الجنيهات علي أعمال الدجل والسحر والشعوذة والوصفات الشعبية وزيارة الأضرحة وتغذية صناديق النذور بالأموال الكثيرة تبركا وطلبا لتلبية الحاجات مما يجعل العالم المتقدم يصفنا بالتخلف ويعرضنا للإهانة والسخرية.. إن ذلك يدل علي نكوصنا للماضي، والعجز من مواكبة العالم والاختراعات والمنجزات المدهشة تكنولوجيا وحضاريا.[٢٩]

إن التصدي لهذه الظاهرة يتطلب نشر المعرفة العلمية وتكوين العقل العلمي من خلال المطبوعات والمناهج الدراسية وأجهزة الثقافة والاعلام، وتاريخ العلوم حافل بالقصص التي توضح أن العلوم كانت ولا تزال حربا علي الخرافات والعقائد البالية.

كما تبدو أهمية الاستعانة بالدين كعامل فعال في مواجهة المعتقدات الخرافية، فالدين بأحكامه ونصوصه، يدين الخرافات والمعتقدات البالية، كما يدعو الدين إلي العلم ولا يوجد تعارض بينهما.

لقد كان لدينا علماء أفذاذ جمعوا بين علوم الدين والدنيا كابن سينا والبيروني والحسن بن الهيثم وابن النفيس وابن البيطار وغيرهم، ونحن نحلم الآن بأن يكون لدينا علماء وفقهاء يجمعون بين الحسنيين، بين الفقة والعلوم الحديثة، لا يصادرون علي الأفكار الحديثة ويرفعون شعار الحداثة الاسلامية، نريد تأسيس فقه جديد عند علماء الأمة اسمه فقه الحداثة، ولن تقوم قائمة للعالم الاسلامي بدون احترام العلم والتفكير العلمي والمنهجية.

ان فكرة انشاء جامعة الازهر في البداية جاءت من أجل تحقيق هذا الهدف، تخريج علماء في الطبيعة والرياضيات والطب وخلافه، لديهم معرفة علمية أصيلة وفي نفس الوقت معرفة بعلوم الدين ولكن هل استثمرنا هذه الأعداد الغفيرة من الخريجين من جامعة الازهر من عام ١٩٦١؟..... لا أعتقد ذلك، هناك خطأ ما.

إن الحاجة تدعو إلي وضع استراتيجية تربوية تتبناها الدولة نحو تحديث المناهج التعليمية علي أساس علمي لتواكب روح العصر، وتحرير روح التفكير، وتأكيد المصالحة بين العلم الدين ومرة أخري.. نحن في حاجة إلي فقه جديد اسمه فقه الحداثة.

سادسا: المكتبات:

تلتقي المكتبات العامة بغالبية المواطنين من خلال خدمة عامة تقوم علي امداد المتعلمين في المدينة أو القرية بالكتب والمطبوعات ووسائل المعرفة، وهي تسهم عن هذا الطريق في

اعداد المواطنين ثقافيا وسياسيا، وتمكنهم من تحمل مسئوليتهم كأفراد لهم أثر ايجابي في شـئون بلادهم، كما تسهم ايضا في تكوين ورعاية الوعي الثقافي والرأي العام.

وتعميم خدمات المكتبة العامة يساعد علي تحقيق مبدأ التعليم المستمر مدي الحياة، وتلبيـة الاحتياجات التعليمية للكبار والصغار. [٣٠]

وقد أبرز الأستاذ الامام محمد عبده، قيمة المكتبات في تثقيف الشعوب وتهذيبها، وأوضح أن الاهتمام بإنشائها يدل علي تقدم الدول ورقيها وارتفاع وعيها الثقافي، وأشار إلي أن النهـضة التعليمية والعلمية في الدولة الاسلامية في عصورها الزاهرة قامت علي إنشاء المكتبـات حتـي كان في القاهرة في أوائل القرن الرابع الهجري مكتبة تحتوي علي مائة الف مجلد.[٣١]

وهو ينعي ضعف الوعي المكتبي لدينا، وإهمالنا في حفظ الكتب وإضـاعتها وفـي ذلـك يقول: "ضاعت كتب العلم وفارقت ديارنا نفائسه، فإذا أردت أن تبحث عن كتاب نادر او مؤلف فاخر، أو مصنف جليل أو اثر مفيد، فاذهب إلي خزائن أوربا تجد فيها ما تريد، أما بلادنا فقلمـا تجد فيها الا ما ترك الأوربيون من نفائس الكتب التاريخية والأدبية والعلمية... فنحن لا نعنـي بحفظ شئ ينفع من بعدنا، فليست ملكة الحفظ مما يتوارث عندنا، إنما الذي يتوارث هو ملكـات الضغائن والأحقاد".[٣٢]

وطالب الاستاذ الامام محمد عبده بطباعة المخطوطات المكتوبـة علـي أوراق البـردي وغيرها مما كتب بالكوفية أو النسخ القديم وتحقيقها، فذلك يساعد الدارسين علي معرفة ما كتـب فيها ويتيسر لهم بعد ذلك قراءتها في أصولها.[٣٣]

وإلي الامام محمد عبده، يرجع الفضل في إنشاء المكتبة الأزهرية وتخصيص مكان لهـا، وقام بجهد كبير في تجميع الكتب المبعثرة والممزقة في الأروقة وتصنيفها إلي فنون وترقيمهـا وعمل فهرس لها. [٣٤]

وإذا كانت المكتبات العامة تعتبر البديل الطبيعي لضعف قدرة المواطن المـصري علـي شراء الكتاب في الوقت الحاضر، وبرغم ما تبذله الدولة من جهد في نشر الكتب بين المواطنين باسعار رخيصة عن طريق مشروع مكتبة الأسرة، إلا أن مصر لا زالت تعاني من قلة المكتبات إذ يبلغ عددها نحو (١٤٥٠٠) مكتبة بما فيها دار الكتب بفروعها ومكتبات البلـديات ومراكـز الثقافة والمعاهد والكليات الجامعية والوزارات ومصالح الحكومة والهيئات والمؤسسات العامـة والمدارس الثانوية بمختلف نوعياتها والمدارس الاعدادية، ويتركز معظم هـذه المكتبـات فـي عواصم المحافظات، وقد أدي ذلك إلي صعوبة حصول كثير من المواطنين علي الكتب، فـضلا عن أن غالبية المكتبات لا يتوافر فيها المراجع الأساسية والدراسات العالمية.[٣٥]

سابعا: المتاحف:

للمتاحف قيمة تربوية وثقافية كبيرة، فهي تنمي في الفرد روح الانتماء لوطنـه وبيئتـه، وتسهم في تبسيط الأسس والمعارف الأساسية، وتعمل علي تنمية القـدرات العلميـة والتفكيـر العلمي لدي المواطنين، كما تعاون علي تنمية الذوق الفني، وتشارك في عملية التربية والتثقيف.

وقد أشار الاستاذ الامام محمد عبده إلي أهمية المتاحف في انماء الثقافة وتوسـيع الفكـر، "فما تحويه من آثار يحفظ لنا من أحوال الأشخاص في الفنون المختلفة، ومن أحوال الجماعـات المتنوعة ما يستحق أن يسمي بديوان الهيئات والأحوال البشرية". [٣٦]

فهي تمكن الانسان من رؤية ما يقرأه او يسمع عنه "فإذا وجد الانسان اسم شئ في كتـاب تاريخ، أو عرض عليه اسم في علم من العلوم يتصل بالزمن السابق، أمكنه بزيارة المتحـف أن يتعرف علي المدلول بالعيان والمشاهدة، ونحن نسمع أسماء اللائمة والدلاص والدرع والخـوذة والعمامة (عمامة الحرب)، ولا تستقر صورة هذه الأسماء في أذهاننا إلا بمشاهدتها". [٣٧]

وقد صنف محمد عبده المتاحف حسب ما تعرضه من أشياء "فهناك متاحف الآثـار التـي تفيد في دراسة التاريخ، وهي تحوي علي ما استعمله السابقون من آلات وأدوات وأنواع ثيـاب وضروب مراكب وتماثيل، وهناك المتاحف الفنية التي تسهم في ترقية الذوق بما تحويـه مـن صور مرسومة علي الورق والخشب والنسيج، حتي إن القطعة من رسم روفائيـل مـثلا ربمـا تساوي مئات الألوف، وهناك متاحف علمية تتخصص في عرض نمـاذج وعينـات للنباتـات والأشجار والحاصلات، وما لا يناسب هذه النماذج والعينات من أجواء طبيعية يهيؤ لها أجـواء ملائمة بالتسخين أو التبريد حتي تعيش في جو يماثل جوها". [٣٨]

لقد كان اهتمام الاستاذ الامام محمد عبده بأهمية المتاحف والآثار وقيمتها في تربية الشعب وتثقيفه يمثل اتجاها جديدا في تلك الفترة، وهو اتجاه توليه التربية المعاصرة اهتماما خاصا.

إن الدور الذي تقوم به المتاحف في عالمنا المعاصر يدعونا إلي أن نفيد من طاقاتها، وأن نعمل علي اصلاحها وتطويرها عن طريق الأخذ بالأساليب العلمية والعمليـة المتطـورة فـي عرض محتوياتها، وأن نهتم بتدريس علوم المتاحف، واعداد الأمناء المتخصصين لها وتكـوين جيل جديد من المرشدين التربويين يعملون فيها.

هوامش الفصل الثالث

١- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبـده، جـ ـ ٤، مـصدر سابق، ص ١٢٥.

٢- محمد عبده، حاجة الانسان إلي الزواج، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ ـ ٢، مـصدر سابق، ص ٦٨.

٣- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ ـ ٤، مـصدر سابق، ص ٢٢٤.

٤- نفس المصدر السابق، ص ٢٢٥.

٥- نفس المصدر السابق، ص ٦١٩.

٦- محمد عمارة، الاسلام والمرأة في رأي الامام محمد عبده، كتاب الهلال، العـدد ٣٤٧، نـوفمبر ١٩٧٩، ص ٦٠.

٧- نفس المصدر السابق، ص ٧١.

٨- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ ـ ٤، مـصدر سابق، ص ٦١٩.

٩- نفس المصدر السابق، ص ٦٧٧.

١٠- الجهاز المركزي للتعبئة والاحصاء، دراسة احصائية عن واقع الزواج والطـلاق فـي المجتمـع المصري، ٢٠٠٤.

١١- محمد عبده، المدارس الأميرية، الاعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ١١٠.

١٢- نفس المصدر السابق، ص ١١١.

١٣- نفس المصدر السابق، ص ١١٢.

١٤- محمد عبده، التربية في المدارس والمكاتب الأميرية، الأعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ٣، مصدر سابق، ص ٢٧.

١٥- محمد عبده، المكاتب الرسمية الابتدائية، الاعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ص ١١٥-١١٦.

16- J- Dewy "Education and Social Change", in the Social Fronontier 3 May, 1937.

١٧- وزارة التربية والتعليم، القانون رقم ١٣٩، ١٩٨١.

١٨- محمد فوزي عبد المقصود، الأصول الاجتماعية للتربية، مكتبة دار العلم، الفيوم، ٢٠٠٤، ص ٩١.

١٩- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ ـ٥، مـصدر سابق، ص ١١٣.

٢٠- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ١، مـصدر سـابق، ص ٦٣٠.

٢١- نفس المصدر السابق، ص ٦٣٣.

٢٢- نفس المصدر السابق، ص ص ٦٣٤- ٦٣٩.

٢٣- أبو بكر القاضي، الإمام محمد عبده ومدرسة الحداثة والتجديد،

Httm.//WWW Sudanese on Line, Com/ Article/ Oct 5- Shtml, P. 102, of 3.

٢٤- خليل صابات، الصحافة رسالة، استعداد، فن، علم، القاهرة، دار المعـارف، ١٩٨٩، ص ٤٣.

٢٥- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ١، مـصدر سـابق، ص ١٧٧.

٢٦- المجمع اللغوي، اعمال المجمع مرفوعة للملك فؤاد، دار الوثائق القومية بالقلعة، سجل رقم س/١٢/ ٤١ بتاريخ ١٧ مارس ١٩٢٢، ص ٢١.

٢٧- محمد عبده، الكتب العلمية وغيرها، الوقائع المصرية، العدد ١١٠٩، في ١١ مايو ١٨٨١.

٢٨- نفس المصدر السابق.

٢٩- المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المعتقدات الشعبية في المجتمع المـصري، دراسة ميدانية، القاهرة ٢٠٠٣،ص ٩٥.

٣٠- المجالس القومية المتخصصة، السياسة الثقافية، مبادئ ودراسات، القاهرة، المركز العربي للبحث والنشر،١٩٩٤، ص ١١٢.

٣١- محمد عبده، المكتبة العمومية ودار المحفوظات، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبـده، جـ٢، مصدر سابق، ص ١٨٦.

٣٢- نفس المصدر السابق، ص ١٨٧.

٣٣- نفس المصدر السابق، ص ١٨٧.

٣٤- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ١، مـصدر سـابق، ص ٤٥٢.

٣٥- المجالس القومية المتخصصة، السياسة الثقافية، مبادئ ودراسـات، مـصدر سـابق، ص ص ١١٩- ١٢٠.

٣٦- محمد عبده، الصور والتماثيل وبساتين النبات وحكمها، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٢، مصدر سابق، ص ص ٢٠٢-٢٠٣.

٣٧- نفس المصدر السابق، ص ٢٠٣.

٣٨- نفس المصدر السابق، ص ٢٠٣.

الفصل الرابع

سيكلوجية الإنسان

سيكلوجية الإنسان

إن فهمنا لطبيعة العملية التربوية لا يكتمل بدون تصور سليم لخصائص الانسان السيكولوجية حتي يمكن صياغة المنهج التربوي المناسب له.

ويتعرض هذا الفصل لما وصل إليه الاستاذ الامام محمد عبده من أفكار حول بعض الخصائص السيكولوجية للإنسان والتي ينبغي أن تراعيها التربية كالنمو وخصائصه في مرحلتي الطفولة والمراهقة وأساليب التربية تجاه ذلك، والوراثة والبيئة وأثرهما في النمو، والتعلم الذاتي وأهميته، ومفهوم العادة ومكوناتها، وطبيعة العمليات العقلية المعرفية كالادراك الحسي والذاكرة والتفكير.

وفيما يلي عرض آراء الأستاذ الإمام في هذه الجوانب:

النمو النفسي ومراحله:

كانت التربية في مصر خلال عصر الأستاذ الامام تربية تقليدية تنظر إلي الطفل علي أنه رجل مصغر له ما للراشد من الملكات والاستعدادات، ولهذا كان يطلب من الأطفال سلوك مسلك الكبار، وكانت تقاس أعمالهم وحركاتهم وسكناتهم بمعايير الرجال دون مراعاة لخصائص نموهم، ولما كان معظم الأطفال عاجزين عن مغالبة طبيعتهم، كان الآباء والمربون يستخدمون معهم أساليب الضغط والزجر ووسائل الترغيب والترهيب التي من شأنها أن تروضهم علي رفض حياتهم الخاصة ومطالبهم النفسية الذاتية، وأن تدفعهم إلي قبول ما يمليه عليهم الكبار[١]، ومن هنا اهتم الأستاذ الامام محمد عبده بضرورة مراعاة خصائص النمو في مرحلتي الطفولة والمراهقة، ووضع القواعد التي ينبغي أن تسير عليها التربية في هاتين المرحلتين.

يعرف علماء النفس المحدثون النمو النفسي بأنه التغيرات الجسمية والفسيولوجية، والتغيرات العقلية المعرفية، والتغيرات السلوكية والانفعالية والاجتماعية التي يمر بها الفرد في مراحل نموه المختلفة.[٢]

وإذا كان التكامل من أهم سمات النمو كما يذكر علماء النفس المحدثون، فقد أشار الإمام محمد عبده إلي هذه الخاصية في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، فهو يري أن نمو الإنسان يتم بطريقة متكاملة من النواحي البدنية والعقلية والنفسية في آن واحد وهذه الجوانب يؤثر ويتأثر بعضها ببعض[٣]، وهو ما يتطلب أن تقوم التربية بإنماء الجسم والعقل والروح في آن واحد.

وإذا كان الأستاذ الامام محمد عبده ليس من المشتغلين بعلم النفس أو المتخصصين فيه، إلا أنه أبرز الخصائص العامة لمراحل النمو مع تطبيقها علي واقع المجتمع المصري دون التطرق إلي التفاصيل والجزئيات التي يهتم بها علماء النفس المتخصصين، وإن كان ما سجله من أفكـار في هذا المجال يعد تجديدا بالقياس إلي عصره.

أولا: خصائص النمو في مرحلة الطفولة:

تناول الأستاذ الامام خصائص النمو في هذه المرحلة كما يلي:

أ- النمو الجسمي ومطالبه:

أوضح الأستاذ الامام محمد عبده أن من خصائص مرحلة الطفولة الضعف عنـد المـيلاد، ولهذا يعتمد الطفل علي أمه اعتمادا كليا، فالطفل يولد ضعيف القوة، فاقد العلم لا يعرف شيئا مـن أمره كما جاء في التنزيل: "وا أخرجكم من بطون أمهاتكـم لا تعلمـون، وجعـل لكـم الـسمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون"[٤] (النحل: ٧٨).

وفي بداية هذه المرحلة – كما يري الأستاذ الامام-، يعتمد الطفل في إشباع حاجته علـي الالهام الفطري، فهو بعد ميلاده يشعر بألم الحاجة إلي الغذاء فيصرخ طالبا له بفطرته، وعنـدما يصل الثدي إلي فمه يلهم التقاطه وامتصاصه.[٥]

وأوضح الأستاذ الإمام أن تحديد الرضاعة في بداية هذه المرحلة بـسنتين هـو مراعـاة للفطرة بالنسبة إلي ضعف الأطفال في أقل البيوت استعدادا للعناية بالتربية، وقد تـنقص إذا رأي الوالدان ذلك، لأن قوله تعالي "لمن أراد أن يتم الرضاعة" يفهم منه جواز الاقتصار علي ما دون الحولين، فا سبحانه وتعالي لم يحدد أقل المدة بل وكله إلي اجتهاد الوالدين الذي تراعـي فيـه صحة الطفل.[٦]

"وأفضل اللبن للطفل – من وجهة نظر الأستاذ الامام- هو لبن أمه، لأنه يحتـوي علـي مكونات غذائية بنسبة أكبر ملائمة للطفل من لبن البقر أو غيره... وقد قضت الحكمة أن تكـون حالة لبن الأم في التغذية ملائمة لحال الطفل بحسب درجات سنه"[٧]، ومن المعلـوم أن الطـب المعاصر يؤكد علي هذه الحقيقة ويدعو الأمهات إلي إرضاع أبنائهن رضاعة طبيعية لأن لـبن الأم يعطي مناعة ضد الأمراض والنزلات المعوية.

وإذا كانت مرحلة الطفولة مرحلة لهو ونشاط، فقد أوصي الامام محمد عبـده بـضرورة تزويد الصبي بالغذاء الكافي الذي يسهم في تقوية بنيته وحمايته من الأمراض.[٨]

ب- النمو الحركي ومطالبه:

تؤمن التربية الحديثة بأن الطفل طاقة متحركة لا تهدأ ولا تخمد، وأن اللعب هو الوسـيلة الفعالة والأسلوب المناسب لإشباع نشاط الطفل الحركي في هذه المرحلة، فعن طريق اللعب يتاح للطفل أن يكتسب قدرا عظيما من التوافق الحركي والعضلي، واللعب يسهم في تـشجيع الطفـل

علي الاختيار الحر ويشبع حاجته إلي النجاح، ويمكنه من تذوق نتيجة إنجازاته، وعن طريق اللعب يكتسب الطفل بعض الصفات المرغوب فيها كالتعاون والتنافس الشريف، كما أنه يشبع غريزة حب الاستطلاع لدي الطفل ويساعده علي التنفيس عن انفعالاته.[٩]

وقد أكد الأستاذ الإمام محمد عبده علي أهمية اللعب وضرورته للطفل في هذه المرحلة في وقت كانت تسيطر فيه علي البلاد تربية تقليدية تعتبر أن اللعب مضيعة للوقت والمجهود ويحول بين الطفل وبيئته.[١٠]

وأبرز الأستاذ الامام أن الطفل في هذه المرحلة ينغمس في الحس المحسوس، ويعمل علي ترويض قواه البدنية، فهو يجري ويقفز ويتسلق مع رفقائه، ويشعر باللذة، والسرور ويضيق بالحجر عليه.[١١]

وهو يعلل اعتماد الطفل علي حواسه بعدم نضوج عقله، غير أن اكتمال حواسه لا يكون بعد الميلاد مباشرة، وإنما يكون تدريجيا بخلاف الحيوان الذي تكتمل حواسه بعد الميلاد بقليل، ويوضح الأستاذ الامام مسئولية الأبوين تجاه النمو الحسي والحركي للطفل بأن يقوما بتعليمه كيف يسمع، وكيف ينظر، وكيف يتقن ببصره عاقبة ما يخشي وقعه[١٢]، وهو ما يتمشي مع أساليب التربية الحديثة التي تهتم بتربية حواس الطفل، والاستعانة بالمعينات السمعية والبصرية في تدريبها.

ج- النمو العقلي ومطالبه:

أوضح الأستاذ الامام محمد عبده أن إدراك الطفل في مرحلة الطفولة ينصب علي الأمور المحسوسة "فهو إدراك يتعلق باستطلاع كل ما هو محسوس، ولا يستطيع الطفل أن يخترق هذا الكون المحسوس ليصل إلي معرفة مكنوناته، وإذا ذكر له شئ من تلك المعاني المجردة، لم يتمثلها في ذهنه إلا في صور من الخيال هي أقرب إلي الباطل منها إلي الحق".[١٣]

من أجل ذلك طالب الأستاذ الامام بأن يتصل التعليم في مرحلة الطفولة بكل ما هو قريب ومحسوس ومتصل بظروف البيئة، وأن يكون تدريس المواد التعليمية من وجهها العملي وأن يقوم علي الفهم ويبتعد عن التلقين.[١٤]

د- النمو الانفعالي ومطالبه:

يؤثر المنزل تأثيرا كبيرا في نمو الطفل من الناحية الوجدانية، فالطفل يتعلم أول درس في الحب والكراهية مما يلمسه من حب والديه وكراهيتهم لمن يؤذونه، أو يضرونه، ومن صلة أفراد الأسرة بعضهم ببعض إن كانت صلة احترام وعطف، أو صلة نفور واستهتار وشغب.[١٥]

وقد أوضح الاستاذ الامام محمد عبده أن الطفل في نشأته في حاجة إلي إشباع حاجاته العاطفية كالحاجة إلي الحب والحنان، والحاجة إلي الحنو والشفقة، والحاجة إلي الحماية والسلامة والأمن.[١٦]

وهو يري أن العلاقات الأسرية لها أثر في إشباع هذه الحاجات، فالأسرة المترابطة التـي يسود بين أفرادها عواطف الحب والتراحم والتعاون يتم من خلالهـا اشـباع هـذه الحاجـات، والأسرة المفككة التي يسود أفرادها القسوة والكراهية يتعرض فيها الأطفال للضياع والنمو غير السوي(١٧)، ولذا كان للترابط الأسري أثر في النمو العاطفي السليم للطفل.

ثانيا: خصائص النمو في مرحلة المراهقة:

أطلق الأستاذ الامام علي هذه المرحلة (طور التمييز الناقص)(*)، وقد أبرز خصائص هذه المرحلة كما يلي:

أ- النمو الجسمي ومطالبه:

أوضح الإمام محمد عبده سرعة النمو الجسمي في هذه المرحلة حيث تبلغ البنية في هـذا الطور حد النمو الكامل، وتبدو الطاقة الجنسية في أجلي صورها، وقد اهـتم الاسـلام بالطاقـة الجنسية في الانسان ضمن اهتماماته، وعالج مسائل الجنس بصراحة ووضوح، وفي أدب سـام رفيع جعل الجنس نشاطا انسانيا ساميا إذا وجه للحلال، وعملا حيوانيا ساقطا إذا وجه للحـرام، وجعل الإسلام الزواج هو الأسلوب المشروع والنظام المعروف لتبديد الطاقـات الجنـسية فـي الانسان، والارتفاع بالمجتمع بوقايته من الانسياق وراء شهواته بلا وازع ولا تنظيم ولا حرمـة ولا قداسة، لأن المجتمع الذي يتحكم أفراده في علاقاتهم الجنسية ويمارسون فيه دوافعهم الفطرية بما يعود علي مجتمعهم بالخير يتسم بميسم النقاء والطهارة والنظافة، فإذا لـم يتيـسر للـشباب الزواج، فعليه مجاهدة نفسه بالتعالي علي غرائزه، والاستعفاف والتمسك بالفـضائل، وتوجيـه طاقاته في عبادة ا وعمله الحلال.(١٨)

وهكذا يضع الاستاذ الامام أسس التربية الجنسية السليمة التي ينبغي أن تتبع مع الـشباب في هذه المرحلة والتي تنآي بالمجتمع عن الفحشاء والفساد.

ب- النمو العقلي ومطالبه:

من خصائص النمو العقلي في مرحلة المراهقة قـدرة الفـرد علـي التفكيـر المجـرد، والاستغراق في التأمل وأحلام اليقظة، والقدرة علي ادراك العلاقة بـين الأسـباب والمـسببات، والتفكير في أمور الدين والغيبيات.

وقد أوضح الأستاذ الامام محمد عبده "أن فكر الانسان في هذه المرحلة يتميز بالارتقـاء، فهو يفكر فيما مضي وينظر فيما حضر ليعرف منهما كيف يسلك في عمله لما يـستقبل، وهـو يستخدم عقله للنظر في الغايات والأسباب والمسببات وإدراك الفرق بين البسائط والمركبات.(١٩)

(*) يعني الاستاذ الامام الطور الذي لم يصل إلي مرحلة الرشد، حيث يكون النضج الكامل.

وبين الأستاذ الامام مسئولية التربية تجاه النمو العقلي في هذه المرحلة متمثلة في تحرير فكر الانسان من الجمود والتعصب، وتأثير الانفعالات والتخيلات والمصالح الشخصية والأهواء[٢٠]، ومطاردة الأوهام والخرافات[٢١]، وتوجيه النظر العقلي لتحصيل الإيمان.[٢٢]

ج- النمو الانفعالي ومطالبه:

أوضح الاستاذ الامام محمد عبده أن الفتي في هذا الطور يميل إلي الاستغراق في الخيال وبناء الآمال والأحلام، كما قام بتحليل الصراع النفسي الذي يتعرض له الفتي في تلك المرحلة تحليلا دقيقا قائلا: "فالإنسان عندما يهم بعمل شئ يجد في قلبه طريقين، وفي نفسه خصمين متخاصمين، احدهما يأمره بالعمل وسلوك الطريق الأعوج، وآخر ينهاه عن العوج ويأمره بالاستقامة علي النهج، ولا يترجح عنده باعث الشر، ولا يجيب داعي السوء، إلا إذا خدع نفسه بعد المشاورة، وصرفها عن الحق، وزين لها الباطل، وهذه الشئون النفسية هي في غاية الخفاء، فتكون المنازعة ثم المخادعة، ثم الترجيح وغير ذلك كلمح البصر".[٢٣]

ويتفق تحليل الامام لظاهرة الصراع النفسي مع نظرة علم النفس المعاصر إلي الصراع علي أن صدام بين رغبتين متضاربتين، كالرغبة في الجنس والرغبة في ارضاء الآخرين أو الاحتفاظ بالمكانة الاجتماعية، والصراع بين دافع العدوان وبين نبذ المجتمع أو الوقوع تحت طائلة القانون.[٢٤]

ويوصي الاستاذ الامام بأهمية التربية الدينية للمراهق قائلا: "فالايمان هو السبيل الوحيد للتخلص من هذا الصراع وتلك الوساوس، فالايمان له أثره في اطمئنان القلوب واستقرار النفوس، وهجر الوساوس، وابتعاد النفس عن الهواجس، فإذا عرضت للإنسان دواعي الشر وأسباب المعاصي تحول عنها، وإذا نسي فأصاب الشباب بادر إلي التوبة والإنابة.. والإيمان الصحيح له نور يسطع في القلوب فيهديها في الظلمات، ويضئ لها السبيل إلي الحق".[٢٥]

ويستطرد الاستاذ الامام قائلا: "الإيمان الصحيح لا يسمح لصاحبه أن يأخذ بأمر قبل أن يتبصر فيه ويمحص الدليل علي أنه نافع له في دينه ودنياه، الإيمان الصحيح يجعل من نفس صاحبه رقيبا عليها في كل خطرة تمر بباله، وكل نظرة تقع فيه علي ما بين يديه من آيات ا في خلقه".[٢٦]

ويتفق اتجاه الاستاذ الامام في هذا الأمر مع أحدث الاتجاهات في الطب النفسي التي تري أن الايمان الديني هو أكثر الوسائل الفعالة في تهدئة الخواطر وعلاج الأمراض النفسية، وتحقيق السلامة النفسية.

يقول كارل يونج أشهر الأطباء النفسيين في أمريكا في كتابه "الرجل العصري يبحث عن روح": أستشارني خلال سنوات عملي آلاف المرضي من شعوب العالم المتحضرة، فوجدت كل مشكلة هؤلاء المرضي ترجع في الأساس إلي افتقادهم الايمان وخروجهم عن تعاليم الدين، ولم يبرأ واحد من هؤلاء إلا حين استعاد إيمانه واستعان بأوامر ا ونواهيه.[٢٧]

الوراثة والبيئة وأثرهما في نمو الفرد:

من المعروف الآن أن العوامل الوراثية المختلفة تتفاعل مع عوامل البيئة في تحديد صفات الفرد، وفي تباين نمو الأفراد ومسالك حياتهم ومستويات نضجهم ومدي تكيفهم، وتختلف صفات الفرد اختلافا بينا في مدي تأثرها بتلك العوامل المختلفة، فالصفات التي لا تكاد تتأثر بالبيئة تسمي الصفات الوراثية الأصيلة، وأهمها لون العين ولون ونوع الشعر ونوع الدم وهيئة الوجه ومعالمه وشكل الجسم، والصفات التي تعتمد في جوهرها علي البيئة وتختلف ولا تكاد تتأثر بالموروثات تسمي صفات مكتسبة، ومن أهمها الخلق والمعايير الاجتماعية والقيم المرعية، والصفات التي ترجع في جوهرها إلي الوراثة وتتأثر بالبيئة تأثيرا يتفاوت في مداه بين الضعف والشدة تسمي صفات وراثية بيئية، أو استعدادات فطرية تعتمد علي البيئة في نضجها، وتتأثر بها في قصورها وعجزها عن بلوغ هذا النضج، ولعل أهم هذه الصفات لون البشرة وذلك لتفاوت تأثير أشعة الشمس في هذا اللون، والذكاء والمواهب العقلية المختلفة، وسمات الشخصية والقدرة علي التحصيل المدرسي.[٢٨]

وتعطي الفلسفات التقدمية للبيئة دورا كبيرا في تنمية الفرد، فالفرد يتفاعل مع البيئة، وعن طريق هذا التفاعل يكتسب الفرد الخبرات التي تسهم في نضجه ونموه.

وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الوراثة لا تصل إلي مداها الصحيح إلا في البيئة المناسبة لها، وأن الذكاء يمكن إنماؤه باختيار الخبرات التربوية التي تساعد علي هذا الإنماء، وأن البيئة الفقيرة المعوقة يمكن ان تشوه أو تؤخر الاتجاه العادي للنمو بصرف النظر عن الامكانيات الوراثية للطفل.[٢٩]

وقد تناول الاستاذ الامام محمد عبده عاملي الوراثة وأثرهما علي نمو الفرد وتشكيل شخصيته علي النحو الاتي:

أبرز الاستاذ الامام محمد عبده تعاون الوراثة والبيئة في تشكيل الانسان، إلا أنه في بعض كتاباته يغالي في قدرة البيئة والتربية في تغيير بعض الطباع الموروثة، فهو يذكر أن التربية الصالحة تستطيع القضاء علي الاستعداد للرذائل، وغير الصالحة تنمي الاستعداد للخبائث[٣٠]، ويتفق رأيه هذا مع الدراسات الحديثة التي تبين أن الصفات الوراثية يمكن أن تتغير عن طريق التحكم في الظروف البيئية.[٣١]

ويتحدث الأستاذ الامام عن أثر الوراثة والبيئة علي ظاهرة الفروق الفردية قائلا: "إستواء الناس في العقول والأفهام مما لا سبيل إليه ولا مطمع فيه، ومن تأمل حال سير الإنسان، بل طريق ترقيه وتدنيه في الأعمال، واختلاف عاداته وأخلاقه واعتقاداته، نجد أنه قلما يتفق جيلان من الناس بل قبيلتان بل فخذان علي استحسان شئ أو استقباحه، بل نري هذا الاختلاف بين كل شخص وشخص، حتي المولودين في بيت واحد، هذا يستحسن شيئا وذلك يستقبحه ويستهجنه".(٣٢)

"وترجع هذه الفروق – كما يري- إلي تخالف الطبائع والاستعدادات الموروثة في قبول التأثرات، إلي جانب ما يحدثه اختلاف البيئات من تباين في العادات والأخلاق والادراكات، فالبيئة الجبلية نظرا لصعوبة الحياة فيها وما تتطلبه من تحمل المشاق، يتميز أفرادها بالقسوة والشجاعة والبراعة في الكر والفر، وملكة الغضب الشديدة، وتثبت فيهم ملكة الحذر والتيقظ، والبيئة الزراعية التي تتميز بخصوبة الأرض، واعتدال الهواء، يتميز أفرادها باللين والمساهلة والكرم".(٣٣)

وهكذا أبرز الاستاذ الامام محمد عبده الدور الذي تقوم به الوراثة والبيئة في تشكيل الانسان وأثرهما في الفروق الفردية وإن كان قد اعطي للبيئة اهتماما أكبر في هذا المجال وهو ما يساير الاتجاهات الحديثة في التربية.

التعلم الذاتي:

لما كان العالم الذي نعيش فيه في تغير مستمر، فان هذا يتطلب تكيف الفرد لمواجهة هذا التغير، ومن الأساليب التي تتخذها التربية الآن إزاء هذا التغير، إعداد الفرد لكي يكون قادرا علي تعليم نفسه بنفسه، وهذا ما يعرف بالتعلم الذاتي.

وقد اثبتت الدراسات النفسية الحديثة، أن كلما زاد اعتماد المتعلم علي نفسه في البحث والتفكير وتصحيح ما يرتكبه من أخطاء، وعدم الاكتفاء بما يبذله المعلم من جهد في الشرح والإيضاح، كلما ساعده ذلك علي ثبات المعلومات في ذهنه وعدم نسيانها.

وقد طبق الاستاذ الامام محمد عبده هذا المبدأ علي نفسه، فكان يتعلم العلوم التي لم تكن تدرس في الأزهر ويلتمسها عند من يعرفها، وفي تعلمه للغة الفرنسية وانفتاحه علي المؤلفات الغربية ورحلاته لطلب العلم ما يدل علي ذلك، وهو يري ان المشاهدة هي اهم وسائل الحصول علي الخبرة المباشرة، حيث تشترك الحواس مع العقل في اكتساب الخبرة، وقد نوه محمد عبده بقيمة الرحلات في تثقيف الفرد ذاتيا وإنماء معارفه، وفي ذلك يقول: "إن أبناء الأمم الغربية إذا عمدوا إلي قصد لا يفترون في طلبه، وعلو الهمم لديهم يجعل كل صعب سهلا، ولذا تري الرجل منهم يجوب فيافي افريقية ويخالط شعوبا وقبائل لا يعرف لهم لغة ولا أخلاقا، ويتكبد مشاق الحر

والبرد والجوع والعطش، كل هذا يتحمله طلبا لشرف يكسب لذاته أو ابتغاء ارتقاء العلوم والمعارف". [٣٤]

العادات:

تحتل العادة بعد اكتسابها منزلة كبيرة في حياة الفرد، حيث أن سلوك الإنسان الراشد عبارة عن مجموعة من العادات التي تكون جزءا كبيرا من شخصيته، والعادات تؤدي غرضا حيويا هاما في المجتمع، إذا أنها تساعده علي التوافق في المجتمع الخارجي.[٣٥]

ويعرف علماء النفس المحدثين العادة بأنها نوع من السلوك المكتسب يصبح ثابتا لا يتغير مع التكرار والخبرة، ويمارسه الفرد بشكل آلي بأقل جهد واقل انتباه.[٣٦]

وقد أوضح الاستاذ الأمام محمد عبده مفهوم العادة بطريقة تتمشي مع تعريف علماء النفس المحدثين لها حيث يقول "إن العادات تنشأ من تكرار انفعال النفس بمواقف من نوع واحد، حتي صارت هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال الجزئية الملائمة لها من غير تفكير، فعادة الكرم مثلا تثبت في نفس الكريم لكثرة انفعال عقله وإدراكه لصور الغايات الكريمة التي تتبع الكرم، والعوائد الجليلة التي يكتسبها باذل المال، فبتكرار هذه الصور والادراكات علي العقل، وطول الزمن علي ذلك، تمكنت في النفس عادة الكرم، وصارت تصدر عنها أفعال تتصف بالكرم والسخاء".[٣٧]

ولو حللنا تعريف الاستاذ الامام لوجدناه يحلل العادة إلي العناصر الآتية:

- **التكرار:** حيث إن العادات تنشأ من تكرار انفعال النفس بمواقف من نوع واحد.
- **الاتقان والرسوخ**: فنتيجة انفعال النفس بمواقف من نوع واحد صارت هيئة راسخة تصدر عنها الأفعال الملائمة.
- **الآلية:** حيث تصدر عن العادة الأفعال بدون تفكير، وهي نفس العناصر التي تلزم لتكوين العادة في مفهوم علم النفس الحديث.[٣٨]

ويري الامام محمد عبده أن عادات الانسان متنوعة، منها ما يتصل بحركات البدن، ومنها ما يتعلق بأساليب التفكير، ومنها ما يرتبط بالأخلاق.

ومن الصعب تغيير العادات والتحول عنها، وفي ذلك يقول محمد عبده "بعد تمكين العادة في النفس، وانطباع الفكر أو الاعضاء علي محاذاتها في التفكير والحركة، يكون من الصعب بل ربما كان من المتعذر ان يتحول الانسان عنها الا بقاهر تشتد وطأته علي النفس، كأن يسلط عليها من المؤلمات والمخوفات ما يؤثر فيها تأثيرا قويا يلويها عن الأثر الأول ويقودها إلي الأثر الجديد".[٣٩]

ويتفق ذلك مع اتجاهات علم النفس الحديث التي تري ان التخلص من العادة لا يكفي فيه الاهمال، فلابد ان يقوم الفرد من جهته بنشاط معين لاستئصال العادة غير المرغوب فيها، ويسمي هذا النشاط بالنشاط المضاد(٤٠).

ويري الاستاذ الامام ان التربية هي العامل الأساسي في تكوين العادات الصالحة وسبيلها في ذلك لا يكون بالكلام النظري، ولكن بتكرار الممارسة والعمل، فالعمل هو المحك الأساسي لتكوين العادات السليمة. (٤١)

العمليات العقلية المعرفية:

تعتبر عمليات الادراك الحسي والتذكر والتفكير المحاور الرئيسية للتنظيم المعرفي للفرد، وترتبط وتتفاعل هذه العمليات بعضها مع بعض بحيث يصبح من العسير ان نتصور سلوكا يتم في غياب إحداها، فالانسان يحصل علي المعلومات من البيئة التي يتفاعل معها في الحاضر عن طريق التنبهيات الحسية وهو ما يعرف بالادراك الحسي، ثم يقوم باستحضار صور مدركات الماضي وهو ما يعرف بالتذكر ويقوم التفكير بعد ذلك بالاستفادة من الخبرات الماضية والجديدة في تدبير واختيار الوسائل اللازمة لمواجهة المشكلات.

وتتميز كل عملية من هذه العمليات بصفات معينة تحددها وتميزها عن الأخري. (٤٢)

وفيما يلي عرض لآراء الاستاذ الامام محمد عبده التي تناولت بالشرح والتحليل لهذه العمليات في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، والتي تمثل محور الدراسات النفسية والتربوية في عالمنا المعاصر.

الادراك الحسي:

عرف الامام محمد عبده الادراك الحسي بأنه: "انفعال النفس وتأثرها بالصور الواردة إليها عن طريق الحواس"(٤٣)، ويتمشي هذا التعريف مع تعريف علم النفس المعاصر للادراك الحسي بأنه العملية العقلية التي تتم بها معرفتنا للمحيط الخارجي عن طريق التنبيهات الحسية. (٤٤)

وقد فسر الإمام محمد عبده كيفية حدوث الادراك الحسي بالمثل الآتي: "الضوء الذي يحمل الصور إلي البصر ليس المراد به أن ينقل صور المرئيات كما ينقل أحدنا الشئ من المكان إلي البصر فيودعها فيه، إذ أن هذا محال، بل المراد أن الضوء عند مروره علي صور الأشياء يتشكل بها فيكون قد حدث فيه شكل يشاكل ما مر وانطبق عليه، ولما فيه من الحركة السريعة المستمرة ينتقل إلي النفس (المخ) بواسطة الاعصاب، فتنفعل به فيحدث الادراك البصري، فصور الاشياء المنطبعة في النفس تتماثل تماما مع الأشياء في الواقع، فعالم الادراك وما يوجد فيه هو بعينه عالم الشهود". (٤٥)

ويتفق ذلك مع تفسير علم النفس المعاصر للادراك الحسي ومؤداه إن الحـواس تـستقبل المثيرات الخارجية، وتقوم الأعصاب بنقل هذه الأحاسيس إلي المخ الذي يترجمها إلـي معـاني فيحدث الادراك. [٤٦]

ويري الامام محمد عبده ان الابصار هي أعظم معين للادراك الحسي، فهي تعطي للعقـل مدركات كثيرة من ألوان ومقادير وأشكال، ولذلك جمعت في القرآن الكريم، بينما السمع لا يدرك الا الصوت ولذلك أفرد[٤٧]، يقول تعالي: "إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون، ختم ا علي قلوبهم وعلي سمعهم وعلي أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم", (البقرة، ٦، ٧)

وصاغ الاستاذ الامام العوامل المؤثرة في الادراك الحسي في قوانين سبق بهـا أصـحاب نظرية الجشطلت[*]، فهو يوضح لنا أهمية عامل الانتظام الدينمي فـي الإدراك قـائلا: "حركـة الموجودات في العالم الخارجي عن نفوسنا تدعو إلي إتصال بعضها ببعض، فيتألف منها أجسام علي نمط منتظم يكون لها من الخواص والصفات بعد تآلفها ما لم يكن لها قبـل التـآلف، فـإن حركة الأجزاء الغذائية مثلا وانضمامها إلي البدن الانساني أو الحيواني، يكسبها مـن صـفات الحياة ما لم يكن لها قبل اتصالها بالبدن"[٤٨]، وينطبق هذا الكلام مع أحد قوانين نظرية الجشطلت ومؤداه أن الجزء في كل يختلف عن الجزء في كل آخر.[٤٩]

وتحدث محمد عبده عن عاملي التقارب والتضاد وهما من قوانين الادراك فـي نظريـة الجشطلت التي كان له السبق في الوصول إلي قوانينها قائلا: "بعض أجزاء العالم يجذب أو ينافر بعضه بعضا لتمام مناسبة أو منافرة بينهما".[٥٠]

كما كان له السبق علي نظرية الارتباط الشرطي[*]، حيث أشار إلي عامل الارتباط الـذي يمثل أحد القوانين الهامة في هذه النظرية قائلا: "تأثر جوهر الادراك بحالة، قد يوجـب تـأثره بحالة أخري لوجود رابطة بين المتأثرين".[٥١]

وتبدو النزعة البرجماسية واضحة عند محمد عبده حين يشير إلي أن الادراك الحقيقي هو الادراك المقترن بالعمل، والباعث علي العمل هو الإرادة، والارادة تعني اندفاع الانـسان إلـي طلب شئ أو تركه عند العلم بملائمته أو منافرته، فهي تابعة للادراك وأثرله، فالادراك الراسـخ

---

[*] ظهرت نظرية الجشطلت بعد نشر كتاب (نمو العقل) للعالم الالماني كوفكا (١٩٢٤) ثم كتاب (عقلية القردة) لكيلر (١٩٢٤) ، وتقوم علي ان التعلم يتم عن طريق الاستبصار، انظر رمزية الغريب، سيكولوجية التعلم، القاهرة، مكتبة الانجلو، ١٩٧٨، ص ٢٦٦.

[*] ترتبط نظرية الارتباط الشرطي بالعالم الروسي بافلوف (١٨٤٩- ١٩٣٦)، ومؤداها إذا تكرر ارتباط المثير الشرطي مع المثير الأصلي ثم حذف المثير الأصلي فإننا نحصل علي استجابة المثير الأصلي، انظر: رمزية الغريب، مصدر سابق، ص ٢٧٥.

في النفس هو ما تصدر عنه الأفعال بدنية كانت أو فكرية فإذا لم يكن مصحوبا بغاية عمليـة لا يعدو أن يكون تصورات وخيالات".[٥٢]

وأبرز الاستاذ الامام أن الادراك يتأثر بالحالة النفسية للفرد، ففي أثناء الغضب يفور الـدم ويغلي وينتشر في جميع العروق مما يعطل الادراك والارادة، كما ان الحزن علي موت صديق أو ولد، والأغماء والغشي من معوقات الادراك.[٥٣]

التذكر:

عرف محمد عبده الذاكرة بإنها "استحضار صور الماضي السمعية والبصرية التي سترها الاشتغال بالحاضر"[٥٤]، وهو ما يتمشي مع تعريف علم النفس الحديث للتذكر بأنه استرجاع مـا مر بالفرد من مواقف وخبرات في الظروف المناسبة.[٥٥]

وتحدث الأستاذ الامام محمد عبده عن العوامل المساعدة علي التذكر قـائلا: "إن الـذاكرة تستحضر من صور المرغوبات والمكروهات ما تنبه إليه الأشياء أو الأضداد الحاضـرة، فقـد يتذكر الإنسان الشئ بشبهه، وقد يتذكره بضده، وقد يتذكر الإنسان الشئ الذي مضي عليه فتـرة قصيرة"[٥٦]، وفي هذا اشارة إلي عوامل التشابه والتضاد والحداثة التي يعتبرها علمـاء الـنفس المحدثين من العوامل المساعدة علي التذكر.[٥٧]

أما النسيان كما يقول "فقد يكون من عدم العناية بالشئ وترديده علي النفس"[٥٨]، وهو مـا يعرف في علم النفس المعاصر بالإهمال وعدم الاستعمال[٥٩]، وقد ينـسي الانـسان الخبـرات المؤلمة في حياته والتي يكون في تذكرها تهديدا لحياته، وهو ما يعرف في علم النفس المعاصر بالكبت.[٦٠]

التفكير:

يعرف علماء النفس التفكير بأنه توجيه نشاط الذهن نحو مشكلة مـن المـشكلات التـي يواجهها الإنسان، أي أنه عبارة عما يقوم به العقل عند شعوره بمواجهة موقف معقد يتطلب منه تصرفا خاصا في حدود الظروف المحيطة به، وفي حدود العلاقات الموجودة بين أجـزاء هـذا الموقف.[٦١]

وقد نظر الامام محمد عبده إلي التفكير علي أنه نشاط عقلي يتمثل فـي محاولـة اشـباع حاجات الانسان وحل مشكلاته من حيث هو مفكر لا يقف عند حد محدود فيما يتعلـق بلـوازم حياته[٦٢]، وهو يري أن المخيلة (التخيل) لها تاثير كبير علي التفكير فالمخيلة من وجهة نظـره تجسم الصور الذهنية الموجودة في الذاكرة مما يساعد التفكير علي اختيـار الحلـول الملائمـة لمواجهة المواقف والمشكلات.[٦٣]

وقد صور محمد عبده في دقة تطور تفكير الانسان منذ نشأته الأولي حتي الزمن الحالي "ففي نشأة الانسان الأولي كان تفكيره ينصب علي ما يسد رمقه من القوت ويقية الحر أو البرد من اللباس، غير أنه لما تأنق في هذه الضروريات بعض التأنق، ورأي أنها تقبل التحسن شيئا فشيئا، أخذ علي نفسه أن لا يقر له قرار ولا يهدأ له جأش حتي يستخرج من دائرة الإمكان كل ما تتأدي إليه فكرته، فجد واجتهد واستطلع بقوته وفكره خواص العناصر وتسلط عليها بصفة التحليل والتركيب حتي فتح أبوابا للتجارة والزراعة والصناعة، ووصل إلي ما وصل إليه الآن، وهو في هذا السير الطويل كلما وصل إلي درجة من الرقي ظنها آخر الدرجات، ولكنها لا تلبث أن تصبح أمرا معتادا فينطلق إلي درجة أعلي وهكذا، وهو لم يصل إلي ما وصل إليه إلا بالتفكير والعمل القائمين علي الكد والاجتهاد".[٦٤]

ووضع الاستاذ الامام عدة خطوات للتفكير تذكرنا بخطوات التفكير العلمي التي وضعها الفيلسوف الأمريكي "جون ديوي"، وطبق هذه الخطوات علي احدي المشكلات فإذا كانت المشكلة القائمة - كما يري - هي وجود شخص يدعي أن لديه قدرة علي القيام بالأعمال الخارقة، فإن تناول هذه المشكلة في نظره يسير في الخطوات الآتية:

١- تصور أطراف المشكلة علي وجه الحدود في الخارج، وهو ما يسمي في خطوات التفكير العلمي بتحديد المشكلة.

٢- يسأئل الانسان نفسه، هل هذا المدعي مضلا أو هاديا، وهل كون هذا الخارق أمرا حقيقيا أو شعوذيا خياليا، وهو ما يسمي في خطوات التفكير العلمي بفرض الفروض.

٣- أن يتحقق الانسان من هذا الأمر، بأن يقيس هذا الأمر الخارق إلي قوانين الطبيعة، فإن وجد أن هذا الأمر من الأمور التي في قدرة الانسان الوصول إليها والعلم بها، علم أن هذا الرجل عالم بأمر جزئي من أسرار الطبيعة وأنه ليس بواجب الاتباع، وإن رأي أن هذا الأمر فوق الطبيعة، وأنه لا سبيل إليه إلا من عالم الروحانيات، ينظر إلي هذا الرجل، هل هو خير في ذاته أو شرير؟ فإذا كان شريرا في ذاته يدعو إلي ما لا ينتج ولا غرض له إلا الرياسة وتقلب أحوال الأمم في الشرور وسفك الدماء، فهو الساحر الخبيث، وإن كان خيرا يدعو إلي ما يعود علي بني نوعه بالصلاح والنجاح، فهو الصادق الواجب الاتباع[٦٥]، وهذه الاجراءات تمثل في خطوات التفكير العلمي اختبار صحة الفروض والوصول إلي نتيجة.

وأوضح الامام محمد عبده أن الخرافات والمعتقدات البالية هي أهم عوائق التفكير السليم، وطريق الخلاص منها هو التفكير المنطقي، وألا يعرض الإنسان نفسه للانفعالات الشديدة والعواطف الجامحة، وألا يتعصب لرأيه، وأن يستخدم الأدلة والبراهين بشرط أن تكون مقنعة، وأن يناسب أسلوبها مستوي المخاطب، وأن يتريث الفرد في إصدار الأحكام.[٦٦]

والتفكير كما يري الأستاذ الامام، إما أن يكون قياسيا، وهو ما كانت قضاياه ناتجة من مقدمات، وإما أن يكون استقرائيا ويقوم علي ملاحظة الجزئيات المتعددة في الأحوال المختلفة والأزمان والأمكنة المتباينة من أجل الوصول إلي الحكم الكلي. (٦٧)

ويستخلص الأستاذ الامام أن قوي التذكر والمخيلة والتفكير لها أعظم الأثر في التمييز بين كل ما هو نافع وضار من الأعمال وفي علاج المشكلات وتنظيم حياة المجتمعات.(٦٨)

أما وقد استعرضنا الخصائص السيكولوجية للانسان كما يراها الاستاذ الامام من خلال هذا الفصل، فسوف نتناول في الفصل التالي معالجة الاستاذ الامام لبعض القضايا التربوية التي تتميز بالعمق والتي تنطوي علي ابعاد فلسفية وثقافية تتصل بالانسان والمجتمع.

هوامش الفصل الرابع

١- عبد ا عبد الدايم، التربية عبر القرون، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٥، ص ٥١٠.

٢- حامد عبد السلام زهـران، علم نفس النمو، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٥، ص ١١.

٣- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ ـ٤، مـصدر سابق، ص ٦٣٣.

٤- نفس المصدر السابق، ص ٥٥٧.

٥- نفس المصدر السابق، ص ٤٤٠.

٦- نفس المصدر السابق، ص ٦٣٤.

٧- نفس المصدر السابق، ص ٦٦٤.

٨- نفس المصدر السابق، ص ٦٣٣.

٩- صالح عبد العزيز وعبد العزيز عبد المجيد، التربية وطرق التدريس، جـ ١، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الخامس عشر، (د.ت) ص ٣٢٣.

١٠- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ ـ٤، مـصدر سابق، ص ٦٣٣.

١١- نفس المصدر السابق، ص ٤٨.

١٢- نفس المصدر السابق، ص ٤٩.

١٣- نفس المصدر السابق، ص ٦٣٣.

١٤- محمد عبده، المكاتب الابتدائية، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ١١٥.

١٥- محمد فوزي عبد المقصـود، الأصول الاجتماعيـة للتربية، مرجع سابق، ص ٩١.

١٦- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ ـ٤، مـصدر سابق، ص ٦٨.

١٧- نفس المصدر السابق، ص ٦٩.

١٨- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ ـ٤، مـصدر سابق، ص ٥٦٠.

١٩- نفس المصدر السابق، ص ٤٢٥.

٢٠- نفس المصدر السابق، ص ٧٥٢.

٢١- محمد عبده، رسالة التوحيد، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ٣٨٦.

٢٢- نفس المصدر السابق، ص ٣٨٦.

٢٣- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ ـ٤، مـصدر سابق، ص ٧٧.

٢٤- حلمي المليجي، علم النفس المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٠، ص ١٣٦.

٢٥- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ ـ٤، مـصدر سابق، ص ٤٣٠.

٢٦- نفس المصدر السابق، ص ٤٣٠.

٢٧- يوسف القرضاوي، الايمان والحياة، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٧٥، ص-ص ٣٤٦، ٤٣٧.

٢٨- فؤاد البهي السيد، النمو النفسي، القاهرة، دار الفكـ ـر العربي، ١٩٨٢، ص ٤٤.

٢٩- حامد عبد السلام زهران، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ٣٨٠.

٣٠- محمد عبده، مذكرات الامام محمد عبده، كتاب الهلال، العـدد ٢١، مطبعـة الهـلال، ابريـل ١٩٦١، ص ١١٦.

٣١- فؤاد البهي السيد، مرجع سابق، ص ٤٥.

٣٢- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبـده، مرجـع سابـ ـق، ص-ص ١٩٢- ١٩٣.

٣٣- نفس المصدر السابق، ص ١٩٣.

٣٤- قدري قلعجي، ثلاثة من أعلام الحرية، دار الكاتب العربي، بيروت، (د.ت)، ص ٢٩٦.

٣٥- احمد زكي صالح، علم النفس التربوي، القاهرة، مكتبة النهضة المـصرية، الطبعـة العاشـرة، (د.ت)، ص ٣١١.

٣٦- مصطفي فهمي، سيكولوجية التعلم، القاهرة، دار مصر للطباعة، الطبعة الخامسة، ١٩٧٣، ص ١٠٦.

٣٧- محمد عبده، الملكات والعادات، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ٢، مصدر سـابق، ص ١٨٢.

٣٨- احمد زكي صالح، علم النفس التربوي، مصدر سابق، ص ٣١١.

٣٩- محمد عبده، الملكات والعادات، مصدر سابق، ص ١٨٢.

٤٠- مصطفي فهمي، سيكولوجية التعلم، مرجع سابق، ص ١١٠.

٤١- عثمان أمين، رائد الفكر المصري، مرجع سابق، ص-ص ١٤٢-١٤٣.

٤٢- سيد خير ا ، سيكولوجية الانسان، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٣، ص ١٥٦.

٤٣- محمد عبده، العلم وتأثيره في الارادة والاختيار، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبـده، جـ٢، مصدر سابق، ص ١٧٧.

٤٤- احمد زكي صالح، علم النفس التربوي، مصدر سابق، ص ٤٦٧.

٤٥- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ ـ٤، مـصدر سابق، ص ٧٢.

٤٦- مصطفي فهمي، سيكولوجية التعلم، مصدر سابق، ص ١٥٦.

٤٧- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ ـ٤، مـصدر سابق، ص ٧٣.

٤٨- محمد عبده، العلم وتأثيره في الارادة والاختيار، مصدر سابق، ص ١٧٨.

٤٩- سيد خير ا ، سيكولوجية الانسان، مصدر سابق، ص ١٦٢.

٥٠- محمد عبده، العلم وتأثيره في الارادة والاختيار، مصدر سابق، ص ١٧٩.

٥١- نفس المصدر السابق، ص ١٧٨.

٥٢- محمد عبده، التمرن والاعتياد، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ٢.

٥٣- نفس المصدر السابق، ص ١٩٠.

٥٤- محمد عبده، رسالة التوحيد، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ٣٩٥.

٥٥- سيد خير ا ، سيكولوجية الانسان، مصدر سابق، ص ١٨٠.

٥٦- محمد عبده، رسالة التوحيد، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ٣٣٥.

٥٧- سيد خير ا ، سيكولوجية الانسان، مصدر سابق، ص ١٨٠.

٥٨- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ ـ٥، مـصدر سابق، ص ٣، ٥.

٥٩- سيد خير ا ، سيكلوجية الانسان، مصدر سابق، ص ١٨٩.

٦٠- نفس المصدر السابق، ص ١٨٩.

٦١- نفس المصدر السابق، ص ١٩٠.

٦٢- محمد عبده، التمرن والاعتياد، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ ـ٢، مـصدر سابق، ص ٢٧.

٦٣- محمد عبده، رسالة التوحيد، تحقيق محمد ابو ريه، ط5، القاهرة، دار المعـارف، ١٩٧٧، ص ٦.

٦٤- محمد عبده، التمرن والاعتياد، مصدر سابق، ص ٢٠٨.

٦٥- سليمان دنيا، الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميـين، القـاهرة، دار إحيـاء الكتـب العربية، ١٩٨٥، ص-ص ٤٧٤- ٤٧٦.

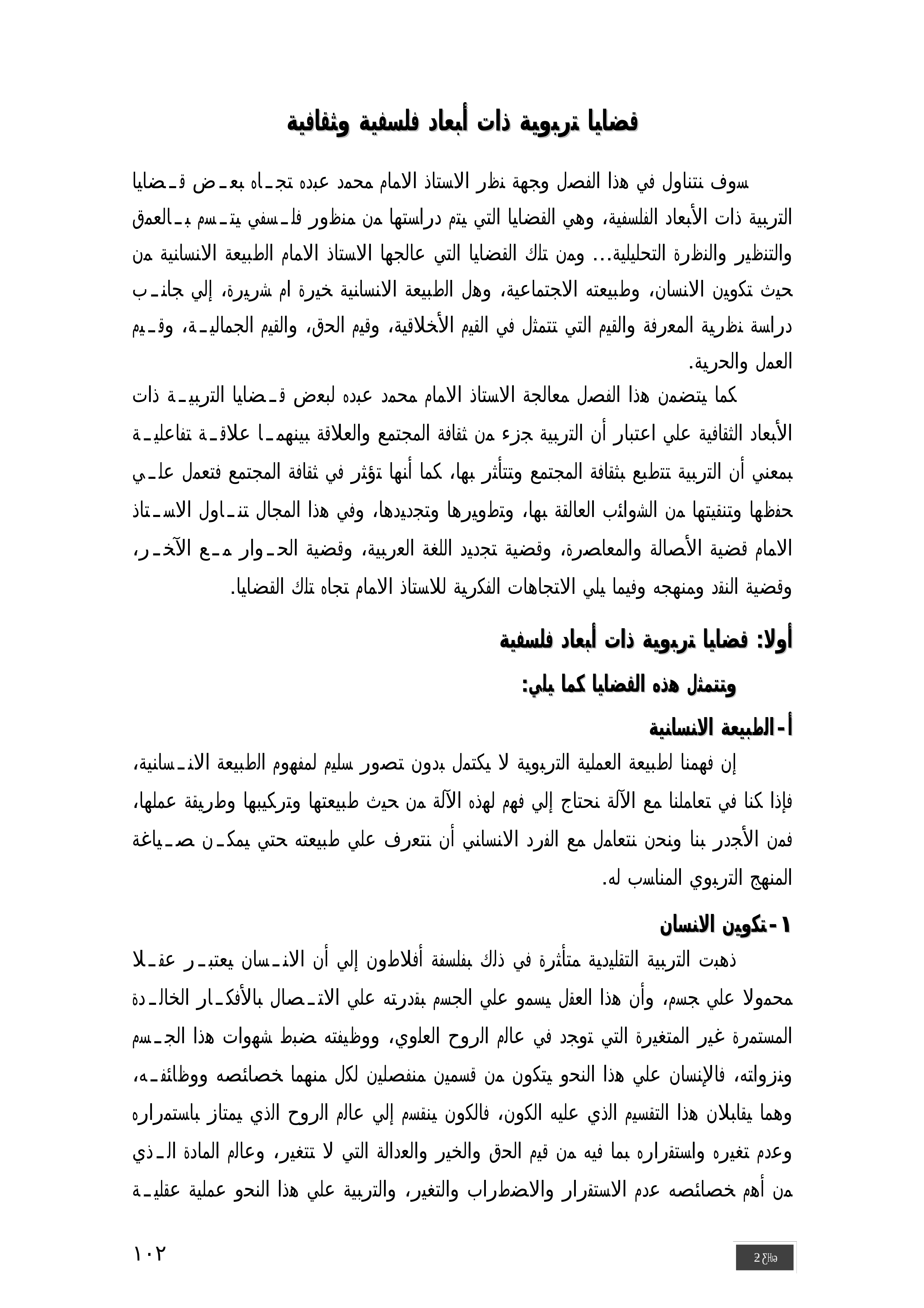
٦٦- محمد عبده، خطأ العقلاء، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سـابق، ص ١٢٢.

٦٧- محمد عبده، تعليقات الاستاذ الامام علي البصائر النصيرية لنصير الدين الطوسي، بـدون ناشر، ١٨٩٨، ص ١١٦.

٦٨- محمد عبده، رسالة التوحيد، تحقيق محمد ابو رية، مصدر سابق، ص ٦٨.

الفصل الخامس

قضايا تربوية ذات أبعاد فلسفية وثقافية



قضايا تربوية ذات أبعاد فلسفية وثقافية

سوف نتناول في هذا الفصل وجهة نظر الاستاذ الامام محمد عبده تجاه بعض قضايا التربية ذات الأبعاد الفلسفية، وهي القضايا التي يتم دراستها من منظور فلسفي يتسم بالعمق والتنظير والنظرة التحليلية... ومن تلك القضايا التي عالجها الاستاذ الامام الطبيعة الانسانية من حيث تكوين الانسان، وطبيعته الاجتماعية، وهل الطبيعة الانسانية خيرة ام شريرة، إلي جانب دراسة نظرية المعرفة والقيم التي تتمثل في القيم الأخلاقية، وقيم الحق، والقيم الجمالية، وقيم العمل والحرية.

كما يتضمن هذا الفصل معالجة الاستاذ الامام محمد عبده لبعض قضايا التربية ذات الأبعاد الثقافية علي اعتبار أن التربية جزء من ثقافة المجتمع والعلاقة بينهما علاقة تفاعلية بمعني أن التربية تنطبع بثقافة المجتمع وتتأثر بها، كما أنها تؤثر في ثقافة المجتمع فتعمل علي حفظها وتنقيتها من الشوائب العالقة بها، وتطويرها وتجديدها، وفي هذا المجال تناول الاستاذ الامام قضية الأصالة والمعاصرة، وقضية تجديد اللغة العربية، وقضية الحوار مع الآخر، وقضية النقد ومنهجه وفيما يلي الاتجاهات الفكرية للاستاذ الامام تجاه تلك القضايا.

أولا: قضايا تربوية ذات أبعاد فلسفية

وتتمثل هذه القضايا كما يلي:

أ- الطبيعة الانسانية

إن فهمنا لطبيعة العملية التربوية لا يكتمل بدون تصور سليم لمفهوم الطبيعة الانسانية، فإذا كنا في تعاملنا مع الآلة نحتاج إلي فهم لهذه الآلة من حيث طبيعتها وتركيبها وطريقة عملها، فمن الأجدر بنا ونحن نتعامل مع الفرد الانساني أن نتعرف علي طبيعته حتي يمكن صياغة المنهج التربوي المناسب له.

١- تكوين الانسان

ذهبت التربية التقليدية متأثرة في ذلك بفلسفة أفلاطون إلي أن الانسان يعتبر عقلا محمولا علي جسم، وأن هذا العقل يسمو علي الجسم بقدرته علي الاتصال بالأفكار الخالدة المستمرة غير المتغيرة التي توجد في عالم الروح العلوي، ووظيفته ضبط شهوات هذا الجسم ونزواته، فالإنسان علي هذا النحو يتكون من قسمين منفصلين لكل منهما خصائصه ووظائفه، وهما يقابلان هذا التقسيم الذي عليه الكون، فالكون ينقسم إلي عالم الروح الذي يمتاز باستمراره وعدم تغيره واستقراره بما فيه من قيم الحق والخير والعدالة التي لا تتغير، وعالم المادة الذي من أهم خصائصه عدم الاستقرار والاضطراب والتغير، والتربية علي هذا النحو عملية عقلية

تنصب علي هذا العقل، وتمكنه من الوصول إلي ما يوجد في عالم الروح من مبادئ وقيم خالدة ثابتة، وهكذا اهتمت التربية التقليدية بعقول التلاميذ وحشوها بالمعلومات عـن طريـق الحفـظ والتلقين وأهملت جسم الانسان، فلم يكن للأنشطة الجسمية أو المهارات الحركية أي اهتمام.[١]

وإذا كانت النظرة الحديثة للطبيعة الانسانية ترفض هذا الاتجاه، وتـري أن الانـسان لا يتكون من جسم يضاف إليه عقل، بل هو كل متكامل يتفاعل مع البيئة الخارجية[٢]، فقـد كـان للإسلام السبق في تقرير هذه الحقيقة، حيث نظر الإسلام إلي ماهية الانسان علي أنهـا مركبـة تركيبا عضويا، يتلاحم فيه الجانب المادي الذي يمثله الجسم مع الجانب اللامادي الذي يعبر عنه بعدة مصطلحات "كالروح أو النفس أو العقل" وهذا يعني النظرة الشمولية للانسان، وأن الطبيعة الانسانية كل متكامل ووحدة واحدة لا فضل فيها لجزء علي آخر، وأنها جميعها تعـين بعـضها البعض علي أداء وظيفة الانسان في تعمير الأرض، وخلافة ا سبحانه وتعالي فيها[٣]، وقد أكد الامام محمد عبده علي تكامل الطبيعة الانسانية، فهو يري أن الانسان هو نتـاج تفاعـل بـين مدبرين عظيمين هما في مجموعهما حقيقة واحدة، وهما المدبر العقلـي الروحـاني، والمـدبر الحيواني، فالمدبر العقلي الروحاني وظيفته التفكير والمعرفة، كما أنه يهدف إلي تزويـد الـنفس بالفضائل والتخلي عن الرذائل، وطريق ذلك هو الأخذ بجانب التوسط والاعتدال، والمدبر العقلي الروحاني هو ما يميز الانسان عن سائر الكائنات، أما المدبر الحيواني وما يستتبعه مـن جميـع الاحساسات الظاهرة والباطنة، فيسعي للوفاء بحاجات الجسم والقيـام بـاللوازم الكاملـة لهـذا الغرض، ويشترك مع الانسان في ذلك سائر الحيوانات الأخري.[٤]

ويري الأستاذ الإمام أنه رغم هذا التمايز والتباين بين جزئـي الانـسان، إلا أن سـير الوجود قد اقتضي أن يكون مجموعهما طبيعة واحدة وهي الحقيقة الانسانية، حيث اصـبح مـن المستحيل لاحدهما الاستغناء عن الآخر، فإذا كان من وظائف المدبر العقلـي الوصـول إلـي الحقائق وكشف الأسرار، فإن ذلك لا يمكن إلا باستعمال حواس الانسان المختلفـة مـن بـصر وسمع وشم، وما يمكن للعقل أن يعمل في بدن تعطلت آلاته وفسدت أعضاؤه، لذلك يحتاج المدبر الحيواني إلي العقل لاستنباط الحيل وفعالية الحياة.[٥]

ويدعو الامام محمد عبده تبعا لذلك إلي تربية الانسان تربية متوازنـة، حيـث يقـول: "ويختلف الناس في أمر هذين المدبرين، فهناك أناس أفرغوا جهدهم في تدبير العقـل وصـفاء الروح وهناك آخرون أفرطوا في اشباع حاجات الجسم واقتناء اللذائذ وكلا الرأيين – في رأيـه- غير حكيم[٦]، فالاسلام دعانا إلي التربية الوسطية التي تعطي الجسم حقه، والروح حقهـا، فـلا نكون جسمانيين محضا كالانعام، ولا روحانيين خلصا كالملائكة".[٧]

٢-اجتماعية الانسان

الإنسان حيوان اجتماعي، وقد صدق بن خلدون في قوله: "إن الانسان اجتماعي بالطبع"، فالإنسان لا يمكن ان يعيش منفردا، فهو في حاجة إلي أن يعيش داخل جماعة ليحمي نفسه من الأخطار المحيطة به، وليتعاون مع الغير في توفير وسائل المعيشة.

واجتماعية الانسان تختلف عن اجتماعية الحيوانات والطيور في أنها اجتماعية نامية ومتطورة، بينما اجتماعية الحيوانات غريزية لا تتطور ولا تتبدل.(٨)

ومن المسلمات التي لا تقبل النقاش في رأي الامام محمد عبده، أن الانسان ذو طبيعة اجتماعية "فمنذ نشأة الانسان ظهرت غريزة الاجتماع التي تدفعه إلي التماس عشرة أقرانه والقيام بعمل يعود علي المجموع في بقائه.. فحاجة كل فرد إلي الجماعة مما لا يشتبه فيه، وكلما كثرت مطالب الشخص في معيشته، أزدادت به الحاجة إلي الأيدي العاملة، فتشتد الحاجة وعلي أثرها الصلة من الأهل إلي العشيرة، ثم إلي الأمة وإلي النوع بأسره".(٩)

يقول القرآن الكريم: "كان الناس أمة واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين"، ومعني هذا في تفسير الاستاذ الامام "أن الله خلق الناس أمة واحدة أي مرتبطا بعضهم ببعض في المعاش، لا يسهل علي أفرادهم ان يعيشوا في هذه الحياة إلا مجتمعين، يعاون بعضهم بعضا، ولا يمكن أن يستغني بعضهم عن بعض، فكل واحد يعيش ويحيا بشئ من عمله، ولكن قواه النفسية والبدنية قاصرة عن توفير جميع ما يحتاج إليه، فلابد من انضمام قوي الآخرين إلي قوته، فيستعين بهم في بعض شأنه كما يستعينون به في بعض شأنهم".(١٠)

ويري الاستاذ الامام ان حياة الجماعة ترتكز علي أسس ثلاثة:

١- الغريزة الاجتماعية لضمان حياة الجماعة وسيادة مبدأ التعاون.

٢- وجود الأعمال وتوزيعها علي الأفراد كل حسب تخصصه، وقد شبه الجماعة في هذا المجال بالبدن الحي وترابطه.

٣- وجود الدين واللغة باعتبار أنهما أساس تماسك المجتمع واستمراره.(١١)

ويؤمن الاستاذ الامام أن ما يحدث من تطور وارتقاء في حياة أفراد الجماعة يقوم علي مبدأي تنازع البقاء والانتخاب الطبيعي، ففي تفسيره للآية (٢٤٩) وما بعدها من سورة البقرة "كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله"، يبين أن هذه الآيات تتضمن نظريتي تنازع البقاء والانتخاب الطبيعي، وعند تفسيره للأية (١٧) من سورة الرعد "فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض" يقول: "هذا إرشاد إلي تنازع البقاء والدفاع عن الحق، وأنه ينتهي ببقاء الأمثل وحفظ الأصلح". (١٢)

وإذا كان الانسان ذا طبيعة اجتماعية، فقد جعل الاستاذ الامام محمد عبده وظيفة التربية ذات مضمون اجتماعي، وتتمثل في اعداد الفرد للمعيشة الصالحة مع نفسه، ومع النـاس الـذين يعيشون معه. (١٣)

٣-الطبيعة الانسانية: هل هي خيرة أم شريرة؟

شاع اعتقاد بين رجال الدين المسيحي في العصور الوسطي أن الانسان شرير بطبعـه، وهم يرجعون ذلك إلي خطيئة آدم أبي البشر، فلولا تأصل الشر فيه لما عصي ربه، وهذا يعنـي أن الانسان مطبوع علي الشر وسوء الخلق، ومن الواجب عليه ان ينصرف بجهده إلـي قمـع شهوات جسمه والارتفاع بروحه بوسائل التقشف والزهد والحرمان، ونتيجة لذلك شاعت أساليب القهر والعقاب في ميدان التعليم علي أساس أنها السبيل لقمع نزوات الجسد وشـهواته وتهذيبـه، وتمكين روح الانسان من السيطرة علي هذا الجسد. (١٤)

ووجد هذا التفسير رد فعل معارض علي يد جان جاك روسـو (١٧١٢-١٧٧٨) الـذي آمن بأن الطبيعة الانسانية خيرة في جملتها، وأن نفس الطفل تولد علي فطرة الخير لأنهـا مـن تصميم الخالق الأعلي، وإذا ما أصبح الطفل خبيثا شريرا فالمسئول عن ذلك ظروف لا علاقة له بها، ولكي تتفتح نفس الطفل علي الخير، ينبغي أن يوضع وسط الطبيعة ليمارس نشاطه التلقائي دون أي تدخل في هذا النشاط، فتدخل المجتمع وتنظيماته الاجتماعية يؤدي إلي تعطيل هذا النمو وإفساده.. وقد جاء هذا الاتجاه الطبيعي ثورة علي الفساد الاجتماعي والظلم الاقتصادي الذي ساد المجتمعات الأوربية في القرن الثامن عشر. (١٥)

وقد آمن الامام محمد عبده بطبيعة الانسان الخيرة، فهو يري ان الانسان بطبيعته يميـل إلي الخير، فهو يفعل الخير بطبعه وتكون فيه لذته، ويميل إلي عبادة ا تعالي لأن شكر المـنعم مغروس في الطبع ويظهر أثره في كل انسان، فا سبحانه وتعالي فطر الانسان أحـسن فطـرة نفسا وبدنا، وكرمه بالعقل الذي ساد به علي العوالم الأرضية، واطلع به علي ما يـشاء ا مـن العوالم السماوية". (١٦)

"فا سبحانه وتعالي لم يجعل الشر أحب إلي أنفسنا من الخير، وإنما ركز الخيـر فـي طبيعة الانسان فلم يحتج إلا إلي تذكرة وتنبيه ليظهر للعيان وفي عالم الواقع". (١٧)

وأبرز الاستاذ الامام "أن الانسان لا يحتاج إلي تكلف في فعل الخير، لأنه يعلم أن كـل فرد يحتاج إليه ويراه بعين الرضا، أما الشر فإن النفس تتعرض له، لأسباب ليست من طبيعتهـا ولا مقتضي فطرتها، ومهما كان الانسان شريرا، فإنه لا يخفي عليه أن الشر ممقوت في نظـر الناس، وصاحبه مهين عندهم، فإن الطفل ينشأ علي الصدق حتي يسمع الكذب من النـاس، وإذا رأي اعجاب الناس بكلام كاذب استحب الكذب لينال الحظوة عند الناس ويحظي باعجابهم، وهو

في ذلك لا ينفك يشعر بقبحه، فإذا نبذ بلقب الكاذب أو الكذاب أحس بمهانة نفسه وخزيتها، وهكذا شأن الانسان عند اقتراف كل شر، يشعر في نفسه بقبحه، ويجد من أعماق سريرته هاتفا يقـول له: لا تفعل، ويحاسبه بعد الفعل ويوبخه، ومن النادر أن يصير الانسان شرا محضا".[١٨]

وإذا كان الامام محمد عبده يتفق مع روسو في ايمانه بطبيعة الانسان الخيرة، الا أنه لم يطالب بعزل الطفل عن المجتمع وتنشئته في الطبيعة، لأن كان يثق في المجتمع ومؤسساته فـي تربية الطفل، وكان يحرص علي توجيه نحو الطفل توجيها اجتماعيا.

إن ايمان الامام محمد عبده بالطبيعة الخيرة للانسان يعني ان يستغل المربي تلك الطبيعة أحسن استغلال، ويوجه الطفل إلي فعل الخير، فإذا رأي الطفل تبـدو عليـه امـارات الكـسل والتراخي، وأراد أن ينشطه علي العمل، فعليه ان يصفه بالنشاط ويظهر له أنه يثق به، وسيري أنه أهل للقيام بالعمل الذي يوجهه إليه.

وهو يعبر عن ذلك تعبيرا تربويا بليغا قائلا: "صفة الجرأة والشجاعة يكن جريئا، صـفة بالصدق والأمانة يكن صادقا أمينا، اجعله محلا لثقتك في حب العلم والعمل تجده أهلا لها".[١٩]

ب-نظرية المعرفة

واجه الأستاذ الأمام محمد عبده تيارات متعددة تتميز بالغلو في قضية المعرفـة، فأهـل المادية والوضعية وقفوا في سبيل المعرفة عند العقل والحواس فقط، ووقف أهل الجمود والتقليد الموروث عند ظواهر النصوص وحدها، ووقف غلاة الصوفية – الباطنية- عند خطرات القلوب سواها.[٢٠]

في مواجهة هذا الغلو الذي سقط فيه كل هؤلاء ظهرت نظرية الهدايات الأربـع للإمـام محمد عبده عند تفسيره لقول الحق سبحانه وتعالي (أهدنا الصراط المستقيم) (الفاتحة: ٦) حيـث يقول: "الهداية في اللغة: الدلالة بلطف علي ما يوصل للمطلوب"، ولقد منح ا الإنـسان أربـع هدايات يتوصل بها إلي سعادته:

أولا : هداية الوجدان الطبيعي والالهام الفطري وتكون للأطفال منذ ولادتهم.

ثانيا : هداية الحواس والمشاعر وهي متممة للهداية الأولي في الحياة الحيوانيـة ويـشارك الانسان فيهما الحيوان الأعجم، بل هو فيهما أكمل من الإنسان، فإن حـواس الحيـوان وإلهامه يكملان له بعد ولادته بقليل بخلاف الإنسان، فإن ذلك يكمل فيه بالتدريج فـي زمن غير قصير.[٢١]

والثالثة : هداية العقل، حيث خلق الانسان ليعيش مجتمعا ولم يعط من الإلهام والوجـدان مـا يكفي مع الحس الظاهر لهذه الحياة الاجتماعية كما أعطي النحل والنمـل، فهـداه ا هداية هي أعلي من هداية الحس والالهام وهي العقل الذي يـصحح غلـط الحـواس

والمشاعر ويبين أسبابه، فذلك البصر يري الكبير علي البعد صغيرا، ويـري العـود المستقيم في الماء معوجا، والصفراوي يذوق الحلو مرا، والعقل هو الذي يحكم بفـساد هذا الادراك.

والهداية الرابعة: الدين، حيث يغلط العقل في إدراكه كما تغلط الحواس، وقـد يهمـل الانـسان استخدام حواسه وعقله فيما فيه سعادته الشخصية والنوعية، ويـسلك بهـذه الهـدايات مسالك الضلال، فيجعلها مسخرة لشهواته ولذاته حتي توروه موارد الهلكـة، فاحتـاج الناس إلي هداية ترشدهم في ظلمات أهوائهم إذا هي غلبت علي عقولهم وتبـين لهـم حدود أعمالهم ليقفوا عندها ويكفوا ايديهم عما وراءها.. إنها هداية الدين التي تمنعنا من الضلال والخطأ.[٢٢]

وهكذا صاغ الأستاذ الامام الفيلسوف محمد عبده نظرية الهدايات الأربعة: هداية الوجدان والالهام، وهداية الحواس والمشاعر، وهداية العقل، وهداية الدين للحصول علي المعرفة.

إن ذلك يعني أن سبل المعرفة في التربية ينبغي أن تتسم بالتكامل فهي تتمثل في الادراك الحسي عن طريق اللمس والشم والسمع والأبصار، كما تشمل الاستدلال العقلـي إلـي جانـب الحدس (الالهام) فضلا عن هداية الدين التي تحمي من الضلال.

ج - القيم

إذا كانت التربية تسعي إلي التعرف علي طبيعة الانسان وخصائصه السيكولوجية فإنهـا تستهدف من ذلك تزويد الفرد بالقيم المرغوب فيها.

وعلي الرغم من تعدد البحوث التي تناولت موضوع القيم، فإن مفهوم القيم من المفـاهيم التي يعتريها كثير من الخلط والغموض، مما يترتب عليه في كثير من الأحيان مظـاهر سـوء الفهم، ويرجع هذا الخلط والغموض إلي حقيقة مؤداها أن القيم من الموضوعات التـي تتناولهـا فروع كثيرة للعلم كالفلسفة والاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس مؤخرا. [٢٣]

ويعد أفلاطون أقدم الفلاسفة الذين شغلوا بموضوع القيم حيث يـري أن مـصدر القـيم خارج عن الحياة الواقعية والخبرة الشخصية للانسان، تلك الخبرة التي تشتق مـن هـذا العـالم الحسي المتغير المتقلب المضطرب الذي لا يمكن التحقق من صدقه، ولهـذا يتحـتم أن يكـون مصدر القيم هو عالم المثل الذي يمتاز بأنه عالم أبدي وغير متغير ومطلق، وواجب الانسان ان يسعي بعقله بالتأمل والفكر إلي الحق والخير والجمال باعتبار أنها كلها فضائل خالـصة وقـيم مطلقة وباعتبارها حقائق سامية وهي الوجود الحق، أما عالم الواقع فهو ناقص، وعلي أساس هذا قدم أفلاطون كتابه "جمهورية أفلاطون" الذي يعتبر ارقي درجات المثالية. [٢٤]

لقد ترتب علي نظرية أفلاطون الفصل بين القيم والعمل من جهة وبين المثل والواقع من جهة أخري، وهبطت الاقتصاديات إلي مستوي أدني من الأخلاق والسياسة وأصبح التعامل مع الحياة الواقعية بدون حماسة لأنها تبدو في ضوء تفسيراته الخاصة حقيرة ودينئة.

وقد انتقدت الاتجاهات الفكرية الحديثة هذه التفسيرات حيث نجد فلسفة التربية الواقعية تري أن القيم مرتبطة في الأساس بالوجود الآنساني الواقعي وهي متعددة ومتنوعة ومتغيرة، ولا يخرج مثل هذا الفهم للقيم في الفلسفتين الطبيعية والبرجماتية. (٢٥)

إن القيم هي نتاج خبرات الجماعة وهي تمثل معايير تنظم حياة الجماعة وتضمن تماسكها، والانسان يصدر أحكامه علي الأشياء من واقع اهتمامه بها ورغبته فيها مهتديا بمجموعة من المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه، وعلي ذلك فالقيم هي معايير اجتماعية ينتقي ويفضل الفرد بمقتضاها كل ما هو مرغوب فيه من مواقف وأشخاص. (٢٦)

وإذا كانت القيم نتاج خبرات الجماعة، فهي نسبية تختلف من مجتمع إلي آخر، فما يراه مجتمعا صوابا، قد يراه غيره خطأ، وإن كان هذا لا يمنع من وجود قيم موضوعية تجمع الثقافات رغم اختلافها وتباينها عليها كالقيم الدينية وقيم الحق والجمال. (٢٧)

لم ينظر الامام محمد عبده إلي القيم نظرة ميتافيزيقية تجعلها مستقلة عن الانسان وحياته، وإنما اعتبرها ضرورة اجتماعية ينبغي ان يمارسها الفرد والجماعة من أجل تحقيق تماسك المجتمع وارتقائه.

وفيما يلي آراء الامام محمد عبده حول القيم:

١-القيم الأخلاقية

تتعلق القيم الأخلاقية بالأخلاق، ويقصد بالأخلاق بصفة عامة ما يتفق مع قواعد السلوك المقررة في المجتمع، وعلم الأخلاق هو العلم الذي يبحث في الأحكام القيمية التي تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن والقبيح، ويكون الانسان متحليا بالأخلاق الكريمة بقدر التزامه في سلوكه بالمعايير الأخلاقية التي أقرها الشرع والمجتمع. (٢٨)

وقد فطن الامام محمد عبده إلي القيم الأخلاقية وأهميتها، ولم تكن دراسته لها دراسة نظرية تأملية، وإنما ارتبطت بالواقع الاجتماعي وظروفه، فالأخلاق تؤثر وتتأثر بالوسط الاجتماعي وبالنظم الاجتماعية.

وقد أوضح الاستاذ الامام محمد عبده أن حياة الانسان تكون اخلاقية بقدر ما ترتفع عن المصالح الفردية وتستهدف مصلحة الجماعة، لان الحياة الأخلاقية لا يمكن أن توجد لدي الانسان

إلا من أجل الجماعة وفي نطاق الجماعة، ولا يستطيع الانسان أن يعمل للناس مـا لـم تربطـه أسباب الود والتعاطف والتآلف. (٢٩)

وآمن الامام محمد عبده بأن الأخلاق الانسانية قابلة للتغير، ومـا الـديانات الـسماوية والرسل الذين جاءوا بها إلا دليل قوي علي ذلك، وأن بذور الخير التي يلقيها الهداة والمرشدون في نفوس الناشئين لابد ان تنمو وتغلب بذور الشر التي أصيبوا بها من البيئة. (٣٠)

ويربط الاستاذ الامام بين العلم والأخلاق مبينا ان كل من يتـصدي للهدايـة الأخلاقيـة ينبغي ان يتوافر فيه الصدق والأخلاص، فإن روح الصدق والإخلاص رباط مشترك بين العلـم والأخلاق، وقد عبر عن ذلك قائلا: "لأجل أن يترك الانسان أثرا في العالم يحتاج إلـي شـيئين مهمين هما: الاخلاص وقوة الاخلاق". (٣١)

وهو يري أن رجل الأخلاق يتعين عليه ان يبدأ بمهمة شـاقة وهـي أن يـصلح نفـسه ويجاهدها بكبح شهواته والسيطرة علي رغباته، وهو ما يسمي في الاصطلاح الاسلامي المأثور جهادا، ثم يقوم بدعوة الناس إلي مكارم الخلاق وفي ذلك يقول: "فالنصح واجب وطني، وتربيـة الأخلاق إصلاح قومي، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة علي كل ذي وعي سـليم، وهو فرض عين لا فرض كفاية". (٣٢)

وإذا كان يلح هذا الالحاح علي ضرورة النصح الأخلاقي فذلك لأنه كان يعتقد أن الخير شئ مفطور في طبيعة الانسان وأنه لا يحتاج إلا إلي تذكرة وتنبيه لكي يظهر للعيان. (٣٣)

وتبدو النزعة البرجماتية واضحة عند الاستاذ الامام محمد عبده في نظرته إلي الأخلاق، فالقيم الخلقية هي ثمرة العمل، والعمل البناء عنده هو أمثل طريق لاكتـساب الـسلوك القـويم، والعمل لديه هو سبيل نيل الفضائل "والفضائل في عالم الانسان- كما يقول- كالجذبة العامة فـي العالم الكبير، فهي تمسك المجتمع وتصونه من البوار، فكما أن الجذبة العامة يحفظ بهـا نظـام الكواكب والسيارات، كذلك شأن الفضائل في الاجتماع الانساني، بها يحفظ ا الوجود الشخصي إلي الأجل المحدود، ويثبت البقاء النوعي إلي أن يأتي أمر ا ". (٣٤)

لقد كان الامام محمد عبده خلال حياته قلقا علي ما اعتري المجتمع المصري من اهتزاز في قيمه الأخلاقية مهموما بإصلاح سلوكياته، لذا كان حريصا علي التـصدي لهـذه الظـاهرة، مستهدفا بث القيم الأخلاقية الفاضلة بين أبناء مجتمعه.

ومما يؤسف له ازدياد حدة مظاهر الانحراف الأخلاقي في مجتمعنا في الوقت الحاضـر نتيجة عدة عوامل لعل من أهمها تقليدنا لبعض مظاهر الحضارة الغربية السلبية التي لا تتفق مع أخلاقنا وعقيدتنا، وسطوة القيم المادية حيث أصبحت المادة هي المعيار الذي يقـاس بـه كافـة مظاهر الحياة، والتفكك الأسري، وما يتعرض له الشباب من أزمات اقتصادية واجتماعية ممـا

أدي إلي انتشار بعض الجرائم كالسرقة والرشوة وشـيوع تجـارة الجنس،وادمـان المخـدرات والقتل،فضلا عن اهمال تدريس الدين في مدارسنا واعتباره مادة ثانويـة هامـشية لا تـضاف درجاتها للمجموع الكلي مما أدي إلي استهانة التلاميذ بهذه المادة في الوقت الذي تعتبـر هـذه المادة مادة أساسية في مناهج التعليم الاسرائيلية، يضاف إلي ذلك اتخاذ بعض الملحدين من التقدم العلمي والتكنولوجي سبيلا إلي السير في طريق الانحراف.

وتلعب أجهزة الاعلام والثقافة المرئية من تليفزيون وفيديو وسينما ومسرح وملاهي ليلية دورا كبيرا في حدوث الانحراف الأخلاقي بما تعرضه من أفلام فاضحة وتمثيليات ومـسرحيات مبتذلة لا تتفق مع قيمنا وعقائدنا، وفي هذا الصدد أشير علي وجه الخصوص إلي مـا تعانيـه الأغنية العربية من هبوط وفساد وإسفاف.. لقد سقطت الأغنية العربية كلاما ولحنـا، وتحـول الغناء إلي تجارة تعتمد علي العري واللحم الأبيض حيث يتم عرض الأغـاني علـي شـرائط (الفيديو كليب) بواسطة قنوات تليفزيونية مشبوهة لا يعرف أحد مصادر تمويلها ولا هويتها ولا الأيدي الخفية التي تحركها، وفي هذا النشاط المريب تداخل الغناء العربي مع الغنـاء الأجنبـي وأصبح من الصعب أن تفرق بين مطربة أجنبية وأخري عربية أكثر عريـا، ويجلـس شـبابنا العربي أمل الأمة ومستقبلها أمام شاشات هذه القنوات يشاهدون لحما عاريا يثير غرائزهم ويفسد أخلاقهم.

وإذا كنا لا نستطيع الهروب من اللحم الأبيض الأجنبي فما هي الأيدي الخفية التي تدمر الآن الغناء العربي وتحوله إلي مستنقع من مستنقعات تجارة العري؟ وما هـي الأمـوال التـي تحرك ذلك كله؟، وهل هناك أهدافا خفية وراء هذه التجارة؟، وهل هناك وسيلة لتدمير مـستقبل هذه الأمة؟ هل هي محاولة مشبوهة لإغراق شبابنا في قنوات العري والجنس والشذوذ؟ هل هي تجارة اختلط فيها الجنس بالمخدرات وتديرها جهات مشبوهة، وكيف نفسر هذا الكم الرهيب من الأموال التي تنفق في العواصم العربية في تجارة الغناء.

ما أحوجنا اليوم إلي الاستفادة من أساليب دعوة الامام محمد عبده ومنهجه في التـصدي للانحراف الأخلاقي الذي شاع في مجتمعنا والتي تتمثل في وجود القدوة التي يجب الاقتداء بها، وتفضيل المصلحة العامة علي المصلحة الشخصية، وأن يقوم الهداة والمرشدون بتنميـة بـذور الخير التي فطر عليها الناشئون، وأن يتوافر في كل من يتصدي للهداية الأخلاقية الصدق والعلم والأخلاق، وأن يبدأ رجل الأخلاق بمهمة شاقة وهي أن يصلح نفسه ويجاهدها، وأن يكون أسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة علي كل ذوي وعي سليم، وهـو فـرض عـين لا فرض كفاية وأن يرعي أفراد المجتمع بعضهم بعضا كما يؤثر بعضهم علي بعـض وهـذا مـا فرضه القرآن الكريم "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكـر" (آل

عمران: ١١٥). واستخدام أسلوب النصح والارشاد لان له تأثيره الحسن فـي النفـوس حيـث يتطرق إلي النفس الانسانية من مداخلها الحقيقية، ويجعل الناصح في نظر المنـصوح شخـصا طيب النوايا حريصا علي المصلحة، ومن هنا يكون لكلامه قبول حسن، ويكون هـذا الاسـلوب فعالا يؤتي ثماره عندما يكون صادرا من القلب لأن ما يصدر عن القلب يصل إلي القلب، فضلا عن توجيه الفرد إلي العمل البناء باعتبار أنه أمثل طريق لاكتساب السلوك القويم.

٢-الحق كقيمة

تتمثل هذه القيمة في محاولة التعرف علي حقائق العالم الذي نعيش فيه، والقوانين التـي تحكمها، ويتميز الأفراد الذين يسعون إلي الحقيقة بنظرة موضوعية نقدية معرفية[٣٥].

عرف الامام محمد عبده الحق بأنه "الاعتقاد المطابق للواقع من عيان أو دليل صحيح أو مشاهدة"[٣٦]، ويتفق بتعريفه مع ما تراه الفلسفة الواقعية التي يمثلها سبنـسر وهكـسلي مـن أن الحقيقة هي ما طابقت الوقائع. [٣٧]

وهو يري أن الحق ثابت يستحيل تغيره، لأن مقدماته بديهية أو منتهية إلي البـديهيات، والنفس إذا سلكت هذا النوع من العلم، ملك هو إرادتها وعاد المصرف لها في شئونها. [٣٨]

وأوضح الاستاذ الامام "أن الحق لا يقبل الشك، فهو اعتقادان: اعتقـاد أن الـشئ كـذا، واعتقاد أنه لا يمكن أن يكون إلا كذا".[٣٩]

ويقوم الحق- كما يري- علي "الاعتقاد بالحقائق الثابتة التي لا ينازع فيهـا العقـل ولا يختلف فيها النقل، كما يبتعد عن الاوهام والخرافات التي لا قرار للنفوس عليها ولا دليل يهـدي إليها، ويتطلب الوصول إلي الحقيقة إعمال الفكر وإجادة النظر في الأكوان، وإطلاق اللعقل مـن كل قيد مع اشتراطه التدقيق في النظر"[٤٠]

وأبرز الامام محمد عبده أهمية المنطق في الوصول إلي الحقيقة قائلا: "إن المنطق هـو الوسيلة الأساسية لبلوغ الحق واليقين، والعلوم المنطقية إنما وضعت لتقويم البـراهين وتمييـز الأفكار غثها من السمين، وبيان كيف تتركب المقدمات لانتاج المطلوب، وأي مقدمة يـصح أن تؤخذ وأيها يجب أن تطرح، فهذا علم حقيق بأن يتخذ سلما لجميع العلوم".[٤١]

إن ايمان الامام محمد عبده بقيمة المنطق كأداة لتحقيق التفكير السليم يتطلب من كل معلم أن يكون علي معرفة بهذا العلم حتي يتمكن من تنمية التفكير السليم في نفوس تلاميذه، فتـدريس اي موضوع أو حل احدي المشكلات يستدعي من المعلم وضع خطة منظمة بقدر الامكان لهـذا الموضوع أو تلك المشكلة، ومعرفة الخطوات المنطقية التي يجب الـسير فيهـا حتـي يمكـن الحصول علي نتيجة صحيحة.

وقد كان الفيلسوف الأمريكي "جون ديوي" حريصا علي تطبيق المنطـق فـي العمليـة التعليمية كأداة تسهم في وضوح الفكر واتساقه وحل المشكلات، وأقام منطقا يصور طرق البحث في العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية أطلق عليه اسم "المنطق – نظرية البحث Logic: The Theory of Inquiry. [٤٢]

٣- العمل كقيمة

تؤكد التربية الاسلامية تأكيدا شديدا علي العمل الصالح ويبلغ من تأكيد القـرآن الكـريم علي العمل والجهد البشري لإعمار العالم أن ترد لفظة العمل بتصريفاته المختلفة فيما يزيد علي الثلاثمائة وخمسين موضعا، فالعمل هو ثمرة الايمان والأخلاق والعلم....إلخ، إذ ما فائدة الايمان وما فائدة الأخلاق وما فائدة العلم ما لم يدعم الكل عمل صالح، إن القرآن الكريم يحث في كـل طياته علي العمل الصالح، والعمل الصالح يلي الايمان با في كثير من الآيات القرآنية.

وقد أبرز الاستاذ الامام محمد عبده قيمة العمل الصالح في تنظيم أمور الحياة، وأكد علي ضرورة اقتران الفكر بالعمل والتطبيق، "فالمرء لا يمكن أن ينتفع بالمعارف والعلوم مهما قرأها وراجعها إلا إذا عمل بها وراعي أحكامها، فكل علم لا يحفظه إلا العمل به وإلا فهو منـسي لا محالة". [٤٣]

لقد أخرج الامام محمد عبده العمل من اطاره التقليدي حيث كان بعيدا عن المعرفة وعالم الأفكار، فقد ذهبت الفلسفات القديمة إلي الحط من قدر العمل وعزلته عن عالم الأفكار، وبـذلك فصلت المعرفة عن الواقع، ورتبت الناس في طبقات أفـضلها تلـك التـي حظيـت بالمعرفـة وانصرفت لها، وأقلها وأدناها تلك التي يعمل أفرادها بأيديهم ويكدحون بعرقهم.

وتتمشي أفكار الاستاذ الامام في هذا المجال مع اتجاهات التربية الحديثة التي تـري أن مفهوم الخبرة التربوية يقوم علي مزج الفكر بالعمل، فكل فكرة، وكل معرفة ليـست إلا خطـة عمل، ومن أجل هذا فهي لا تكتمل إلا بوضعها موضع العمل والفعل، وكل معرفة نظرية تظـل فرضا بل تكون مجرد ألفاظا إذا لم نحكمها بالفعل والواقع والعمل، فالمعرفة ناقصة بغير العمـل والتطبيق، كما أن العمل والتطبيق إمتداد طبيعي للمعرفة.

٤- الحرية كقيمة

المفهوم الحديث للحرية يقوم علي أن الحرية بمعناها المطلق غير موجودة، فلا حريـة مطلقة ولا حرية في فراغ، وإنما تستمد الحرية مضمونها ومغزاهـا مـن الأصـول والنظـام والقواعد وفي ذلك يقول (جون ديوي): "لابد من قواعد تنظم حرية الأفراد، أنظر إلي الأطفـال الذين يلعبون معا، نجد أنهم يفرضون علي أنفسهم قواعد يرتضونها ويخضعون لها، لأنه حيـث

لا تكون قواعد لا تكون مباراة، فالقواعد هي الضوابط الاجتماعية التي تنظم حريـة الأفـراد، وتنشأ القواعد مما ارتضاه الناس وتوارثوه في تقاليدهم، وجرت عليه السوابق بذلك". (٤٤)

وقد آمن الاستاذ الامام محمد عبده بالحرية المنظمة بقواعـد وأصـول لتنظـيم حيـاة الجماعة، فقد ناصر حرية الإرادة الانسانية ودلل عليها بأن العقل والوجدان والاجمـاع يثبتـون هذا" فكما يشهد سليم العقل والحواس من نفسه بأنه موجود، ولا يحتاج إلي دليل يهديه، ولا معلم يرشده، كذلك يشهد أنه مدرك لأعماله الاختيارية، يشعر بنتائجها بعقله، ويقدرها بإرادتـه، ثـم يصدرها بقدرة ما فيه".(٤٥)

وبتقريره لحرية الانسان ومسئوليته عن أعماله، أوضح من زاويـة أخـري أن فكـرة القضاء والقدر ليست عائقا لحرية الانسان أو مبررا لتهربه من مسئولية أفعاله، فقد فسر القضاء بمعني السبق الآلهي حيث يقول: "فالقضاء هو علم ا السابق بحصول الأشياء علي أحوالها وفي أوضاعها، والقدر هو ايجاده لها عند وجود أسبابها، ولا شئ منهما يضطر العبد لفعل من افعاله، وبمعني آخر فإن الاحاطة الالهية بما سبق لا تكون مانعة من استخدام العقل ولا باعثة إليه". (٤٦)

ويستطرد الاستاذ الامام قائلا: "والذين ينكرون للإنسان حرية العمل، عليهم أن يفكـروا في معني الأوامر الإلهية، أفيعقل أن يكون لهذه الأوامر قيمة إذا لم يكن للإنسان الاختيار في أن يطيعها أو يعصيها؟ بل لقد فاقت أحكام الشريعة جميعا علي هذا الأصل وهو أن الانسان مسئول عما يفعل... ولو كان فعل العبد ليس له لبطل تكليفه به، إذ لا يعقل أن يطالب شـخص بمـا لا يقدر عليه، وأن يكلف بما لا أثر لإرادته فيه".(٤٧)

ومن أجل ذلك هاجم محمد عبده الجبريين الذين يرون أنه لا فائدة من السعي والعمـل، وأن من الخير ان نسلم أمورنا للمقادير، مستدلا علي ذلك أن القرآن الكريم أيد حرية الإرادة في نحو أربع وستين آية، وأن النبي (ص) ضرب لنا المثل الأعلي في المثابرة والنشاط. (٤٨)

إن إيمان الاستاذ الامام بحرية الإرادة يعني أنه برجماتي النزعة، يؤمن بأن تقوم التربية علي العمل والنشاط وتعويد الأفراد علي تحمل مسئولية أعمالهم والنهوض بها.

علي أن حرية الانسان – كما يري الامام- ليست مطلقة، فحرية الاختيار لا متناهية عند ا ، ولكنها متناهية عند الانسان، وقد وضع الاستاذ الامام ضوابط أخلاقية وسياسية واجتماعيـة لممارسة الحرية، أما الضوابط الأخلاقية فتتمثل في التمييز بين الخير والشر كمعيار للتمييز بين الأعمال والسلوكيات المختلفة، أما الضوابط السياسية فتتضح فيما أسماه بالأدب السياسي، وهـو العلم بالمصلحة العمومية والحدود الشخصية، وهو لا يتوافر إلا بالتربية والخبرة ودقـة النظـر والتأمل، أما الضوابط الاجتماعية فتتصل بمراعاة العادات القائمة علي تقليد الأوربيين في عادات

السكر واللهو وممارسة البغاء، وقد سمي الحرية في هذه الموضوعات السيئة بالحرية البتراء.[٤٩]

٥- القيم الجمالية

تتمثل القيم الجمالية في الاهتمام بكل ما هو جميل من ناحية التكوين والتنسيق والتوافق الشكلي[٥٠]، وللقيم الجمالية أثر كبير في الارتقاء بالحياة وتهذيبها، كالرسم والتصوير والموسيقي والفنون الجميلة، وقد أحاطتنا الطبيعة بجمالها وأوحت إلينا بعنصر الجمال، وحددت المثل الجمالية التي يجب أن نترسم خطاها، وللفنون الجميلة قيمة كبيرة في ارتقاء الذوق، كما أنها تنمي القدرة علي الخلق والابداع، وهي وسيلة من وسائل التعبير عن النفس وما فيها من انفعالات.

ولما كان للقيم الجمالية أهمية كبيرة، فقد اهتم بها المربون بوجه عام، ونظرت إليها التربية الحديثة نظرة تقدير وقديما قال روسو: "إن الغرض الأساسي من تربية "أميل"، هو أن أعلمه كيف يشعر بالجمال ويحبه في كل أشكاله، وأن أثبت عواطفه وأذواقه، وأن أمنع شهواته من النزول إلي الخبيث والرذيل، فإذا تم ذلك وجد "إميل" طريقه إلي السعادة ممهدا، وأملي الوحيد أن يجد هذا في المنزل".[٥١]

وقد اهتم الاستاذ الامام محمد عبده بالفنون الجميلة في وقت كان الرأي الشائع عنها أنها حرام وأنها من الكماليات التي لا لزوم لها، فضلا عن أنها لم تجد الرعاية والاهتمام في مناهج الدراسة.

أوضح الامام محمد عبده أن الاحساس بالجمال شعور فطري يوجد بين جميع الأفراد، وقد عبر عن ذلك قائلا: "إننا نجد في أنفسنا بالضرورة تمييزا بين الجميل من الأشياء والقبيح، فإن اختلف الأفراد في مشاربهم فإن للانسانية مع ذلك معيارا عاما وشعورا فطريا بالجمال والانسجام.. فلم يختلف أحد في جمال أشكال الأزهار وألوانها خصوصا إذا كانت في أوضاع تمثل الائتلاف والتناسب، ولا يختلف احد في قبح الصورة المهشمة الأجزاء، ونحن نشعر بجمال الحركات العسكرية المنتظمة وأداء اللاعبين المهرة في الألعاب الرياضية المعروفة بالجمناستيك، كما نحس بجمال إيقاع النغمات الموسيقية من العازف بها.ونحن نشعر بالقبح من رؤية ضعفاء النفوس عند الجزع وولولة النائحات".[٥٢]

وأبرز الاستاذ الامام "أن التمييز بين الجمال والقبح لا يقتصر علي المحسوسات، فهو يشمل الأمور المعنوية أيضا، فنحن نصف الشجاعة والكفاح من أجل الوطن والتضحية في سبيل العلم بالجمال، كما نصف الجبن وضعف الهزيمة والسقوط في الهمة بالقبح".[٥٣]

وقد قسم الاستاذ الامام الجمال إلي نوعين: جمال نسبي تختلـف الأذواق فـي مفهومـه وتحديد صفاته كاختلاف مشارب الرجال في فهم جمال النساء أو اختلاف مشارب النساء في فهم جمال الرجال، فالنظرة الجمالية في هذا النوع تختلف من فرد إلي آخر، وإن المرأة الجميلـة أو الرجل المتصف بالجمال ليس بشئ واحد يقاس بمقياس واحد في كل ما يبدو أو يحتويه، وإنمـا تختلف المقاييس باختلاف الأذواق، أما النوع الثاني فهو الجمال الذي تتفق جميع الأذواق علـي توافر الجمال فيه كجمال الطبيعة وجمال الأزهار وهو جمال إلهي. (٥٤)

ويشير الامام محمد عبده إلي خاصية مهمة في الشئ الجميل وهي اختلاف الأثر، "فقـد يجمل القبيح بجمال أثره ويقبح الجميل بقبح ما يقترن به.. فالمر قبيح مستبشع والملـك الـدميم المشوه الخلقة ينبو عنه النظر، ولكن أثر المر في معالجة المرض وعدل الدميم فـي رعيتـه أو إحسانه إليك يغير حالتك النفسية عند حضور صورته".(٥٥)

وجمال الأثر كما يري الاستاذ الامام يرتبط بالمنفعة، "فإن الـدواء المـر نـافع ومفيـد للمرضي، فهو بالنسبة له نافع ولا نقول جميل، وكذلك الشأن في الملك الدميم العادل. إنه جمـال الأثر يلقي علي صاحبه أشعة من بهائه فيشعر الوجدان بجماله لمنفعته، ومثل ذلك يقال في قـبح الحلو إذا أضر واشمئزاز النفس من الجميل إذا ظلم وأضر".(٥٦)

وهو يري أن أثر الجمال في النفس الذواقة يكون بانفعال أنفسنا من الجميـل بهجـة أو أعجابا، ويشبه المصنوعات التي تنتمي إلي الفنون من الرسوم والتماثيل بالشعر "فـإن الرسـم ضرب من الشعر يري ولا يسمع، والشعر ضرب من الرسم الذي يسمع ولا يري".(٥٧)

لقد كانت آراء محمد عبده في الجمال تدل علي سعة الأفق، فقد كتـب ليحبـب الفنـون الجميلة إلي الناس في الوقت الذي كان الرأي الشائع فيه عن النحت والتصوير أنهما حرام، وكان المتعلمون العصريون أنفسهم يحتقرون هذه الفنون ولا ينظرون غليها نظرة جدية، ويحـسبونها من الكمالات المحتملة وليست من اللوازم المطلوبة، وقد خلا الشرق العربي من مدرسة واحـدة لهذه الفنون، وقلت العناية بها في الصحف، ولكن محمد عبده كتب لينوه بها، مبينا أن لها أثر في تربية الذوق وتهذيب الأحاسيس وارتقائها، وأنها لغة نفسية تفوق فـي تعبيراتهـا أدق المعـاني الشعرية، وهذا هو سر إقبال الغربيين عليها، وأن هذه الفنون بما تحويه من رسوم وتماثيل قـد حفظت من أحوال الأشخاص في الشئون المختلفة ما تستحق ان تسمي ديوان الهيئات والأحـوال البشرية، وحفظ هذه الفنون هو حفظ للعلم في الحقيقة. (٥٨)

وتعرض الأستاذ الإمام لحكم الشريعة في تلك الفنون، فإذا استند البعض إلي حـديث أن أشد ا عذابا يوم القيامة المصورون، فالرد علي ذلك – في رأي الامام- "أن الحديث جاء أيـام الوثنية، وكانت الصور تتخذ في ذاك العهد لسببين: الأول للهو وذلك يبغضه الاسـلام، والثـاني

للتبرك بصورة من يرسم من الصالحين وهذا ما حرمه الاسلام، أما في زمننـا فيعـد تـصوير الأشخاص بمثابة الرسوم في حواشي المصاحف وأوائل السور ولم يمنعها أحد من العلماء". [٥٩]

هذا هو رأي محمد عبده في الفنون الجميلة التي كان يجهلها الناس وقتئذ والتي لم يشتغل بها فنان خبير في عصره، وهو بهذا يحاول تربية النفوس علي تذوق الفنون الجميلة وتقـديرها والاحساس بها، وهو اتجاه جديد في ذلك العصر لم يعهده الناس من قبل.

د- الوسطية في التربية الإسلامية

يقوم المشروع التربوي لإصلاح المجتمع الاسلامي عند الأستاذ الامام محمد عبده علـي "الوسيطة الإسلامية"، فالوسطية هي السمة المميزة للإسلام "وكذلك جعلناكم أمة وسطا" (البقـرة: ١٤٣)، "والوسط- كما يري- هو العدل والخيار وذلك لأن الزيادة عن المطلوب في الأمر فيـه إفراط والنقص عنه فيه تفريط وتقصير، وكل من التفريط والافراط ميل عـن الجـادة القويمـة وكلاهما شر ومذموم". [٦٠]

إن حديث الأستاذ الامام عن الوسطية الاسلامية يعني أنها جاءت ثورة علي مـا سـاد الشرائع والأنساق الفكرية التي سبقت ظهور الاسلام، وذلك أن الناس قبل ظهور الاسلام كـانوا علي قسمين: قسم غاب علي أفراده المادية المحضة فلاهم لهم إلا الحظوظ الجـسدية كـاليهود والمشركين، وقسم تحكم فيه تقاليده الروحية وترك الدنيا ومـا فيهـا مـن اللـذات الجـسمانية كالنصاري والصابئين وطوائف من وثنيي الهند أصحاب الرياضات.

وأما الأمة الاسلامية فقد جمع الله لها في دينها بين الحقين، حق الروح وحـق الجـسد، فهي روحانية جسمانية وإن شئت قلت أنه أعطاها جميع حقوق الانسانية، فالإنسان جسم وروح، فالوسطية هي منهج الاسلام في صياغة وتربية الانسان، وهي سبيل اسـلامية الاصـلاح فـي المجتمعات، وهي الطور المتقدم وهي شرط خيرية الأمة الاسلامية، فالاسلام راعي في أحكامه سلامة البدن كما أوجب العناية بسلامة الروح.. وأباح الاسلام لأهله التجمـل بـأنواع الزينـة والتوسع في التمتع بالمشتهيات علي شريطة القصد والاعتدال، وحسن التوعية والوقـوف عنـد الحدود الشرعية والمحافظة علي الرجولية كما جاء في الكتاب العزيز "يا بني آدم خذوا زينـتكم عند كل مسجد وكلوا وأشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين" (الأعراف: ٣١). [٦١]

"والإسلام – كما يري الامام- خشي علي المؤمن أن يغلو في طلب الآخرة فيهلك دنيـاه وينسي نفسه فيها، فذكرنا – بما قص علينا أن الآخرة يمكن نيلها مع التمتع بنعم الله علينـا فـي الدنيا، إذ يقول القرآن الكريم: "وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك مـن الـدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغ الفساد في الأرض، إن الله لا يحب المسرفين" (القـصص: ٧٧) [٦٢]

وهو يري "أن الاسلام لم يبخس الحواس حقها، كما هيأ الروح لبلوغ كمالها، فهو الـذي جمع للإنسان أجزاء حقيقته، واعتبره حيوانا ناطقا، لا جسمانيا صرفا، ولا ملكوتيا بحتا، جعلـه من أهل الدنيا كما هو من أهل الآخرة، واتبغاه من أهل هذا العالم الجسداني، كما دعاه إلـي أن يطلب مقامه الروحاني". (٦٣)

هكذا تحدث الامام محمد عبده عن الوسطية الاسلامية الجامعة التي هي خصيصة مـن خصائص الاسلام وقسمة ثابتة من قسمات منهج التربية الاسلامية في الاصـلاح.... إصـلاح النفس.. والإصلاح الاجتماعي الانساني، كما تحدث عن انحيازه إلي هذه الوسطية الاسـلامية، وتميز منهاجه الاصلاحي بهذه الوسطية عن أهل الغلو، غلو الافراط عند طلاب علوم الدين في عصره، وغلو التفريط عند طلاب النموذج الغربي الوافد في ركاب الاستعمار.

إن تأكيد الامام محمد عبده علي الوسطية يعني أن تكون التربية عملية تحـرص علـي ايجاد التوازن بين الحياة الدنيا والآخرة: "إعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، وأعمل لآخرتـك كأنـك تموت غدا".

وهذا التوازن يميز التربية الاسلامية عن غيرها، فهي ليست تربية مادية أو وجوديـة، وهي ليست تربية دينية فقط أو أخروية فقط، وإنما هي منهج توازن بين كل ذلك.

ثانيا: قضايا تربوية ذات أبعاد ثقافية وتتمثل فيما يلي:

أ- قضية الأصالة والمعاصرة

المتتبع للحياة الثقافية في مصر في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العـشرين – وهي الفترة التي عاش من خلالها الامام محمد عبده- يستطيع أن يري بوضوح كيف انقـسمت الصفوف إزاء اللقاء الفكري مع الثقافة الغربية وقتئذ وظهر في المجتمع المصري ثلاث اتجاهات ثقافية:

١- اتجاه محافظ

آثر هذا الاتجاه الاحتفاظ بالتراث الماضي وحده ومقاومة أي محـاولات لنقـل الثقافـة الغربية، واتهام كل محاولة في هذا السبيل بالالحاد، ولم يسع أصحاب هذا الاتجـاه إلـي تفهـم مشاكل العصر التي يواجهها المجتمع ومسايرة العصر، بل ركزوا علي تمجيـد الماضـي دون تحليل لأسباب انهيار هذا المجد السالف وكيف له أن يستعاد. (٦٤)

ويمثل هذا الاتجاه في الغالب رجال الدين الرجعيين الذين لا يبغون إلا المحافظة علـي مصالحهم الخاصة، والتأكيد علي الماضي كقيمة مطلقة فيه تثبيت لمناصبهم وتأكيـد لـسلطانهم، وخطورة هذا الاتجاه أنه يغفل المتغيرات ومتطلبات العصر. (٦٥)

٢- اتجاه علماني

انطلق أصحاب هذا الاتجاه من الحضارة الغربية وثقافتها، فقد انتشرت هذه الثقافة في المجتمعات الشرقية وقتئذ، واعتقد ممثلوه في أهمية الروح العلمية والتفكير العقلاني، وكان هدفهم إنشاء مجتمع حديث مماثل لتلك المجتمعات القائمة في أوربا وأمريكا الشمالية، ومن ثم دعوا إلي اقتباس الحضارة الغربية بشقيها المادي والفكري ككل متكامل واحلالها محل الثقافة القائمة، ويمثل هذا الاتجاه سلامة موسي ومجموعة من المهاجرين الشوام الذين هربوا من استبداد الحكم التركي في بلادهم وهاجروا في أعداد كبيرة إلي مصر مثل شبلي شميل وفرح أنطون.

ومن أوجه النقد الذي وجه إلي هذا الاتجاه، تجاهل واقع المجتمع وأنه اتجاه علماني معاد للتراث القومي واستبداله بتراث آخر منقول لا تجد فيه الجماهير ذاتها، فلا تتقبله وتثور عليه، وينتهي الأمر بزواله. [٦٦]

٣- اتجاه يجمع بين المحافظة والتجديد

يجمع هذا الاتجاه بين مزايا كل من الموقفين السابقين ويتخلي عن عيوبهما، فقد أبرز أصحابه أهم الجوانب التقدمية في تراثنا القديم وأنها لا تتعارض مع حضارة العصر، فالدين لا يتعارض مع العلم، والاسلام لا يتعارض مع المدنية، ولا مانع من الأخذ بكل ما هو صالح وذي قيمة من الحضارة الغربية ما دام لا يتعارض مع الدين، فأصحاب هذا الاتجاه يقومون بالمزاوجة الواعية والمزج الرشيد بين القديم والحديث، بين التراث والوارد الأوربي الجديد، محاولين إلا يظهروا أي تصدع في تراثنا في إطاره العربي الاسلامي، وبين الوافد الجديد المتضمن للرقي والتقدم. [٦٧]

وبرغم أن هناك من انتقد أصحاب هذا الاتجاه بدعوي أن التوفيق بين القديم والحديث عمل غير علمي قد يخضع لمزاج الباحث أو هواه مما يقضي علي موضوعية القديم والجديد علي السواء، إلا أن هذا الاتجاه كان في الواقع أقوي سلطانا علي عقول المثقفين وأقرب إلي أفئدتهم، واستطاع أن يفت في عضد الجمود والتطرف معا[٦٨]، وقد تزعم أصحاب هذا الاتجاه الاصلاح الاجتماعي والتجديد التربوي بمصر في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وكان يتزعم هذا الاتجاه الاستاذ الامام محمد عبده مع مجموعة من تلاميذه علي رأسهم قاسم أمين وسعد زغلول وأحمد لطفي السيد وملك حفني ناصف وأحمد فتحي زغلول ومحمد رشيد رضا ومصطفي عبد الرازق.

عندما بزغ نجم الاستاذ الامام محمد عبده في السبعينات من القرن التاسع عشر كانت تعتمل في مصر صراعات فكرية متلاحمة، وكان عصر النهضة العربية قد بدأ ينشر أنواره في ربوع الشام ومصر، ولكن رواد النهضة الذين سبقوا محمد عبده من أمثال رفاعة الطهطاوي وعلي مبارك كانوا يسيرون في طريق الأشواك حيث كانت العقلية المسيطرة علي مجتمعاتنا هي عقلية شديدة المحافظة ورافضة لكل جديد، وعندنما احتل الانجليز مصر ١٨٨٢ كان رد الفعل الثقافي لمجموع المصريين هو رفض كل ما يأتي من انجلترا خاصة وأوربا عامة علي أساس أنه فكر استعماري لا يبغي إلا اقتلاع شأفة الاسلام من العالم.

وكانت عظمة محمد عبده أنه استطاع التمييز بين الاستعمار الكريه ودوره السلبي في أرض مصر والعالم العربي من ناحية، وفكر الاستنارة والتقدم الذي وصلت إليه أوربا أنذاك إلي أرقي مستويات العلم والمعرفة من ناحية أخري.

كانت المشكلة التي تشغل بال محمد عبده هي تخلف أحوال المجتمعات الاسلامية أمام المجتمعات الأوربية، وهذا التخلف ليس مرجعه العقيدة الاسلامية، فالاسلام دين عمل وحياة، وتعاليمه تفرض علي المؤمنين النظر في القوانين التي تحكم الكون المحيط بهم للاستفادة منها.(٦٩)

إن هذا التخلف يرجع في رأيه إلي عاملين:

العامل الأول : غلبة الجهل وظهور الخلافات بين الفرق والشيع في فهم الأصول الدينية خلال العصور المتاخرة مما أدي إلي اختلاط الاسلام بعقائد ليست منه، وترتب علي ذلك عدم تمكن المسلمين من فهم دينهم والعمل بأصوله، وتعرضت الشريعة الاسلامية نتيجة لذلك للجمود. (٧٠)

العامل الثاني : يرجع إلي جهل الكثير من حكام المسلمين بتعاليم دينهم وما يفرضه من حقوق وواجبات، وتسخيرهم العلماء لخدمة أغراضهم، والإفتاء بما يؤيد رغبات الحكام ويتعارض مع الشرع. (٧١)

وأوضح محمد عبده أن انقاذ المجتمعات الاسلامية من هذا التخلف يتطلب من التربية في المجتمعات الاسلامية القيام بوظيفتين:

الوظيفة الأولي: تنقية التراث الديني وتطهيره من البدع والمنكرات والشوائب التي خلفتها العصور المتوالية، والعودة بالاسلام إلي أفضل صورة كان عليها، وهي تلك التي كانت في عهد النبي (ص) وما تلاها من قرون قليلة وذلك قبل ظهور الفرق والشيع في العصور المتأخرة. (٧٢)

الوظيفة الثانية: تحقيق المواءمة بين الاسلام ومتطلبات العصر، فالحياة الانسانية متطورة، ويجد فيها من الأحداث والمعاملات اليوم ما لا يعرفه الأمس، والاجتهاد هو الوسيلة العلمية والنظرية المشروعة للملاءمة بين أحداث الحيـاة المتجـددة وتعـاليم الاسلام العامة، ولو وقف الاسلام عند حد تفقه الأئمة السابقين، لسارت الحياة الانسانية في الجماعة الاسلامية في عزلة عن التوجيه الاسلامي، وانطلاقا من هذا المفهوم دعا محمد عبده إلي اقتباس كل ما هو نافع ومفيد من الحـضارة الغربية ما دام لا يتعارض مع الإسلام[٧٣]، وفي ذلك يقول: "إن الاسـلام لـن يقف حجر عثرة في سبيل المدنية الحديثة، وستكون هذه المدنية بعد تهذيبها من أقوي أنصاره متي عرفته وعرفها أهله".[٧٤]

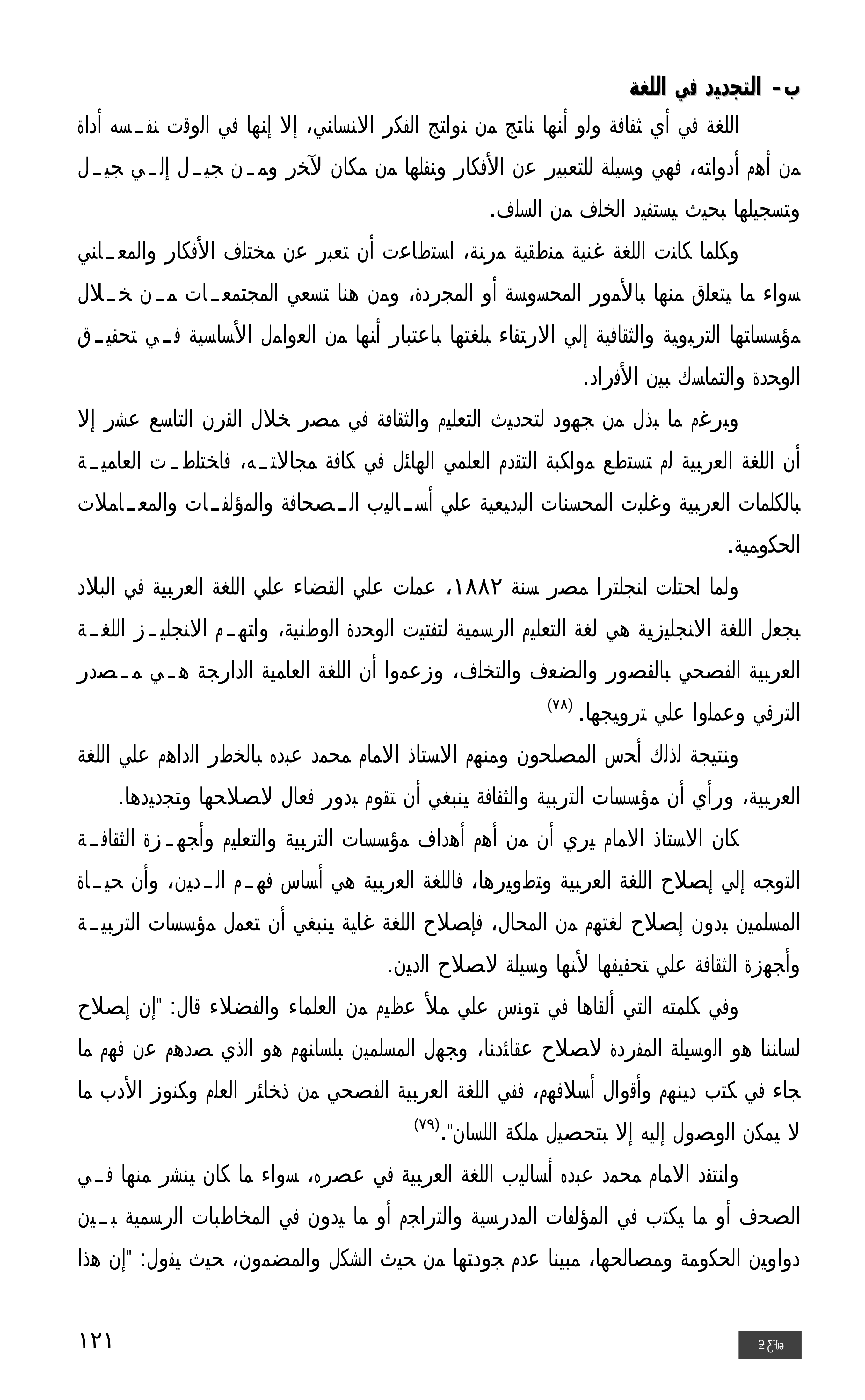
وهكذا يدعو الاستاذ الامام إلي الانفتاح علي الوجه المشرق والمفيد من الحضارة الغربية وتمزيق الغشاوة التي ضربت علي الشرقيين، فهو يثني علي كل عمل مفيد يصل العربية بتيـار الأفكار الحديثة الواردة من أوربا من علوم وفنون وآداب.

وقد شجع علي ترجمة كل ما هو مفيد من علوم وآداب غربية للاستفادة منهـا، فعنـدما ترجم سليم البستاني "إلياذة هوميروس" إلي العربية أشاد الامام محمد عبده بهذا العمل، كما أشاد أيضا بتعريب حافظ ابراهيم "البؤساء" لفيكتور هيجو، وترجمة حنين نعمة الخـوري لكتـاب "السياسة وتاريخ التمدن" للوزير الفرنسي جيزو وسماه المترجم التحفة الأدبية.[٧٥]

فالترجمة في نظر الامام ضرورة ثقافية وخاصة في ميدان العلوم والآداب، لأن إنتاجنـا في هذا المجال لا يزال ناقصا في نوعه قاصرا في بيانه، والترجمة الـصحيحة للآثـار الفنيـة الوافدة من الغرب، لا تنقل أفكار المؤلف وحدها عن الأصل وإنما تنقل مع ذلك إشراقة روحـه وسمو إلهامه ونمط تفكيره.[٧٦]

وفي محاولته لربط الاسلام بالمعاصرة، ربط بعض الأفكار الاسلامية بالأفكار الحديثـة، فقد أقام علاقة بين فكرة المصلحة في الاسلام، وفكرة المنفعة التي كتب عنها "بنتام"، كما أوجـد صلة بين مبدأ الشوري في الفكر الاسلامي وبين الأفكار الديمقراطية في الفكر السياسي الغربي، كما ربط بين فكرة الاجماع في الفكر الاسلامي ومفهوم الرأي العام في الفكر الغربي.[٧٧]

ونخلص من ذلك أن التربية وفقا لآراء الاستاذ الامام محمد عبده وهـي تحـاول بنـاء الشخصية، يجب أن تقوم بوظيفتين: أولهما صيانة التراث الثقافي صيانة ببصيرة عاقلة، واستبعاد الشوائب العالقة به، وثانيهما: تحقيق التوافق والتفاعل بين عناصر تراثنا وبين ما هو نافع ومفيد من المدنية الحديثة واستخراج الوحدة العضوية التي تضم هذين الجانبين في بناء واحد، وهكـذا جمع محمد عبده بين رصانة التراث ومرونة الحداثة.



ب- التجديد في اللغة

اللغة في أي ثقافة ولو أنها ناتج من نواتج الفكر الانساني، إلا إنها في الوقت نفسه أداة من أهم أدواته، فهي وسيلة للتعبير عن الأفكار ونقلها من مكان لآخر ومن جيل إلي جيل وتسجيلها بحيث يستفيد الخاف من السلف.

وكلما كانت اللغة غنية منطقية مرنة، استطاعت أن تعبر عن مختلف الأفكار والمعاني سواء ما يتعلق منها بالأمور المحسوسة أو المجردة، ومن هنا تسعي المجتمعات من خلال مؤسساتها التربوية والثقافية إلي الارتقاء بلغتها باعتبار أنها من العوامل الأساسية في تحقيق الوحدة والتماسك بين الأفراد.

ويرغم ما بذل من جهود لتحديث التعليم والثقافة في مصر خلال القرن التاسع عشر إلا أن اللغة العربية لم تستطع مواكبة التقدم العلمي الهائل في كافة مجالاته، فاختلطت العامية بالكلمات العربية وغلبت المحسنات البديعية علي أساليب الصحافة والمؤلفات والمعاملات الحكومية.

ولما احتلت انجلترا مصر سنة ١٨٨٢، عملت علي القضاء علي اللغة العربية في البلاد بجعل اللغة الانجليزية هي لغة التعليم الرسمية لتفتيت الوحدة الوطنية، واتهم الانجليز اللغة العربية الفصحي بالقصور والضعف والتخلف، وزعموا أن اللغة العامية الدارجة هي مصدر الترقي وعملوا علي ترويجها. (٧٨)

ونتيجة لذلك أحس المصلحون ومنهم الاستاذ الامام محمد عبده بالخطر الداهم علي اللغة العربية، ورأي أن مؤسسات التربية والثقافة ينبغي أن تقوم بدور فعال لاصلاحها وتجديدها.

كان الاستاذ الامام يري أن من أهم أهداف مؤسسات التربية والتعليم وأجهزة الثقافة التوجه إلي إصلاح اللغة العربية وتطويرها، فاللغة العربية هي أساس فهم الدين، وأن حياة المسلمين بدون إصلاح لغتهم من المحال، فإصلاح اللغة غاية ينبغي أن تعمل مؤسسات التربية وأجهزة الثقافة علي تحقيقها لأنها وسيلة لاصلاح الدين.

وفي كلمته التي ألقاها في تونس علي ملأ عظيم من العلماء والفضلاء قال: "إن إصلاح لساننا هو الوسيلة المفردة لاصلاح عقائدنا، وجهل المسلمين بلسانهم هو الذي صدهم عن فهم ما جاء في كتب دينهم وأقوال أسلافهم، ففي اللغة العربية الفصحي من ذخائر العلم وكنوز الأدب ما لا يمكن الوصول إليه إلا بتحصيل ملكة اللسان". (٧٩)

وانتقد الامام محمد عبده أساليب اللغة العربية في عصره، سواء ما كان ينشر منها في الصحف أو ما يكتب في المؤلفات المدرسية والتراجم أو ما يدون في المخاطبات الرسمية بين دواوين الحكومة ومصالحها، مبينا عدم جودتها من حيث الشكل والمضمون، حيث يقول: "إن هذا

النوع من الكلمات لم يراعوا في كتابته إلا رقة الكلمات، وتوافق الجناس، وانسجام السجع وما يشبه ذلك من المحسنات اللفظية، وإن كانت العبارات خلوا من المعاني الجليلة".[٨٠]

وقد نادي بتخليص اساليب اللغة العربية من هذه العيوب والعودة إلي أساليب اللغوية العربية الأصيلة مع تطويعها لظروف العصر "إذا عدنا إلي الجيد من اساليب اللغة العربية في التعبير، والالتزام الأمثل بقواعدها مع تطويعها للمضامين الحديثة، بلغت لغتنا في العصر الحديث طورا جديدا تخطت به طور الركاكة الذي عاشته في عصورها المظلمة وعرفت فيه من الشكليات والزخارف والمحسنات". [٨١]

وقد أسهم محمد عبده في تطوير أسلوب أدب المقالة الصحفية وجدد أساليب التأليف عندما تولي إدارة المطبوعات وتحرير الجريدة الرسمية ودعا إلي تطوير دار العلوم للنهوض باللغة العربية. [٨٢]

ونتيجة محاولة الاحتلال القضاء علي اللغة العربية الفصحي وترويج العامية أدرك الامام محمد عبده أن الحاجة ماسة إلي هيئة توليها العناية مثل ما توليه الأكاديمية الفرنسية للغة الفرنسية من عناية، فتقوم بإعداد المعاجم اللغوية الحديثة وتدرس تاريخ اللغة وتقوم بتتبع المصطلحات الجديدة. وقد تبني محمد عبده هذه الفكرة واشترك في أول اجتماع عقد بمصر لخدمة اللغة العربية وآدابها، وتقرر فيه إنشاء المجمع العلمي الذي عرف "بمجمع البكري" (١٨٩٣) وكان نائبا لرئيسه، واشترك في وضع عدد من الكلمات العربية الفصحي، كما شارك في أنشطة هذا المجمع ومناقشاته. [٨٣]

ولما طرحت فكرة هذا المجمع جانبا، وتشتت شمل أعضائه ومريديه كون الإمام محمد عبده في عام (١٩٠٠) جمعية إحياء العلوم العربية بهدف إحياء اللغة وإصلاح أمورها وتحقيق كتب التراث القيمة، وقام الرجل بجهد الريادة في هذا الحقل بعد أن كان وقفا علي المستشرقين، ونظرة إلي الكتب التي نهض بتحقيقها وتصحيحها وشرحها وفق أسلوب علمي، وتلك التي وضعها في جداول "جمعية إحياء الكتب العربية"، ترينا أنه كان صاحب نظرة شاملة إلي هذه القضية، ففي اللغة نلتقي بجهده مع العلامة (الشنقيطي) في إخراج "المخصص" لابن سيده، وهو من الأمهات في هذا الباب، وفي البلاغة نلتقي بكتابي الجرجاني "أسرار البلاغة" و "دلائل الاعجاز" وعندهما وقفت البلاغة العربية قبل عصر الانحدار، وفي الفقة نلتقي بكتاب "البصائر النصيرية" للطوسي، وفي الأدب نلتقي بكتاب "نهج البلاغة" لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب.[٨٤]

إن مؤسسات التربية وأجهزة الثقافة – في نظر الامام محمد عبده- ينبغي أن تستهدف تجديد اللغة وإحياء التراث وإعلاء شأن اللغة العربية كوسيلة تربطنا بمعتقداتنا وتراثنا وكأداة

تسهم في تحقيق الوحدة والتماسك بين أفراد الأمة، كما كان يريد لتراث هذه الأمة أن يسهم في تربية شبابها وتثقيفه، وأن يقدم لحاضرها ومستقبلها الغذاء الصالح للنمو.

ج- الحوار مع الآخر

إن قضية الحوار مع الآخر تعد من أهم قضايا الألفية الثالثة المثارة علي الساحة الدولية، فالآخر هو الفرد أو المجتمع الذي يتسم بثقافة وحضارة أخري مختلفة عن ثقافتنا وحضارتنا، ولكنه يشترك معنا في الانسانية.

وتلعب التربية دورا هاما فيما نسميه اليوم بحوار الثقافة مع الآخر، حيث تسهم في تنمية قيم واتجاهات التفاعل والمشاركة بين الأفراد والأمم والشعوب وتحقيق التفاهم والسلام العالمي.

والمتأمل في تاريخ الانسانية يتبين له بوضوح أنه برغم وجود صراع وحروب بين الأمم والشعوب المختلفة خلال عصور التاريخ المختلفة، إلا أنه في نفس الوقت كان هناك تفاعل بين الحضارات، فقد تأثرت الحضارة الاغريقية بالحضارة الفرعونية وحضارات الشرق القديم، وتاثر الفلاسفة المسلمون بالأفكار والآراء الفلسفية لفلاسفة اليونان القدامي أمثال أفلاطون وأرسطو وغيرهم، كما تأثرت أوربا بالفلاسفة المسلمين في عصور ازدهارهم ونهضتهم الكبري.

إن ثقافة الحوار تتعرض الآن لأزمة في عالمنا المعاصر، فقد تصاعد الحديث في الآونة الأخيرة عن الصراع الحتمي بين الثقافات والحضارات المختلفة وهي قضية فجرها المفكر الامريكي (صمويل هيتنجتون) عندما تنبأ في كتابه المشهور (صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي) بأن الحروب المقبلة في القرن الحادي والعشرين حروبا ثقافية لا محالة، وإن الاسلام هو العدو الحقيقي للغرب بعد زوال الخطر السوفيتي، وأنه يحمل في داخله عوامل الضعف والتخاف والجهل.

وبرغم تصدي عدد من المفكرين لهذه الفكرة إلا أنها تزداد شيوعا وتطرفا وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر عام (٢٠٠١) وانفجارات لندن في ٧ يوليو (٢٠٠٥).

إن الأمر يتطلب قيام الدول الاسلامية بدفع هذه الفكرة ورفضها وذلك لا يتحقق إلا بدعم ثقافة الحوار مع الآخر من خلال مؤسسات ومنظمات التربية والثقافة والاعلام.

ويعد الاستاذ الامام محمد عبده من الرواد الذين كان لهم السبق في التأكيد علي أهمية الحوار بين ثقافات الأمم والشعوب، لقد آمن بالانفتاح الثقافي وأدرك مبكرا أن الثقافات تتواصل وأن الحضارات تتكامل، فكان مثالا رفيعا لرجل الدين الذي نفتقده الآن، وأقام شبكة قوية من العلاقات الفكرية والأكاديمية مع أبرز شخصيات عصره مما يدل علي تفتحه المبكر واستنارته

الشاملة، كان يستهدف إجراء مصالحة بين أصحاب الديانات، أليس هو القائل: "لقد وجدت في فرنسا إسلاما بغير مسلمين بينما تركت في بلادي مسلمين بغير إسلام". [٨٥]

فلقد أدهشه صدق الآخر وأمانته مع نفسه ومع غيره حتي استكشف ببصيرته الجوانب المتميزة في حضارة الغرب، ولم يقف منها موقف العداء، بل تفاعل معها في ندية وذكاء لكي يكمل الحلقة المتينة التي بدأها رفاعة الطهطاوي وحتي يكتمل العقد الفريد من رموز الاصلاح والتنوير التي انطلقت من مصر لتشيع علي العالمين العربي والاسلامي.

من الشخصيات البارزة التي أقام الامام محمد عبده معها علاقة ثقافية الفيلسوف الانجليزي "هربرت سبنسر" وقد بدأت هذه العلاقة بترجمة محمد عبده لكتاب سبنسر وعنوانه "التربية " من أصول فرنسية، والغريب في أمر ترجمة هذا الكتاب أن سبنسر في هذا الكتاب يضع العلم في الصدارة ويسند الأخلاق إلي اللذة والألم ويقر بأن المطلق الكامن وراء الظواهر سيظل مجهولا، ذلك أن موضوعات المعرفة الانسانية كلها مشروطة، والمشروط هو نهاية المطاف للعقل لأن العقل لا يستطيع مجاوزة المشروط إلي اللامشروط الذي هو المجهول أو اللامعروف[٨٦]، ومع ذلك يترجم محمد عبده هذا الكتاب برغم أن جانبا كبيرا من أفكاره يتعارض مع أفكار الاستاذ الامام، فالأخلاق عند الاستاذ الامام تستند إلي الدين وليس إلي اللذة والألم كما كان يري سبنسر، وإذا كان سبنسر يري أن المطلق الكامن وراء الظواهر سيظل مجهولا إلا أن محمد عبده يري أنه لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن من اسم ا ووحدانيته وصفاته وقدرته وعلمه.

وفي ١٠ اغسطس ١٩٠٣ رحل محمد عبده إلي انجلترا لمقابلة هربرت سبنسر في منزله بمدينة بريتون وكان برفقته المستشرق الانجليزي الفريد بلنت الذي كانت تربطه علاقة وثيقة بمحمد عبده منذ عام ١٨٨١ سجلها بلنت في كتابه المشهور والمترجم إلي العربية وعنوانه "التاريخ السري للاحتلال الانجليزي"، وفي تقديم لكتابه يقول بلنت: "إنه لولا توجيهات محمد عبده لما ظهر هذا الكتاب علي النحو الذي ظهر به "، وقد أرسل سبنسر عربته لاستقبال الاستاذ الامام في محطة بريتون، ويحكي لنا بلنت ما دار في هذه الزيارة فيقول: إن الحديث انتقل إلي الفلسفة ووجه سبنسر إلي المفتي هذا السؤال: هل صحيح ان الفكر في الشرق يتطور علي نفس الأسس التي يتطور فيها الفكر في أوربا؟ فأجاب محمد عبده بأن ما تعلمه الشرق من الغرب شره أكثر من خيره، ولكن ما زال أفضل الفكر وأكثره استنارة واحد عند الاثنين (الشرق والغرب). [٨٧]

وحين سأله عن مفهوم ا في العقيدة الاسلامية ذكر له الامام محمد عبده عقيدة أهل السنة وعقيدة المتصوفة القائلين بوحدة الوجود، ثم ذكر له ان بعض فرق التصوف الاسلامي

تعتقد ان الله وجود محض وليس شخصا، واغتبط سبنسر وأردف قـائلا: مـن الواضـح أنكـم لاأدريون من نوع اللا أدرية في أوربا. (٨٨)

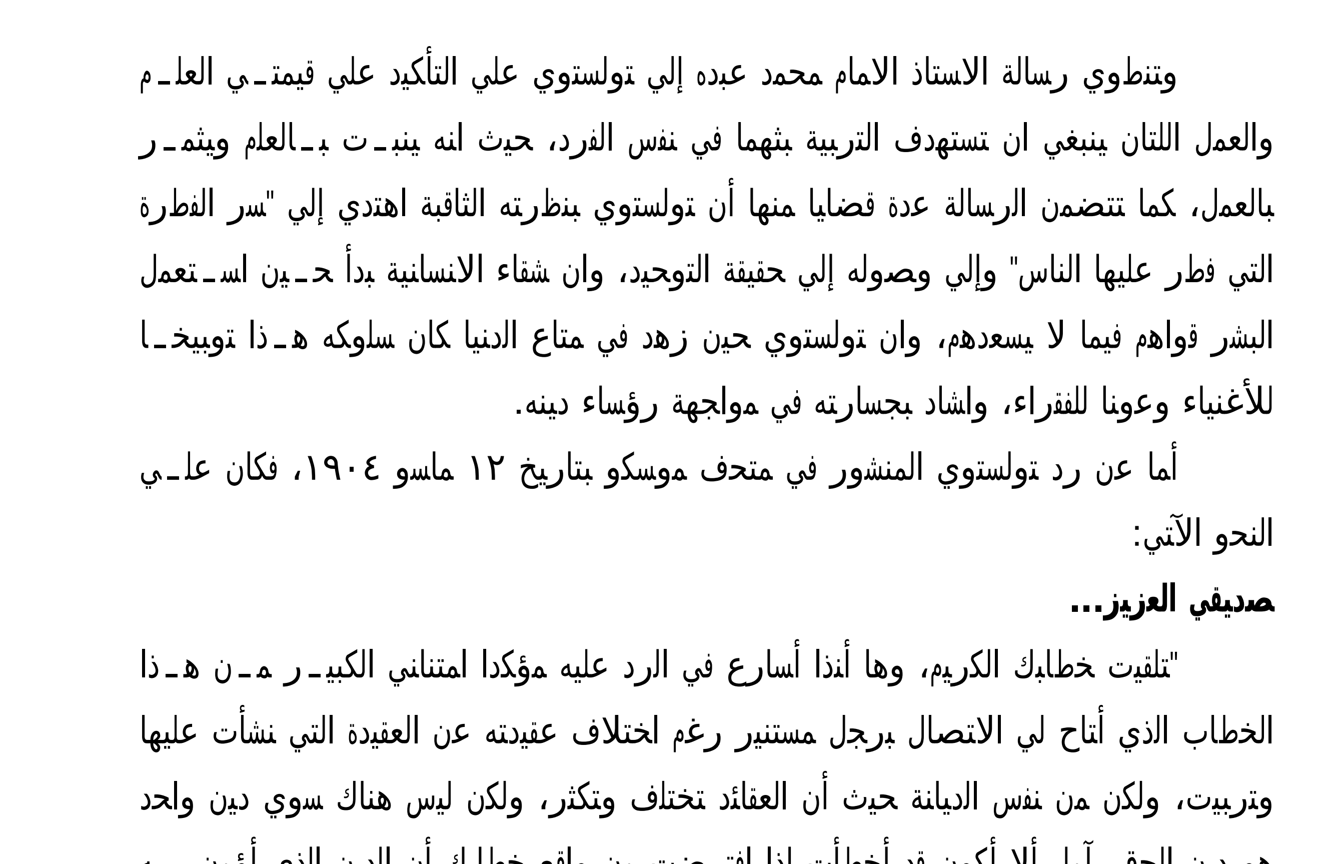
ومن مظاهر العلاقات الثقافية للاستاذ الامام محمد عبده تلك الرسائل المتبادلة بينه وبين أديب روسيا الخالد "تولستوي" والتي اكتشفها الدكتور مراد وهبة حين كان يعمل أسـتاذا زائـرا بجامعة موسكو ١٩٦٨ حيث وجد رسالة من الامام محمد عبده بتاريخ ١٩٠٤/٤/٨ مع ترجمتها بالانجليزية ورد تولستوي عليها بتاريخ ١٩٠٤/٥/١٢ بمتحف تولوستوي فـي موسـكو، وقـام بنشرها بكتابه "مدخل إلي التنوير" مثبتا وجود علاقة فكرية مكتملة بين هذين المفكرين الكبيرين تؤكدها مثل هذه الرسائل، وقد تم ارسال رسالة الامام بواسطة مستشرق انجليزي اسمه (س-ك-كوكوريل)، وقام بترجمة الرسالة إلي الانجليزية (آن بلنت) زوجة المستشرق الانجليزي (الفريد بلنت) وصديقة المفتي ومقيمة بجواره في عين شمس وهذا هو نص الرسالة:

أيها الحكيم الجليل تولستوي...

"لم نحظ بمعرفة شخصك ولكننا لم نحرم التعارف بروحك، سطع علينـا نـور مـن أفكـارك، وأشرقت في آفاقنا شموس من آرائك، ألفت بين نفوس العقلاء ونفسك، هداك الله إلي معرفة سر الفطرة التي فطر الناس عليها، ووفقك إلي الغاية التي هدي البشر إليها، فأدركت ان الانسان جاء إلي هذا الوجود لينبت بالعلم ويثمر بالعمل، وان تكون ثمرته تعبا ترتاح به نفسه وسـعيا يبقـي ويرقي به جنسه، وشعرت بالشقاء الذي نزل بالناس لما انحرفوا عن سنة الفطـرة، واسـتعملوا قواهم التي لم يمنحوها إلا ليسعدوا فيما كدر راحتهم وزعزع طمأنينتهم، نظرت نظرة في الدين مزقت حجب التقاليد، ووصلت بها إلي حقيقة التوحيد، ورفعت صوتك تدعو الناس إلي ما هداك الله إليه، وتقدمت أمامهم بالعمل لتحمل نفوسهم عليه، فكما كنت بقولك هاديا للعقول كنت بعملـك حاثا للعزائم والهمم، ولما كانت آراؤك ضياء يهتدي به الضالون، كان مثالك في العمـل إمامـا يقتدي به المسترشدون، وكما كان وجودك توبيخا من الله للأغنياء، كان مددا من عنايته للفقراء، وإن أرفع مجد بلغته وأعظم جزاء نلته علي متاعبك في النصح والارشاد هو هذا الـذي سـموه بالحرمان والابعاد، فليس ما كان إليك من رؤساء الدين سوي اعتراف منهم وأعلنوه للناس بأنك لست من القوم الضالين، فاحمد الله علي أن فارقوك باقوالهم كما كنت فـارقتهم فـي عقائـدهم وأعمالهم، هذا وان نفوسنا لشيقة إلي ما يتجدد من آثار قلمك فيما تستقبل من أيام عمرك، وإنـا لنسأل الله ان يمد في حياتك ويحفظ عليك قولك ويفتح أبواب القلوب لفهم مـا تقـول ويـسوق النفوس إلي الاقتداء بك فيما نعمل والسلام". (٨٩)

مفتي الديار المصرية

محمد عبده



وتنطوي رسالة الاستاذ الامام محمد عبده إلي تولستوي علي التأكيد علي قيمتي العلم والعمل اللتان ينبغي ان تستهدف التربية بثهما في نفس الفرد، حيث انه ينبت بالعلم ويثمر بالعمل، كما تتضمن الرسالة عدة قضايا منها أن تولستوي بنظرته الثاقبة اهتدي إلي "سر الفطرة التي فطر عليها الناس" وإلي وصوله إلي حقيقة التوحيد، وان شقاء الانسانية بدأ حين استعمل البشر قواهم فيما لا يسعدهم، وان تولستوي حين زهد في متاع الدنيا كان سلوكه هذا توبيخا للأغنياء وعونا للفقراء، واشاد بجسارته في مواجهة رؤساء دينه.

أما عن رد تولستوي المنشور في متحف موسكو بتاريخ ١٢ ماسو ١٩٠٤، فكان علي النحو الآتي:

صديقي العزيز...

"تلقيت خطابك الكريم، وها أنذا أسارع في الرد عليه مؤكدا امتناني الكبير من هذا الخطاب الذي أتاح لي الاتصال برجل مستنير رغم اختلاف عقيدته عن العقيدة التي نشأت عليها وتربيت، ولكن من نفس الديانة حيث أن العقائد تختلف وتكثر، ولكن ليس هناك سوي دين واحد هو دين الحق، آمل ألا أكون قد أخطأت إذا افترضت من واقع خطابك أن الدين الذي أؤمن به هو دينك الذي يرتكز علي الاعتراف با   وشريعته في حب الغير، وأن نتمني للغير ما نتمناه لانفسنا، واعتقد ان جميع المبادئ الدينية تندرج تحت هذا المبدأ كاليهودية والبرهمية والبوذية والمسيحيين والمحمديين.

واعتقد أنه كلما ازدادت العقائد في الأديان وامتلأت بالمعجزات، ساعدت علي تفرقة البشر، وخلقت العداوات، وعلي العكس كلما كانت الأديان بسيطة، اقتربت من هدفها المثالي وهو وحدة الناس جميعا، وهذا ما جعلني اقدر خطابك وأود استمرار اتصالي بك.

ما رأيك في عقيدة الباب؟

ومذهب بهاء ا   وأنصاره؟

وتقبل مني يا عزيزي المفتي محمد عبده كل التقدير والاحترام".(٩٠)

ليون تولستوي

١٢ مايو ١٩٠٤

وطبيعي أيضا أن يتضمن رد تولستوي علي الاستاذ الامام محمد عبده بعض القضايا التي منها ان الأديان المختلفة إذا اعترفت بوحدانية ا ، فالتابعون لها غير مختلفين، وأن تولستوي يؤمن بالدين الذي يؤمن به محمد عبده وهو الدين الاسلامي، لأنه يرتكز علي الاعتراف بوجود ا   وشريعته في حب الغير، وأن الأديان كلما كانت بسيطة خالية من المعجزات الكثيرة اقتربت من هدفها المثالي وهو وحدة الانسانية.

أما عن التساؤلات التي تدور حول البابية والبهائية فلم يقدر للامام محمد عبده الرد عليها نظرا لوفاته.

وبعد فلعل تتبع مثل هذه العلاقة بين مفكرين كبيرين كالامام محمد عبده والأديب الروسي تولستوي تعد نموذجا للحوار الثقافي الرفيع وواحدة من جذور العلاقات الثقافية القوية التي تربط بين مصر وروسيا.

ومن العوامل التي ساعدت علي براعة الامام محمد عبده في الحوار الثقافي مع الآخرين تعمقه واتقانه للدراسات المقارنة للأديان السماوية والتي أبلي فيها بلاء حسنا وأدار من خلالها حوارا مع بعض المتشككين الذن حاولوا زعزعة عقيدة المسلمين، وكان من المفروض علي الأزهر ان يواجه هذه التيارات الهدامة بالحجج القارعة ويبين ما تحتوي عليه من اسانيد باطلة، ولكن عزلة الأزهر خلال تلك الفترة وعدم انفتاحه علي العالم المعاصر جعله يقف موقف سلبيا تجاه هذه التيارات.

فقد زعم "جابريل هانوتو" المؤرخ الفرنسي الشهير (١٨٥٣- ١٩٤٤) أن حالة التأخر التي يعاني منها المسلمون ترتد في نهاية التحليل إلي العقيدة الدينية نفسها، إذ في الوقت الذي أنتجت فيه المسيحية المدنية الحديثة برمتها، فلم ينتج الاسلام إلا تقهقرا وانحطاطا، وفي رأيه ان العقيدتين الأساسيتين اللتين يمكن ان يعزي اليهما هذا الانحطاط هما عقيدة التوحيد الخالص وعقيدة القدر، فعقيدة التوحيد بتقريرها للعظمة والقدرة اللامتناهيتين والعلو المطلق تضع الانسان في درك الوجود وتدفعه بالتالي إلي إهمال شئون نفسه، وبث القنوط في فؤاده، وإيهان عزيمته في الدنيا، أما عقيدة القدر فإنها تلغي إرادة الانسان وتشل فاعليته.[٩١]

وقد كان رد الاستاذ الامام محمد عبده عليه حاسما ومنطقيا ومقنعا، فهو يري انه ليس ثمة علاقة بين الدين المسيحي والمدنية الحاضرة، لأن الإنجيل امر أهله بالانسلاخ في الدنيا، كما عاب القرآن الكريم صراحة علي أهل الجبر، وأثبت الكسب والاختيار في نحو أربع وستين آية، وأن التنزيه الاسلامي لا يعني إطلاقا قطع الصلة بين العبد وربه، فقد ألغي ا سبحانه وتعالي كل واسطة بينه وبين العبد، وجعل الانسان مستعدا للوصول بملكاته إلي مقام الألوهية والنبوة، كما أن الاسلام ليس ديانة روحية مجردة خالصة، وإنما هو دين حياة يحث الناس علي جلائل الأعمال الدنيوية والأخروية علي السواء، وهذا هو ما أتاح له بناء مدينة شاملة، أليس يكفي للتنويه بدوره ما قرره احد المسيحيين الغربيين حين قال:

"أقامت النصرانية في الأرض ستة عشر قرنا ولم تأت بفلكي واحد، وأخذ المسلمون يبحثون في هذه العلوم بعد وفاة نبيهم ببضع سنين".[٩٢]

وقد أثار فرح انطون من خلال مجلته (الجامعة) الصادرة في القاهرة عدة قضايا معادية للاسمام تتمثل فيما يلي:

- ضرورة الأخذ بمبدأ العلمانية الذي يقوم علي فصل الدين عن الدولة.
- أن الإسلام لم يكن متسامحا مع العلم تسامح المسيحية وأن الاسلام أكثر اضطهادا للعلم والفلسفة من المسيحية.
- ضرورة الفصل بين الدين والعلم بحجة أن العلم يوضع في دائرة العقل لأن قواعده مبنية علي المشاهدة والتجربة، اما الدين فيوضع في دائرة القلب لان قواعده مبنية علي التسليم بما ورد في الكتب من غير فحص في أصولها، ومع ذلك فإن لكل منهما دائرة يتحرك فيها بحرية كما يشاء دون أن يكون احدهما تابعا للآخر.[٩٣]

أما رد الاستاذ الامام عليه فكان علي النحو الاتي:

"بالنسبة للأخذ بمبدأ العلمانية الذي يقوم علي فصل الدين عن الدولة فهو أمر غير مرغوب فيه بل هو أمر محال بدعوي أن الحاكم ينبغي ان يكون له دين معين، فكيف يحرر نفسه من تأثيره؟ كما أن الأجسام التي يدبرها الحاكم هي نفس الأجسام التي تسكنها الأرواح التي يدبرها رؤساء الدين، فكيف يمكن الفصل بين السلطتين!!؟"

بالنسبة لادعاء فرح انطون ان الاسلام لم يكن متسامحا مع العلم تسامح المسيحية، **فقد رد عليه الامام قائلا:**

"ألا يكفي ان الكاتب نفسه قد استطاع أن ينشر عن الاسلام ما نشره في مجلته في بلد مسلم دون أن يتعرض له احد بأذي" كما دلل علي تسامح المسلمين مع أهل العلم وخاصة العلماء النصاري مثل "يوحنا البطريق وحنين بن اسحق وقسطا بن لوقا وأبو الفرج بن الطيب"، ولم يوجد في التاريخ ذكرا للعلم والفلسفة بعد ظهور المسيحية إلا في المنازعات التي كان يفصل فيها تارة بسلطان الملوك وأخري بمجمع المجامع ومحاكم التفتيش، وثالثا بسفك الدماء فتخمد شعلة العلم وينتصر الدين.[٩٤]

وفيما يتعلق بتعارض الدين مع العلم وضرورة الفصل بينهما – كما يري فرح انطون- فقد أبرز الامام ان هذا التعارض يعد من أصول المسيحية فمن أصول المسيحية الايمان بالخوارق وهذا يتعارض مع العلم، كما تدعو المسيحية إلي التجرد من الدنيا والانقطاع إلي الآخرة، والعلم لا شأن له بأمور الآخرة، كما تري المسيحية ان الايمان منحة لا دخل للعقل فيها بينما يعتمد العلم علي العقل.

أما الاسلام فمن أصوله النظر العقلي الذي هو وسيلة الايمان الصحيح، وتقديم العقل علي ظاهر الشرع عند التعارض بينهما، وتنبيه العقل وتوجيهه إلي النظر في الكون، واستعمال

القياس الصحيح، والرجوع إلي ما حواه الكون من نظام وتعاقب في الأسباب والمسببات، والاعتبار بالوقائع التاريخية والطبيعية الوضعية من أجل استنباط سنن الكون وقوانينه والافادة منها في حياة المؤمنين، وقد ترتب علي ذلك انطلاق المسلمين إلي الآفاق واتقانهم العلوم الأدبية والعقلية والكونية وانشائهم دور الكتب العامة والخاصة والمدارس ليصلوا في النهاية إلي مرحلة الاكتشافات القائمة علي التجربة والمشاهدة.[٩٥]

وقد رد الامام محمد عبده علي اتهام "رينان" (١٨٢٣- ١٨٩٢) للاسلام بالجمود مبينا ان الاسلام ليس دين الجمود، فهو دين يأخذ بيد العلم ويلتقي فيه العقل مع الوجدان الصادق، ويتحدان في الوجهة بمقتضي الفطرة والغريزة....العقل ينظر في الغايات والأسباب والمسببات والبسائط والمركبات، والوجدان يقع علي مشاهدات الحس الباطن.. وأن اقتصار الدين علي أحد هذين الأمرين يسقط احدي قائمتيه، أما التخالف بين العقل والوجدان، فلا يعني الا شرخا قد أصاب الفرد فحول الانسان إلي انسانين والوجود إلي وجودين.

أما ما أصاب المسلمين من جمود فيرجع من وجهة نظره إلي سببين:

الأول : ما أثارته العناصر الشعوبية العربية من عقائد وآراء متطرفة ساكنت أفئدة المسلمين وطمست حقيقة الاسلام الجوهرية.

والثاني : ما حل بالأمة الاسلامية بوجود الحكم التركي الذي اعتبر حكامه المعرفة هي عدوهم الأكبر لأنها تكشف عن عيوبهم، وأن الاسلام سيتخطي حالة الجمود لان علة الجمود عارضة ستزول، ولأن الشدائد والقوارع التي حلت بدياره لن تلبث ان تنبه أهله من غفلتهم وسباتهم.[٩٦]

وهكذا يعد الامام محمد عبده رائد ثقافة الحوار مع الآخر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، لقد كانت كتاباته ومراسلاته سجلا للحياة الفكرية في تلك الفترة واعتمدت علي الأدلة العقلية ولم يقف عند حدود الأدلة النقلية في ردوده علي دعاوي المستشرقين والمعنيين بدراسة الاسلام ومقارنة الأديان.

وما أحوجنا اليوم إلي إحلال ثقافة الحوار محل ثقافة التلقين في جميع مؤسساتنا التربوية والمجتمعية بمختلف مستوياتها، لأن الانسان الذي يربي علي هذا الأسلوب، يتكون لديه القدرة علي الابداع والاحساس بالانتماء، لأنه يشارك الآخرين في الآراء فيتسم فكره بالمرونة حيث يتقبل تنوع واختلاف الرؤي ويتعود علي التحليل الدقيق، فلا يتيح للأخطاء ان تمر مرور الكرام بل يقوم بتصحيحها.

وإذا كان الاسلام في نظر الغرب في الوقت الحاضر يقترن بالارهاب، فضلا عن جهل وعدم معرفة الكثير من الأوربيين والأمريكيين بحقيقته، فإنه من الضروري إعـداد دعـاة مـن طراز الاستاذ الامام محمد عبده، خبراء في دراسة الأديان المقارنة واتقـان اللغـات الأجنبيـة ينهجون نهج الامام محمد عبده في تعريف الشعوب غير الاسلامية بحقيقة الاسلام، وانـه ديـن يدعو إلي السلم والتآخي والحوار مع الآخر والتعايش السلمي معه كما جاء في كثير من آيـات القرآن الكريم "وجادلهم بالتي هي أحسن" (النحل: ١٢٥)، "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن" (العنكبوت، ٤٦).

إن الحوار مع الآخر من منظور اسلامي يخضع لثوابت وأصول حـددها لنـا القـرآن الكريم، ومن أهمها الانصات لما يقول الآخر والاهتمام به وعدم مقاطعته وهو يعـرض وجهـة نظره، وعدم تسفيه آرائه، وعدم سبه وقذفه بالشتائم والألفاظ البذيئة كما علمنا القرآن الكريم (لا يحب ا الجهر بالسوء من القول) (النساء: ١٤٨)، كمـا يكـون الجـدال بـصوت مـنخفض (واغضض من صوتك، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) (لقمان: ١٩).

لقد أصبح من واجب المسلمين وخاصة المسلمين المقيمين في الدول الأوربية والأمريكية أن يتكاتفوا وينشطوا في مجال طرح مبادرات جديدة تهدف إلي تحقيق نتائج مثمرة فـي مجـال حوار الحضارات لمواجهة التحديات العصرية من منطلق جديـد، آخـذين فـي الاعتبـار درء الشبهات ومحو الاتهامات وتصحيح المفاهيم المغلوطة، والتعريف بالأسس الإسلامية الرئيـسية الراسخة التي يجهلها الأوربيون والأمريكيون.

د- النقد ومنهجه

النقد ضرورة لازمة في حياة المجتمعات، وللنقد مفاهيم متعددة، فتمييز الجيد من الردئ يسمي نقدا، والتعرف علي العيوب والحرص علي إذاعتها يسميها العرب نقدا، واختلاس النظـر إلي الشئ أو تمحيصه لطرح الزائف والدخيل وإحلال كل ما هو أصيل يسمي نقدا.[٩٧]

إن النظرة الناقدة ضرورة لازمة للفكر سواء أصابت أو أخطأت، وبالفكر ونقده تتجـدد الحياة الفكرية والثقافية وتتولد الأفكار ويتحقق الابداع وينكشف الزيف ليحـل محلـه الـصدق والعمق والأصالة.

ولأجل ان يكون النقد فعالا، لابد ان يستمد أسسه ومعاييره من فلسفة اجتماعية واضـحة مشتقة من اصولنا الثقافية العربية، وأن يتوجه النقد إلي المفاهيم والأفكار الشائعة فـي المجتمـع من أجل تنقيتها، وأن يعالج مختلف قضايا المجتمع سواء كانت تعليمية أو اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية أو سياسية، ولابد من الالتزام بدستور أخلاقي يضمن قيام الناقد بمهمته علـي الوجـه الأكمل.

والنقد عند الاستاذ الامام محمد عبده ظاهرة اجتماعية لا غني عنهـا مطلقـا، فمـا دام الانسان مدنيا بالطبع فهو أيضا ناقد بمقتضي هذا الطبع.

يقول الاستاذ الامام: "الانتقاد فطرة ا التي فطر الناس عليها، أودع في كل ناطق بصرا بشأن غيره أشد إحاطة من بصره بشأن نفسه، ويمكن الانسان من تمييز أحوال الآخر حسنها من قبيحها وفاسدها من صحيحها، ثم دفعه إلي النطق بما ألهمه والقضاء بما أحكمه".(٩٨)

والنقد عنده يدفع إلي تجويد العمل والاجتهاد لاتقانه لهذا اعتد به الإفرنج، فهـو يحـدثنا عنهم "بأنهم يفضلون إظهاره لمعايبهم علي مجرد مدحه لهم وأطرائه".

ثم يقول: "...أما نحن المشارقة، فقد جفت عندنا نار النقد منذ غابت عنا شمس معـارف العرب وعلومهم".(٩٩)

هذه المقارنة السريعة تظهر ما كان عليه النقد في عصره، وأنه في جـوهره دائمـا لا يخلو- في كثير من الأحيان- من التعصب الذي يستر الحقائق والابتعاد عن النقد العلمي القـائم علي الموضوعية.

وهي ينعي باللائمة علي نقاد عصره ممن يحرصون علي تتبع المعايب والإغضاء عـن السمات الحسنة.(١٠٠)

والرغبة في الاصلاح – كما يري الإمام- غاية من غايات النقد أو هـي مـلاك النقـد وعماده، وهنا يكشف لنا مفهوم الإمام للنقد عن مدي وعيه بوظيفة النقد فـي الارتقـاء بـالعلوم والفنون والآداب وإصلاح أحوال المجتمع بما يؤكد وضوح الحس النقدي لديه.

ويشير الامام محمد عبده إلي ان مقياس النقد هو الذوق وهو القدرة علي التمييـز بـين الحسن والقبيح، والفاسد والصحيح، والذوق عنده ملكة راسخة في الـنفس وهـو نتـاج العلـم المكتسب والتدريب، كما انه حاسة تهدي صاحبها إلي جيد القول وتعـين عنـد الحكـم علـي النصوص.

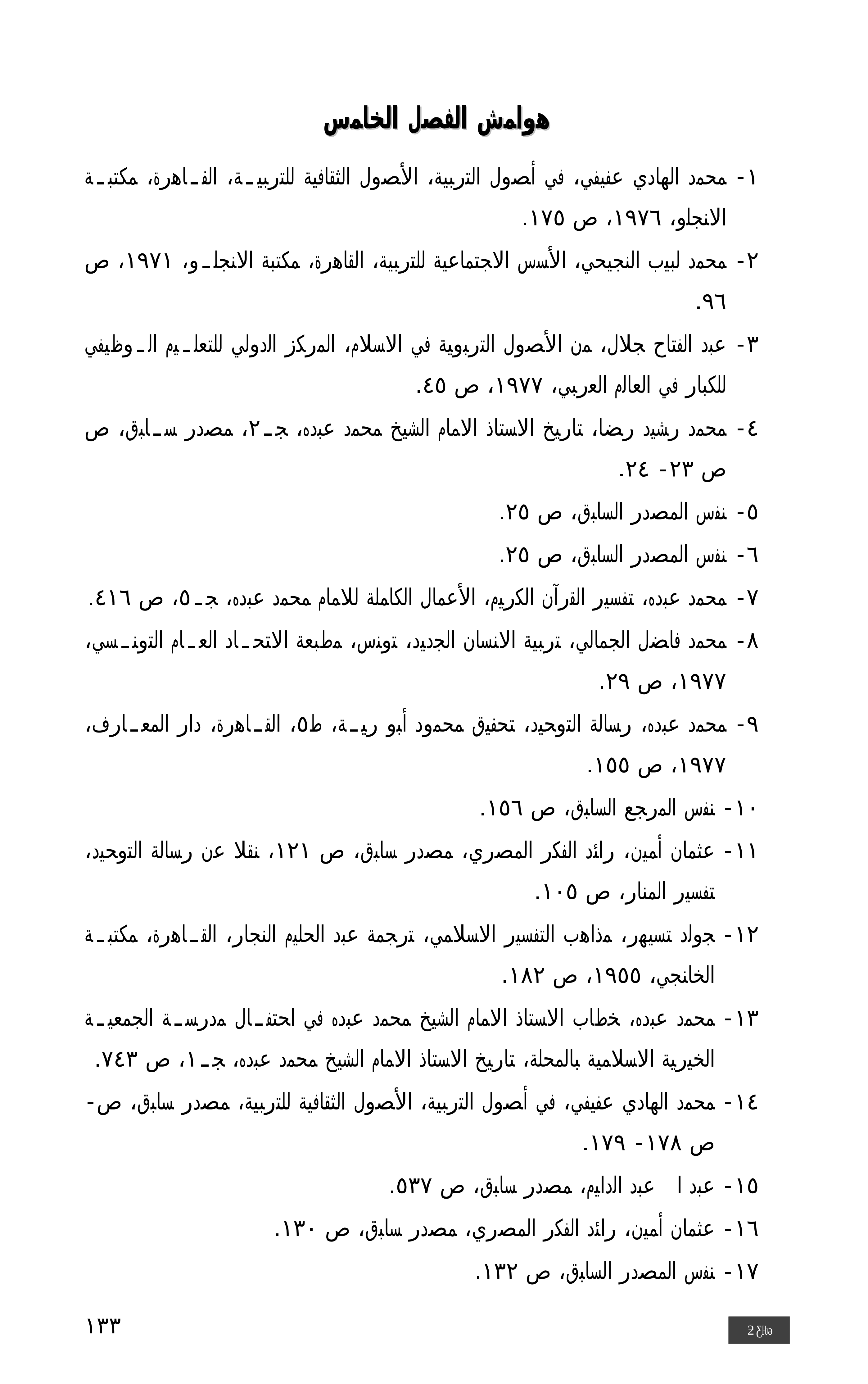
والنقد عند الاستاذ الامام عملية تتضمن الفرز والاختيار والاختبار، كما تتضمن الأخـذ والترك، والناقد بمثابة القاضي أو رئيس جمعية يتأمل النصوص ويرجح بين الأقوال ثم يـصدر الأحكام.(١٠١)

ويضع الاستاذ الامام محمد عبده منهجا محددا للنقد، فالناقد ينبغي أن يكون بصيرا خبيرا يتحري الصدق في القول والاخلاص في النية، منصفا عادلا، باحثا منقبا، قاصرا النظر علي ما قيل، مغضيا عمن قال.(١٠٢)

وهو يري أنه لا يحق للمنتقد أن يحقد علي الناقد إذا أبان معايب تأليفه، ولـم يـسترضه بمدح ذاته وصفاته أو إذا لم يغض عن نقيضة أتاها سهوا أو عمدا.

والنقد عند الاستاذ الامام عملية شاملة تشمل جميع مجالات المجتمع، فقد انتقد الاستاذ الامام ما كان يسود المجتمع المصري من فساد الأخلاق والعادات السيئة كالخرافات والأوهام والشعوذة، كما انتقد ظاهرة تعدد الزوجات والسلبية والتواكل.. وانصب جزء كبير من نقد الامام محمد عبده علي النظام التعليمي في مصر حيث انتقد فلسفة النظام التعليمي التي كانت تنحصر في اطار ضيق وهو اعداد موظفين حكوميين، أما تكوين الطلاب بالتربية لكي يكونوا رجالا صالحين في أنفسهم يحسنون القيام بما يوكل إليهم من أعمال فقد كان ذلك غائبا، كما انتقد أسلوب التعليم في الأزهر الذي كان يقوم علي التلقين والذي ارتكز علي دراسة كتب قديمة عرفت بالمتون والشروح والتقارير، وكان يطبق مقاييس النقد من خلال دراسة دروس التفسير والبلاغة ومن خلال كتب التراث التي قام بشرحها.

وقد حث الاستاذ الامام محمد عبده الناشئين منذ الصغر علي ممارسة النقد والتدرب عليه قائلا: "حركوا أفكاركم وخيالاتكم، وهزوا ألسنتكم وأقلامكم.. إن أحدا ليستطيع ان يجعل لكل يوم صحيفة يقيد فيها ما يمر من الخواطر والملاحظات وما يسترعي نظره من الحوادث، أو يقص فيها ما عمله في يومه".[١٠٣]



هوامش الفصل الخامس

١- محمد الهادي عفيفي، في أصول التربية، الأصول الثقافية للتربية، القاهرة، مكتبة الانجلو، ١٩٧٦، ص ١٧٥.

٢- محمد لبيب النجيحي، الأسس الاجتماعية للتربية، القاهرة، مكتبة الانجلو، ١٩٧١، ص ٩٦.

٣- عبد الفتاح جلال، من الأصول التربوية في الاسلام، المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي، ١٩٧٧، ص ٤٥.

٤- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ٢، مصدر سابق، ص ص ٢٣- ٢٤.

٥- نفس المصدر السابق، ص ٢٥.

٦- نفس المصدر السابق، ص ٢٥.

٧- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٥، ص ٤١٦.

٨- محمد فاضل الجمالي، تربية الانسان الجديد، تونس، مطبعة الاتحاد العام التونسي، ١٩٧٧، ص ٢٩.

٩- محمد عبده، رسالة التوحيد، تحقيق محمود أبو رية، ط٥، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧، ص ١٥٥.

١٠- نفس المرجع السابق، ص ١٥٦.

١١- عثمان أمين، رائد الفكر المصري، مصدر سابق، ص ١٢١، نقلا عن رسالة التوحيد، تفسير المنار، ص ١٠٥.

١٢- جولد تسيهر، مذاهب التفسير الاسلامي، ترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٥٥، ص ١٨٢.

١٣- محمد عبده، خطاب الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في احتفال مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية بالمحلة، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ١، ص ٧٤٣.

١٤- محمد الهادي عفيفي، في أصول التربية، الأصول الثقافية للتربية، مصدر سابق، ص- ص ١٧٨- ١٧٩.

١٥- عبد ا عبد الدايم، مصدر سابق، ص ٥٣٧.

١٦- عثمان أمين، رائد الفكر المصري، مصدر سابق، ص ١٣٠.

١٧- نفس المصدر السابق، ص ١٣٢.

١٨- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٤، مـصدر سابق، ص ٤٤٤.
١٩- محمد عبده، دروس في القرآن الكريم، كتاب الهـلال (٩٦)، القـاهرة، دار الهـلال، مارس ١٩٥٩، ص ١١.
٢٠- محمد عمارة، الامام محمد عبده، مشروع حضاري للاصلاح بالاسلام، مجلة الازهر، اكتوبر ٢٠٠٥، الجزء التاسع، مجمع البحوث الاسلامية، ص 1551.
٢١- نفس المصدر السابق، ص-ص ١٥٥٢- ١٥٥٣.
٢٢- نفس المصدر السابق، ص ١٥٥٤.
٢٣- غريب سيد أحمد، عبد الباسط محمـد عبـد المعطـي، المـنهج والقيـاس، جـ١، الاسكندرية، دار الكتب الجامعية، ١٩٧٤، ص ٧٨.
٢٤- فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، القاهرة، دار الكاتـب العربـي، ١٩٦٩، ص ١٣٢.
٢٥- محمد الهادي عفيفي، أصول التربية، في الأصول الفلسفية للتربيـة، دار المعـارف، القاهرة، ١٩٧٩، ص ١٢٨.
٢٦- فوزية دياب، مصدر سابق، ص ٥٢.
٢٧- نفس المصدر السابق، ص ٥٧.
٢٨- محمد منير مرسي، أصول التربية الثقافية والفلسفية، القاهرة، عـالم الكتـب، ١٩٧٩، ص ٦٥.
٢٩- عثمان أمين، رائد الفكر المصري، مصدر سابق، ص ١٤٢.
٣٠- نفس المصدر السابق، ص ١٤٣.
٣١- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ١، مـصدر سابق، ص ٤٢٥.
٣٢- نفس المصدر السابق، ص ٤٢٦.
٣٣- نفس المصدر السابق، ص ٤٢٨.
٣٤- عثمان أمين، رائد الفكر المصري، مصدر سابق، ص-ص ١٤٢-١٤٣.
٣٥- فوزية دياب، مصدر سابق، ص ٧٤.
٣٦- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٥، مـصدر سابق، ص ٥١٢.

٣٧- محمد منير مرسي، اصول التربية الثقافية والفلسفية، مصدر سابق، ص ٢٧١.
٣٨- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٤، مـصدر سابق، ص ٣٥١.
٣٩- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٥، مـصدر سابق، ص ٥١٢.
٤٠- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٤، مـصدر سابق، ص ٣٥٢.
٤١- عثمان أمين، رائد الفكر المصري، مصدر سابق، ص ٦٨.
٤٢- زكي نجيب محمود، من زاوية فلسفية، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٢، ص ٢٢٢.
٤٣- عثمان أمين، رائد الفكر المصري، مصدر سابق، ص ٦٨.
٤٤- جون ديوي، الخبرة والتربية، ترجمة محمد رفعت رمضان، نجيب اسـكندر، محمـد بدران، القاهرة، مكتبة الانجلو (د.ت)، ص-ص ٤٦-٤٧.
٤٥- محمد عبده، رسالة التوحيد، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ٣٨٦.
٤٦- محمد عبده، تفسير سورة العصر، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٥، مـصدر سابق، ص ٤٦٠.
٤٧- نفس المصدر السابق، ص ٤٦٠.
٤٨- محمد عبده، الاسلام والمسلمون والاستعمار، الرد علي هانوتو، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ٢٠٩.
٤٩- عبد العاطي محمد أحمد، الفكر السياسي للامام محمد عبده، القاهرة، الهيئة المـصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨، ص ١٨٤.
٥٠- فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعة، مصدر سابق، ص ٧٥.
٥١- صالح عبد العزيز، التربية وطرق التدريس، جـ٢، القاهرة، دار المعـارف، ١٩٧١، ص-ص ٣٤٣- ٣٤٤.
٥٢- محمد عبده، رسالة التوحيد، مصدر سابق، ص ٧٨.
٥٣- نفس المصدر السابق، ص ٩٧.
٥٤- نفس المصدر السابق، ص ٦٤.
٥٥- نفس المصدر السابق، ص-ص ٥٩- ٦٣.

٥٦- نفس المصدر السابق، ص ٦٥.
٥٧- محمد عبده، الصور والتماثيل وفوائدها وحكمها، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٢، مصدر سابق، ص- ص ٢٠٤- ٢٠٥.
٥٨- نفس المصدر السابق، ص ٢٠٥.
٥٩- نفس المصدر السابق، ص ٢٠٥.
٦٠- محمد عمارة، الامام محمد عبده، مشروع حضاري للاصلاح بالاسلام، مصدر سابق، ص ١٥٤٥.
٦١- نفس المصدر السابق، ص ١٥٤٦.
٦٢- نفس المصدر السابق، ص ١٥٤٧.
٦٣- نفس المصدر السابق، ص ١٥٤٨.
64- W.G. Smith, Islam In Modern History, New York, 1963, P. 124.
٦٥- حسن حنفي، التراث والتجديد، القاهرة، المركز العربي للبحث والنشر، ١٩٨٠، ص ٢٧١.
٦٦- علي الدين هلال، التجديد في الفكر العربي الحديث، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٧٥، ص ٤٤.
٦٧- احمد محمد خليفة، في المسألة الاجتماعية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٠، ص ٣٦.
٦٨- نفس المصدر السابق، ص ٣٧.
٦٩- محد عبده، الاضطهاد في النصرانية والاسلام، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ٢٩٤.
٧٠- نفس المصدر السابق، ص - ص ٣٢١- ٣٢٥.
٧١- محمد عبده، التصوف والصوفية، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص- ص ٥٣٠- ٥٣١.
٧٢- توفيق الطويل، الفكر الديني الاسلامي في العالم العربي إبان المائة عام الأخيرة، الفكر العربي في مائة سنة، بيروت، الجامعة الأمريكية، ١٩٦٦، ص- ص ٣٠٢- ٣٠٣.
٧٣- عبد العاطي محمد احمد، الفكر السياسي للامام محمد عبده، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨، ص- ص ١٠٠-١٠١.
٧٤- محمد عبده، الاضطهاد في النصرانية والاسلام، الاعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ٣٣١.

٧٥- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ٢، مصدر سابق، ص- ص ٥٥١- ٥٥٢.

٧٦- نفس المصدر السابق، ص ٥٥٣.

77-Houani, Albert, "Arabic Thought In the Liberal Age, 1798- 1939, 1967, P. 139.

٧٨- عبد المنعم الدسوقي الجميعي، مجمع اللغة العربية، دراسة تاريخية، القـاهرة، الهيئـة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣، ص ٧.

٧٩- محمد عبده، تفسير سورة العصر وكتاب عام في التربية والتعليم، مصر، مطبعة النار، ١٣٣٠، ١٩١١، ص ٩١.

٨٠- محمد عبده، تقديم نهج البلاغة، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٢، الكتابـات الاجتماعية حققها وقدم لها محمد عمارة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٠، ص ٤١٨.

٨١- نفس المصدر السابق، ص ٤١٩.

٨٢- ابراهيم بيومي مدكور، مجمع اللغة العربية في عيده الخمسين، القـاهرة، ١٩٨١، ص ٢٢.

٨٣- نفس المصدر السابق، ص ٢٢.

٨٤- محمد عبده، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ١، الاصلاح اللغـوي والأدبـي، حقق لها وقدمها محمد عمارة، مصدر سابق، ص ١٩٦.

٨٥- محمد عبده، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ٣٢١.

٨٦- مراد وهبة، مدخل إلي التنوير، دار العالم الثالث، مصر، ١٩٩٤، ص ١٢٦.

٨٧- عثمان أمين، رائد الفكر المصري، مصدر سابق، ص ١٣١.

٨٨- مراد وهبة، مرجع سابق، ص ١٢٧.

٨٩- نفس المصدر السابق، ص- ص ١٠٩- ١١١.

٩٠- نفس المصدر السابق، ص - ص ١١٢- ١١٣.

٩١- محمد عبده، الاسلام والرد علي منتقديه، القاهرة، ١٩٢٨، ص ٣٠.

٩٢- نفس المصدر السابق، ص- ص ٣٣- ٤٥.

٩٣- نفس المصدر السابق، ص ٥٢.

٩٤- نفس المصدر السابق، ص ٥٣.

٩٥- مراد وهبة، مصدر سابق، ص -ص ١٥٤- ١٥٥.

٩٦- محمد عبده، الاسلام والرد علي منتقديه، مصدر سابق، ص ٥٣.

٩٧- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ٢، مصدر سابق، ص ص ٥٥١- ٥٥٢.

٩٨- نفس المصدر السابق، ص ٣٣٢.

٩٩- مجلة المقتطف، الجزء الثامن، ديسمبر ١٨٨٨، رواد النهضة الحديثة، مارون عبـود، ص ١٩٧.

١٠٠- نفس المصدر السابق، ص ١٩٧.

١٠١- محمد عبده، تفسير المنار، جـ١، مطبعة الشعب، القاهرة، ١٩٥٤، ص ١٠٢.

١٠٢- نفس المصدر السابق، ص ١٠٣.

١٠٣- صحيفة الجريدة ٣٠ أبريل ١٩١١، نقلا من كتاب "من آثار مصطفي عبد الـرازق، ص ٨٣، جـ١، دار المعارف، (د.ت).

الفصل السادس

المنظومة التعليمية وآليات تطويرها

المنظومة التعليمية وآليات تطويرها

التربية أشمل وأعم من التعليم لأنها تعني كل المؤثرات والعوامل التي يعـيش وسـطها الفرد وتؤثر فيه، وهي ضرورة اجتماعية وهي تعني الخبرة التي يكتسبها الفرد من خلال تفاعله مع واقع المجتمع ومؤسساته ونظمه ومن ثم عرفتها المجتمعات البدائية، أما التعليم فإنه الجانـب المتخصص من التربية والذي يتم عن طريق المدرسة ولذا اصطلح علي تسميته (التعليم النظامي أو الموجه أو المقصود)، والمدرسة أحدث ظهورا من التربية حيث ارتـبط ظهورهـا بظهـور الحضارات، بل لم توجد إلا عندما تعقدت الحياة وتطورت الانسانية وتزايدت الأنشطة.

وإذا كنا قد تناولنا في الفصول السابقة وجهة نظر الأستاذ الامام محمد عبده واتجاهاتـه الفكرية تجاه التربية بمفهومها الشامل ووسائطها وقضاياها ذات الأبعاد الفلسفية والثقافية، فإننـا في هذا الفصل نتدرج من العام إلي الخاص، ونعني بذلك الانتقال من التربية كمفهوم عام وشامل إلي الجانب المتخصص من التربية وهو التعليم النظامي الذي يتم عن طريق المدرسة.. وفي هذا الصدد نتعرض لآراء الاستاذ الامام محمد عبده وانطباعاته تجاه واقع مؤسسات التعليم النظامي خلال فترة حياته ومنظومة التعليم النظامي والتي تتمثل في أهدافه ووسائل تحقيق هذه الأهـداف من مواد الدراسة وطرق التدريس سواء كانت عامة او خاصة واعداد المعلمـين والخـصائص التي ينبغي أن تتوافر فيهم باعتبارهم الأداة الأساسية لتحقيق أهداف التعليم، إلي جانـب الكتـب المدرسية والمواصفات التي يجب ان تتوافر فيها.

وفيما يلي عرض لآراء وأفكار الاستاذ الامام لهذه الجوانب كما يلي:

مؤسسات التعليم النظامي وانطباعات الامام محمد عبده عنها

شهدت مصر في بداية عهد توفيق جهودا مخلصة لإصلاح التعليم الـشعبي وتعميمـه، تمثلت في مشروع قومسيون تنظيم المعارف سنة ١٨٨٠ الذي سـبق أن أشـرنا إليـه، إلا أن تعرض البلاد للاحتلال البريطاني سنة ١٨٨٢ أعاق تحقيق هذه الأماني.

وقد تمثلت مؤسسات التعليم الرسمي في تلك الفترة علي النحو الآتي:

(أ)التعليم الأولي الشعبي

بني الانجليز سياستهم في تعليم أبناء الشعب علي توفير تعليم شعبي رخيص في الكتاتيب القديمة التي لا تكلف الدولة الكثير من المال، وقد أوهموا الناس أنهم ينشرون التعليم وييـسرونه للفقراء بعنايتهم بالكتاتيب، وكانت الكتاتيب وقتئذ تنقسم إلي نـوعين: نـوع حكـومي يخـضع لاشراف وزارة المعارف، ونوع أهلي تمثله الغالبية العظمي للكتاتيب إذ بلغ عددها سـنة ١٨٩٧

(٦٦٤٧) كتابا، ولم تحاول حكومة الاحتلال تقديم معونة حقيقية لها، إذ كانت معونتها الحقيقيـة من الشعب، وأمام الضغط المتزايد من جانب الشعب للمطالبة بالتعليم لجأت سـلطات الاحـتلال إلي تحويل الكتاتيب الحكومية إلي مدارس أولية ذات اربع فرق، ولم يرق هذا النوع من التعلـيم إلي مستوي المدارس الابتدائية، كما أعطت مجالس المديريات سلطة فرض ضـرائب لانفـاق بعضها علي الكتاتيب الأهلية، ومع ذلك لم ترتفع نسبة من يحصلون علي التعليم الأولي الشعبي في الكتاتيب والمدارس الأولية عن ١٠% من الأطفال الـذين يـستحقون التعلـيم فـي عهـد الاحتلال.(١)

وكانت سياسة الاحتلال تحرص علي عدم السماح لتلاميذ التعلـيم الأولـي بالالتحـاق بالتعليم العام الذي يؤدي إلي التعليم العالي، وهكذا عمق الاحتلال جذور الازدواج التعليمي بقصد خلق تمييز طبقي بين مدارس التعليم العام وبين مدارس التعليم الأولي الشعبي.(٢)

وكانت برامج الكتاتيب والمدارس الأولية تتمثل في قدر بسيط من المبادئ الأولية مـن قراءة وكتابة وحساب، إلي جانب حفظ بعض آيات القرآن الكريم، ولم تؤهل هذه البرامج التلاميذ لممارسة الأعمال المختلفة في مجال الزراعة والصناعة والتجارة، وكان المعلمون بهذه المرحلة من الفقهاء والعرفاء غير مؤهلين، وكانت عدتهم هي ما يحملونه في صـدروهم مـن القـرآن الكريم. (٣)

وقد زادت نسبة الأمية خلال عهد الاحتلال، فقد كانت تمثل في بداية الاحتلال ٩١,٧%، بينما وصلت عام ١٨٩٨ إلي ٩٨,٣%.(٤)

وقد سجل الامام محمد عبده انطباعه عن واقع التعلـيم بهـذه المرحلـة، فأوضـح أن المدارس الأولية لا يمكن تحسين التربية بها إلا بتوجيه العناية أولا للكتاتيب الصغيرة المنتـشرة في القري والمدن، فإنها هي المغذية للمكاتب المنتظمة التابعة لنظـارة المعـارف وللمـدارس الأميرية وللأزهر، فان كان الغذاء فاسدا كان مزاج المتغذي أشد فسادا، وهـو يـري أن سـوء التعليم بالكتاتيب يرجع إلي سوء المستوي العلمي والخلقي للفقهاء بها "فهم لا يعرفون شيئا سوي حفظ القرآن الكريم لفظا لا معني، وإذا كان في أذهانهم شئ باسم الدين فهو الزائد الـضار دون الأصل النافع، وقد عرفوا بأنهم أفسد حالا من العامة، علي أن الكتاتيب إذا كان يرد عليها أبنـاء الأهالي جميعا إلا القليل، فإن أغلبهم يرجعون إلي ما كان عليه آباؤهم من جهل، فهـي منابـت للعامة ولكنها لا تنبت إلا جهلا".

وهو يري أن قوام اصلاح الكتاتيب هو إصلاح حال فقهائها، وإصلاحهم مرة واحـدة أو ابدالهم بخير منهم في فترة قليلة أمر صعب، ولكن يمكن بالتدريج النهوض بهم، ويتحقق ذلك بأن يراعي في اختيارهم الاستعداد للفهم، وقبول الاصلاح بقدر الامكان، وهذا يقتضي سـعيا حثيثـا

وتدقيقا شديدا، وسيرا في ارض مصر اجمعها ونظرا في كل قرية من قراها من أجـل اختيـار أحسن عناصرهم.

وطالب الامام محمد عبده بتعديل برامج الكتاتيب بحيث يضاف إلي تعليم القرآن الكـريم بعض المعلومات التي لا يستغني عنها مصري، كتقرير بعض الكتب الصغيرة فـي الحـساب، ودروس الأشياء والصحة، وتعيين ما يدرج منها علي نمط سهل يفهمه الـصغير، إلـي جانـب تزويدهم ببعض دروس التربية الوطنية التي تسهم في تنميـة احـساسهم الـوطني، كتعـريفهم بالمديرية التي ينتسبون إليها، والوطن الذي ينتمون إليه، ويدرب الفقهاء علي الطريقة التي تعلـم بها هذه الأمور. [٥]

(ب)المدارس الابتدائية

كان الغرض من التعليم بالمدارس الابتدائية، اعداد فئة قليلة مـن تلاميـذها للالتحـاق بالمدارس الثانوية، أو الالتحاق بالوظائف الحكومية، وكان التعليم فيها بمصروفات عالية لا يقدر عليها إلا الموسرون من أبناء الشعب، وكانت مدة الدراسة بها أربع سـنوات، وكانـت بـرامج الدراسة بهذه المرحلة تمثل مواد نظرية قائمة علي الحفظ والتلقين لا تتـصل بظـروف البيئـة واحتياجاتها، وتشمل اللغة العربية واللغتين الانجليزية والفرنسية، احـداهما أصـلية والأخـري اضافية، والترجمة والتاريخ والجغرافيا، والأشياء والرياضة والرسم، وقد عمل الاحتلال علـي التضييق من إنشاء المدارس الابتدائية، فقد كان عددها في بداية الاحتلال ٢٨ مدرسة ابتدائيـة، وفي سنة ١٩١٤ اصبح عددها ٣٢مدرسة، أي بزيادة اربع مدارس فقط في مدي اثنين وثلاثـين عاما. [٦]

وقد تناول الامام محمد عبده واقع التعليم بهذه المدارس، فانتقد اغراض التعليم بها حيث أنه يتمثل في خدمة الحكومة. ومعظم تلاميذها لا يستطيعون مواصلة التعليم إلي نهاية المطاف، ومن يستكمل دراسته بهذه المرحلة، يرجع إلي أبيه أو من يقوم مقامه عارفا ببعض العلوم التـي لا يجد لها موضعا تستعمل وتطبق فيه، فلا يلبث أن ينساها فيضيع الزمن الذي شغله بالتحصيل بلا فائدة، ثم إنه يعود بأخلاق أشد فسادا من أخلاق الذين بقوا علي الفطرة لم يمسسهم التعلـيم، ويجد في نفسه نفورا وعجزا عن العمل فيما كان يعمل والده وأهله من قبله، فيقضي عمره فـي البطالة، فيكون زيادة في أمراض البلاد بدلا من أن يكون عضوا نافعا لها. [٧]

وقد وضع الاستاذ الامام عدة اقتراحات لاصلاح التعليم بهذه المرحلة تتمشي مع أساليب التربية الحديثة إذ نادي بأن يكون تدريس العلوم بهذه المرحلة من وجهها العملي الـذي ينطبـق علي المعاملات التجارية وحساب الصيارفة الأميريين وغيرها، فيتعلم التلاميذ طريقـة وضـع المدفوع من الأموال في الأوراق والدفاتر، وطرق تحصيل أموال الحكومة ونحو ذلك[٨]، ويدخل

فيها فن الأوزان والمكاييل، وأن كانت مبادئ هندسية فليدخل فيها شئ من المساحة علي الطريقة المعروفة في البلاد أو علي أفضل منها، وما يؤخذ من قواعد العربية يكون مصحوبا بالعمل في المكاتبات العادية والمشاركات (العقود والصكوك) المتداولة بين الأهالي، حتي إذا خرج التلميذ من المدرسة يكون عنده ما يحتاج إليه شخصه أو عائلته وأقاربه وأهل بلده، ثم يضم إلي ذلك تعويده علي بعض الأعمال الزراعية أو الصناعية، ويخصص لذلك يوم في الأسبوع يخرج فيه التلميذ لممارسة هذه الأعمال، ثم يضاف إلي البرنامج مبادئ العقائد الدينية وآدابها علي الأصل الصالح، علي أن يوجه التلاميذ إلي اتباعها في معاملاتهم، وتشديد الرقابة عليهم في ذلك، كما يجب أن يتضمن البرنامج تاريخ البلاد وما كانت تعانيه في سابق زمانها، وشئ من القواعد العامة للنظام. [٩]

وبهذا إذا أتم التلاميذ المرحلة الابتدائية، ولم يتيسر لهم الالتحاق بعمل مهني، نمت فيهم الأخلاق الصالحة والأفكار الحسنة، ونبت في قلوبهم احترام النظام الذي يضبط مصلحتهم ومصلحة وطنهم. [١٠]

لقد أرسي الامام محمد عبده بهذا البرنامج الذي وضعه لتجديد التعليم في المرحلة الابتدائية اتجاها تربويا جديدا جديرا بالنظر والتقدير، ويقوم علي ربط العلم بالعمل، واحترام العمل اليدوي، وتنمية شخصية التلميذ وعقيدته، وهو ما يتفق مع فلسفة التعليم الأساسي الذي نقوم بتطبيقه في الوقت الحاضر.

(ج)المدارس الثانوية

كان الغرض من التعليم في المدارس الثانوية وقتئذ يتمثل في جانبين: الجانب الأول هو اعداد طبقة من موظفي الحكومة، والجانب الثاني يتمثل في التحاق عدد محدود من طلابه بالمدارس العليا، وبقيت مدة الدراسة في المدرسة الثانوية خمس سنوات حتي سنة ١٨٩٧، خفضت بعدها إلي ثلاث سنوات، ثم زيدت مرة ثانية إلي أربع سنوات سنة ١٩٠٥، وكان الطلاب يلتحقون بالمدارس الثانوية بعد الحصول علي الشهادة الابتدائية، وعندما ألغيت هذه الشهادة سنة ١٩٠٩، اجري بدلا منها امتحان للنقل إلي المدرسة الثانوية.

وقد قسمت الدراسة في المرحلة الثانوية بعد سنة ١٩٠٥ إلي قسمين: القسم الأول واشتمل علي السنة الأولي والثانية وكان الطالب يحصل في نهايتها علي شهادة الأهلية للوظائف الحكومية الصغيرة، أما القسم الثاني فيشمل السنة الثالثة والرابعة، وقسمت هذه المرحلة إلي شعبتي الآداب والعلوم تمنح في نهايتها شهادة الدراسة الثانوية التي تعطي الحق للتوظف في الوظائف الحكومية الكبيرة أو الالتحاق بالمدارس العالية. [١١]

وقد عمل الاحتلال البريطاني علي تضييق نطاق هذا التعليم، فقد كان أقصي ما وصلت إليه اعداد المدارس الثانوية خلال عهد الاحتلال ست مدارس ثانوية، وقد تأثر التعليم الثانوي بسياسة الاحتلال إزاء احلال اللغة الانجليزية كلغة تدريس محل اللغة العربية في جميع المواد، حتي تغلب الاتجاه القومي علي هذه السياسة ونجح في الحد من نفوذ اللغة الانجليزية وتدريس المواد باللغة العربية بدلا من الانجليزية سنة ١٩٠٧. [١٢]

واتخذت السلطات المسئولة بعض الاجراءات الخاصة بعزل المدارس الثانوية عن أحداث المجتمع في تلك الفترة، فحرمت دخول الصحف إليها، وفرضت رقابة صارمة علي تصرفات التلاميذ، وسنت عقوبات رادعة لكل من يشترك منهم في الأحداث الوطنية أو يستجيب للنزعة القومية. [١٣]

وقد انتقد الامام محمد عبده أهداف التعليم في هذه المرحلة، "فهو ينحصر في اطار ضيق وهو اعداد التلاميذ للقيام بعمل ما من أعمال الحكومة، اما تكوين التلميذ بالتربية والتعليم لكي يكون رجلا صالحا في نفسه، يحسن القيام بما يوكل إليه من اعمال، فذلك لم يخالط عقول المعلمين ولا ولاة أمر التعليم، ولو كشفنا عن أذهان التلاميذ لم نجد فيها غاية لتعلمهم سوي أن يعيشوا كما عاش غيرهم علي أي صفات كانوا، ولو استفرغنا أذهان المعلمين لم نجد فيها من المقاصد سوي أنهم يلقون ما يجدونه في الكتب المقررة للتلاميذ ويطالبونهم بحفظه".

وهو يري أن التربية مفقودة في تلك المدارس وانما الموجود فيها صور ورسوم تغر الناظر إليها. [١٤]

ويتطلب النهوض بهذه المدارس في رأيه ربط برامج هذه المدارس بجوانب الحياة العملية، فليس الهدف من هذه المدارس خدمة الحكومة، وانما اعداد التلاميذ للوازم الحياة، حتي إذا بلغ التلميذ نهاية هذه المرحلة أصبح في الامكان الثقة به وائتمانه علي أي عمل يعهد إليه، وكانت النفس مطمئنة من جهته. [١٥]

وهكذا ينادي محمد عبده بان توجه العناية إلي التربية قبل التعليم بمفهومه الضيق الذي يقتصر علي تكديس المعلومات وتحفيظها، وهو ما تحرص التربية الحديثة علي تحقيقه، فهي تدعو إلي تكوين انسان كامل، لا انسان حافظ يحمل كمية ضخمة من المعارف فوق جسم هزيل، وعاطفة ضامرة، واحساس فني متبلد وخلق مضطرب وقدرات مهنية وعملية ضئيلة، فالمعلومات وحدها لا تخلق الرجال، ولا يكفي أن يتكلم المرء لغات عديدة، أو أن يعرف أسرار حساب اللامتناهيات كي يستحق الثقة، ويكون مصدرا لسعادة أولئك الذين يحيا معهم، او يكون نافعا للمجتمع قادرا علي العطاء له، فالمعرفة وحدها لا تحقق النجاح حتي في المهنة التي تفتح

الأبواب لها، إذ لا تمنح صاحبها روح المبادرة والابداع، ولا تـزوده بحـسن التنظـيم وروح المبادرة. (١٦)

(د)المدارس العليا

كان التعليم في المدارس العليا خلال فترة الاحتلال محدودا لضيق نطاق التعليم الثانوي، وكان يشمل مدارس الطب والصيدلة والحقوق والهندسة والمعلمين السلطانية والزراعة والطـب البيطري والتجارة، وكان الهدف منه اعداد موظفين لخدمة الحكومة، وكانت مناهجـه قاصـرة بعيدة عن مشكلات البلاد وحاجاتها، وكان التعليم في هذه المدارس يفتقر إلي الـروح الجامعيـة التي تقوم علي البحث والابتكار والتقصي. (١٧)

وقد طالب الامام محمد عبده بتطوير التعليم في المدارس العليـا بحيـث تؤهـل هـذه المدارس طلابها التأهيل المهني الصالح الذي يفيد المجتمع، وان تكون مناهجهـا قائمـة علـي البحث العلمي، كما دعا إلي ادخال التخصصات الحديثة في برامجهـا كالاقتـصاد والاجتمـاع والفنون الجميلة وفي ذلك يقول:

"التعليم بالمدارس العليا لا يكاد يؤهل رجلا لممارسة حرفة مستقلة يكسب بهـا عيـشه، ومن المستحيل ان ينهض هذا التعليم باعداد عالم او كاتب أو فيلسوف، فضلا عن اعداد نابغـة، وكل ما لدينا من المدارس العليا هي مدارس الحقوق والطب والهندسة، أما بقية الفـروع التـي يتألف منها العلم الانساني، فقد نال المصري منها أحيانا صورا سطحية في المدارس الاعداديـة، ويكاد يكون من المستحيل ان يتقن منها شيئا، وهو في الغالب مكره علي أن يجهلها جهلا تامـا، ذلك شأن علم الاجتماع وفروعه، والتاريخ، والاقتصاد، والأخلاق، وذلك شأن الفلـسفة القديمـة والحديثة، والآداب الغربية، والفنون الجميلة، فكل ذلك مجهول لا يدرس في مدرسـة مـصرية، ونتيجة لذلك ان في مصر قضاة ومحامين وأطباء ومهندسين، تتفاوت كفـايتهم فـي ممارسـة مهامهم، ولكنك لا تجد في الطبقة المتعلمة الرجل الباحث، ولا المفكر، ولا الفيلسوف ولا العالم، لا ترى الرجل ذا العقل الواسع والنفس العالية والشعور الكريم". (١٨)

وإذا كان ما سبق يوضح انطباعات محمد عبده عن واقع التعليم الرسـمي بمؤسـساتها المختلفة، فما هو تصوره لأهداف التعليم التي يجب أن يسعي لتحقيقها، وما هي الوسـائل التـي تحقق هذه الأهداف، ذلك ما ستجيب عنه الصفحات التالية.

أهداف التعليم الرسمي

يمكن ابراز أهم الاتجاهات التربوية لدي الامام محمد عبده في تحديـد اهـداف التعلـيم الرسمي علي النحو الآتـي:

١-تكوين المواطن الصالح الذي يوفق بين مصلحته ومصلحة المجتمع

فقد أوضح الامام محمد عبده ان التعليم يجب ان يسعي للتوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة[١٩]، وذلك يعني ان يهيئ التعليم للفرد الوسط الملائم لتنمية شخصيته إلي اقصي حد مع توجيهها توجيها اجتماعيا صالحا.

وذلك ما تحرص التربية الحديثة علي تحقيقه، وهو يري ان ترجمة هذا الهدف إلي واقع ملموس يتطلب تزويد الفرد بتعاليم الدين الصافية النقية الخالية من الشوائب والخرافات[٢٠]، وتنمية عقل الفرد وتحريره من قيود الأوهام والخوف والضغط الخارجي، فالفكر السليم الذي ينبغي أن يحققه التعليم يجب أن يتحلي بنوعين من الشجاعة: الشجاعة في رفع القيد الذي هو التقليد الأعمي، والشجاعة في وضع القيد الذي هو ميزان العقل الصحيح، إلي جانب تزويد المصري بثقافة سياسية أطلق عليها الاستاذ الامام "الأدب السياسي"، وتتمثل في توعية الأفراد بالمصلحة العمومية والحدود الشخصية، فالمرء إذا عرف مصلحة قومه، سعي فيما يوجب لهم البقاء والنماء، وأقام لنفسه خطا لا يتخطاه. [٢٢]

وهكذا أيقن الاستاذ الامام ان التربية السياسية أمر لازم لتكوين المواطن الصالح في وقت كانت الموضوعات السياسية والوطنية ليس لها نصيب في مناهج الدراسة، وكان يحرم علي الطلبة الاشتغال بها، ويتفق اتجاه الاستاذ الامام في هذا المجال مع ما تدعو إليه التربية المعاصرة من ضرورة الاهتمام بالتربية السياسية، فالدول الراقية تحرص علي تنشئة شبابها علي فكرها السياسي، وهي تبني مناهجها الدراسية ومؤسساتها التربوية علي رؤية واضحة ينشأ عليها شبابها، وتعمق وعيهم الوطني، وفكرهم السياسي حتي يكونوا في حصانة من الأفكار الوافدة والمبادئ الغازية.

٢-تحقيق الوحدة الثقافية

من المعلوم أن سياسة الاحتلال البريطاني في مصر كانت تقوم علي تفتيت الوحدة الثقافية في البلاد، بايجاد أنواع مختلفة من التعليم لا يرتبط بعضها ببعض ولا يوصل بعضها إلي الآخر، فهناك التعليم الأولي، وهناك التعليم العام، وهناك التعليم الديني، وهناك التعليم الأجنبي، ولاشك أن هذا الوضع أدي إلي تعدد الاتجاهات والمشارب الثقافية في البلاد، وكان هذا الوضع يقلق الاستاذ الامام محمد عبده.

فقد كان الامام محمد عبده يري أن تعدد أنواع التعليم لا يحقق الوحدة الثقافية المنشودة للأمة، فالتعليم الديني كان يتغاضي عن أي محاولات لاصلاح مناهجه وتبني الطرق الحديثة، وبقي يحمل لواء المحافظة، أما مدارس الحكومة فكان همها الأول تخريج موظفين للحكومة والخدمة المدنية دون أن تهتم بالتعليم في حد ذاته، فضلا عن اهمالها للتعليم الديني[٢٣]،

والمدارس الأجنبية كانت تشكل خطرا علي عقائد الأطفال الصغار وولائهم للوطن، وخاصـة أن عقول الأطفال في سن الصغر ساذجة وأذهانهم خالية، وهي مستعدة لقبول ما يـرد إليهـا مـن أفكار، والتأثر والانفعال بما يصل إليها من آراء. [٢٤]

وقد خشي الامام محمد عبده من أن يؤدي هذا الوضع إلي فوضي ثقافية واجتماعية فـي البلاد، ومن أجل ذلك نادي بتزويد المصريين بتعليم عام مشترك في المرحلة الأولي علي نـسق التعليم الموجود بمدارس الجمعية الخيرية الاسلامية التي كان يشرف عليها وقتئذ[٢٥]، كما اقترح في احدي اجتماعات مجلس المعارف الأعلي سنة ١٨٨١، وجوب جعل المدارس- الأجنبية تحت مراقبة نظارة المعارف لتوجيه هذا التعليم بما لا يتعارض مع مصلحة الوطن، وقد قبل اقتـراح الامام محمد عبده، وحالت أحداث الثورة العرابية دون تنفيذه. [٢٦]

وهكذا أدرك محمد عبده ان توحيد نظم التعليم هو سبيل تحقيق الوحدة الثقافية، وهو مـا تأخذ به الدول الناهضة التي تحرص علي أن يكون هدف التعليم فيها تخريج مواطنين يشتركون معا في رؤية واحدة أو علي الأقل متقاربة، وهو ما نسير عليـه الآن، حيـث يـشترك جميـع المواطنين في تعليم واحد من حيث الاساسيات حتي نهاية التعليم الأساسي، ثـم يـأتي التعلـيم الثانوي فيتفرع حسب نوع المستقبل الذي يريده الدارسون والذي يتفق ومصلحة الوطن.

٣- التعليم من أجل العمل المنتج وليس من أجل الوظيفة الحكومية

من الاتجاهات الحديثة في التربية، أن التعليم أداة من أدوات الانتاج، وذلك بما يوفره من اطر فنية وعلمية وادارية ماهرة ومدربة تدفع عجلة الانتاج.

وقد ابرز محمد عبده ضرورة اسهام التعليم في إعداد العمالة المنتجة التي تـسهم فـي تطوير المجتمع، فأشار إلي أن التعليم ينبغي ان يهدف إلي تزويد التلاميذ بحرفة يخـدمون بهـا مجتمعهم بأمانة ويتكسبون منها، وهو ما نلمسه في فلسفة مدارس الجمعية الخيريـة الاسـلامية التي كان يرأسها- وسنشير إليها بالتفصيل فيما بعد- والتي كانت تقـوم بتعلـيم أولاد الفقـراء بالمجان ويهدف التعليم فيها إلي اعداد كل تلميذ للعمل والـصناعة، مـع الأمانـة والاسـتقامة، فيفيدون أنفسهم ويستفيد المجتمع منهم. [٢٧]

ونحن أحوج ما نكون إلي إسهام التعليم في تخريج المواطن المنتج في مصر ولن يتحقق ذلك إلا إذا سايرت مناهجنا التعليمية التقدم العلمي المطرد يوما بعد يوم، وأكدت علـي دراسـة الجديد وترك القديم، وتضمنت علوما جديدة تتمشي مع أحدث أساليب التكنولوجيا، إلـي جانـب العلوم البيئية المتخصصة والتي تحتمها ظروف المجتمع وطبائعه.

ينبغي أن يكون التعليم في خدمة الدولة لاعبئ عليها، وأن تحول اعداد المتعلمين الغفيرة إلي طاقات انتاجية قادرة، لا جيوشا جرارة من موظفي المكاتب والدواوين، يعملون علي خلـق المشاكل وتعطيل المصالح.

وسائل تحقيق أهداف التعليم

يتطلب تحويل أهداف التعليم إلي واقع، تحديد الأدوات والوسائل التـي تتخـذها الدولـة لتحقيق هذه الأهداف، وتتمثل في المناهج، والخطط الدراسية وطرق التدريس العامة والخاصـة، والمعلمين، والكتب المدرسية والادارة المدرسية وأساليب التقويم.

وفيما يلي انطباعات الامام محمد عبده عن بعض الوسائل والأدوات اللازمـة لتحقيـق أهداف التعليم:

أولا: مواد التعليم

أ- العلوم الدينية

من الاتجاهات الجديدة التي تتعلق بأهمية العلوم الدينية عند الامام محمد عبده ما يلي:

(١) ضرورة تعميم علوم الدين

فقد شدد الامام محمد عبده علي الاهتمام بتدريس الدين للتلاميذ منذ دخـولهم المـدارس وطوال مراحل دراستهم، باعتبار أن الدين هو الأساس لتحليـة العقـول بالمعلومـات اللطيفـة والنفوس بالصفات الكريمة، والأديان ما شرعت للتفاخر والتباهي بل شرعت للعمل. [٢٨]

(٢) العلوم الدينية وحدة متصلة

فقد أبرز الامام محمد عبده ان العلوم الدينية وحدة متصلة لها مقصد واحـد هـو فهـم العقيدة، ودراسة أحكام العبادات والفرائض، وفهم كتاب ا . [٢٩]

فالفقه وأصوله هو علم يبحث عن طريق استنباط الأحكام من أدلتها في الكتاب والـسنة، ويهدف هذا العلم إلي تبصير المسلمين بالأحكام الاسلامية في دينهم ومعاملاتهم في الحياة. [٣٠]

وعلم التوحيد الغاية منه تحصيل اليقين بمسائل تتصل باثبات وجود ا سبحانه وتعـالي وصفاته الكمالية، وثبوت خلقه للكون، وأنه وحده مرجع كل ما في الكون، ومنتهي كـل قـصد، وثبوت بعثة الرسل صلوات ا عليهم أجمعين. [٣١]

والتفسير الغاية منه فهم كتاب ا من حيث هو دين يرشد الناس إلي ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة. [٣٢]

والسير تتناول سير الأنبياء والمرسلين والـسلف الـصالح، والعلـم بـسنتهم واصـول استدلالهم، بقصد الاهتداء بهديهم والتأدب بآدابهم. [٣٣]

ب- علوم اللغة العربية

علوم اللغة العربية في رأي محمد عبده هي علوم وسائل، تسعي إلي فهم عقائدنا وأقوال أسلافنا والاستفادة بها في معاملاتنا وتشمل:

١- **النحو وله غايتان**: الأولي التمكن من فهم كتاب ا وكلام نبيه (ص) وكلام سلف الأمة، والثانية اصلاح اللسان من الخطأ بحيث يكون قادرا علي استخدام اللغة استخداما سليما في أمور المعاملات.

وينتقد محمد عبده اساليب تأليف هذا العلم وغموضها، ففي التقارير المكتوبة علي الحواشي، ينصرف البحث في عبارة المؤلف، هل تدل علي ما قصده؟ فقائل يقول نعم، وآخر يقول لا، وقائل ثالث يرجح قول نعم، ورابع يرجح قول لا، وبذلك تضيع الفائدة وينصرف الذهن عن القاعدة، ولا يجد الطالب تقويما للسانه ولا قدرة في فهم ما جاء في كلام العرب أو كتاب نبيه (ص). [٣٤]

٢- **البلاغة:** البلاغة كما يعرفها محمد عبده هي مطابقة الكلام للواقع وليست مطابقة الكلام لمقتضي الحال كما كان يقول القدماء[٣٥]، وهو تعريف جديد لأن الواقع يشمل كل الظروف والأحوال التي يقال فيها الكلام او يكتب فيها، وليس رهنا باللحظة التي عبر بها القدماء عن مقتضي الحال الذي يتغير ويتبدل دائما وليس له ثبات. [٣٦]

وغاية هذا العلم في رأيه تشمل أمرين: أن يكون الطالب فصيحا بليغا فيما يكتب او يخطب، والثاني أن يقيس بلاغة البلغاء بلغة القرآن.[٣٧]

ولتحقيق ذلك قدم الاستاذ الامام للناشئين كتاب نهج البلاغة المنسوب للامام علي بن أبي طالب، والكتاب كما يقول عنه الشريف في المقدمة يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة، وجواهر العربية، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ما لم يوجد مجتمعا في كلام، ولا مجموع الأطراف في كتاب، إذ كان أمير المؤمنين- عليه السلام- مشروع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها.[٣٨]

وأدرك الامام محمد عبده أهمية هذا الكتاب في المجالين اللغوي والبياني، ومن ثم توجهت عنايته نحو شرحه ودرسه، ونصح الناشئين من شباب العربية بأن يتخذوه تثقيفا للسانهم، وتوجها للغتهم، وهاديا لبيانهم، وفي ذلك يقول:

"فأجدر بالطالبين لنفائس العربية، الطامعين في التدرج لمراقيها، أن يجعلوا هذا الكتاب أهم محفوظهم وأفضل مأثورهم مع تفهم معانيه في الأغراض التي جاءت من أجلها، وتأمل الفاظه في المعاني التي صيغت للدلالة عليها، ليصيبوا بذلك أفضل غاية وينتهوا علي خير نهاية". [٣٩]

كما أوصي بدراسة كتابي عبد القادر الجرجاني "أسرار البلاغة ودلائل الأعجاز" وكتاب "الصناعتين" لأبي هلال العسكري. (٤٠)

٣-الأدب: ويتمثل في الشعر والنثر، ويذهب الامام محمد عبده إلي ان قوام الأدب هو العاطفة أو ما يقوم علي صدق الاحساس وعمقه، وذلك بأن تستمد العاطفة وقودها من داخل الحس لكي تكون صادقة.. فالشعر عنده لا يكون شعرا إلا إذا كانت ألفاظـه آخـذة بجـزء مـن روح الشاعر. (٤١)

والنص الأدبي البليغ يمس العقل ويهز الوجدان اي أن يبلغ المتكلم بالكلام ما يريد مـن نفس السامع بإصابة موضع الاقناع من العقل والوجدان من النفس.(٤٢)

ج-التاريخ والجغرافيا

من الاتجاهات الحديثة التي أبرزها محمد عبده حول أهمية التاريخ والجغرافيا ما يلي:

١-التاريخ فن وعلم

فالدراسات الاجتماعية الحديثة تشير إلي ان التاريخ فن وعلم في آن واحد، وقـد اشـار محمد عبده إلي هذه الحقيقة، فهو يري أن "التاريخ فن عينت به أمتنا عناية لم تسبقها بها أية أمة، فلم تكتف بضبط الوقائع وتلقيها بالرواية كالسنة النبوية، بل تفننت فيهـا فـصنفت فـي تـاريخ الأشخاص، كما صنفت في تاريخ البلاد والشعوب، ثم نوعت تاريخ الأشخاص فجعلت لكل طبقة تاريخا، فنري في المكتبات طبقات المفسرين، وطبقات المحدثين، وطبقات الأطبـاء، وطبقـات القراء إليغير ذلك"، وهو يري أن التاريخ علم له أصول حيث يقول: "يحتاج التاريخ إلي الفحص والتدقيق والتفسير والبحث في العلل والأسباب، وفي ذلك صنف بن خلـدون مقدمـة تاريخيـة استنبط قواعد العمران وأصول الاجتماع من التاريخ، ولو لم تنقطع بنا سلسلة العلم مـن ذلـك العهد لكنا أتممنا ما بدأ به سلفنا، ولكننا تركناه وتبعنا غيرنا إلي اتمامه واستثماره". (٤٣)

٢-تكامل الجغرافيا والتاريخ

من الاتجاهات الحديثة في المواد الاجتماعية تحقيق التكامل بين الجغرافيـا والتـاريخ، فالجغرافيا تمثل المسرح، والتاريخ يمثل الأحداث التي تجري علي هذا المسرح وتتأثر بما فيـه من ظروف.

وقد ربط الامام محمد عبده بين الجغرافيا والتاريخ بطرقة طريفة، فقد بين أن الظـروف الجغرافية والطبيعية تؤثر علي الأحداث التاريخية فالمسلمون فـي فتوحـاتهم التاريخيـة، لـم ينتصروا علي اعدائهم إلا بدراسة الظروف الجغرافية والطبيعية لبلادهم، فلـو كـان يجهلـون مسالك بلادهم وطرقها، ومواقع المياه وما يصلح موقعا للقتال فيها لهلكـوا وكـان الجهـل اول

أسباب هلاكهم، ومن يقرأ ما حفظ من خطبهم وكتبهم التي كانوا يتراسلون بها، ومحاوراتهم في تدبير الأعمال، يظهر له عملهم بالظروف الطبيعية التي حاربوا فيها بأحلي بيان. (٤٤)

د- اللغات الأجنبية وسيلة وليست غاية

أوضح محمد عبده أن اللغة لا يصح أن تجعل غاية تقصد لذاتها، وانمـا هـي وسـيلة لتحصيل ما احتوت عليه تلك اللغة من العلوم والآداب والأفكار التي ربما لا تكون مبسوطة فـي اللغة الوطنية كما هي واضحة في اللغة الأجنبية، فطالب تعلم اللغة الفرنسية لا يعد مصيبا فـي طلبه إلا إذا طلب معها تعلم الفنون المتعلقة بهذه اللغة حتي يصل إلـي الفائـدة المقـصودة(٤٥)، ويتفق رأيه هذا مع ما تنادي به التربية الحديثة من ضرورة توظيف اللغة والنظر إليها علي أنها وسيلة وليست غاية في ذاتها.

هـ- أهمية الرياضيات والمواد العلمية وضرورة تجديد موضوعاتها

فقد أشار الإمام محمد عبده إلي أن "هذه العلوم ترتكز علي النظريات ولابد لهذه العلـوم من المداومة علي مراجعة نظرياتها وتحسينها، حتي أشدها استقرارا، فتقدم العلـم تقـدما غيـر منقطع لا يجعلنا نتصور أن ثمة حقيقة كاملة كمالا مطلقا".(٤٦)

"والرياضيات- كما يقول- هي بديهيات أولية تعتمد علي البرهنة والاستدلال كمـا فـي الهندسة والحساب"(٤٧)، "أما المواد العلمية فتتصل بالحقائق المحيطة بنا، ومنها الطبيعة والكيمياء والتاريخ الطبيعي وهي من العلوم اليقينية، ولا أدل علي صحتها من ظهور أثرها في الأعمـال العظيمة التي قلبت ما كان معروفا من حال المسكونة وسكانها، وهي تقوم علي الاستقراء وهـو ملاحظة الجزئيات المتعددة في الأحوال المختلفة والأزمان والأمكنة المتباينة من أجل الوصـول إلي الحكم الكلي اليقيني" لقد آمن الإمام محمد عبده بأن التقدم العصري رهين بالعلوم الطبيعيـة التي أهملناها وهجرناها، وقد سبقنا إليها المعتدون علينا ولم نلحقهم في غير القليل منها، وهـي حقيقة من بديهيات أيامنا هذه في مطلع القرن الحادي والعشرين، ولكن نابغتنا الإمام محمد عبده كان يقررها بعد منتصف القرن التاسع عشر حيث يقول:

"ليت شعري إذا كان هذا حالنا بالنسبة إلي علوم قد أرضعت ثدي الإسلام وغذيت بلبانه وتربت في حجره، وتقلدت في إيوانه منذ زمن يزيد علي ألف سنة، فما بالنا بالنسبة إلي علـوم طبيعية مفيدة هي من لوازم حياتنا في هذه الأزمان لابد لنا من اكتسابها وبذل الجهود في طلبها، ولكن صمت الآذان وعميت الأبصار".(٤٨)

و- الفنون العملية والموسيقي وقيمتها في التذوق

أبرز الامام محمد عبده أهمية الفنون العملية من رسم واشغال في تربية الذوق وتهـذيب الوجدان وأنها لغة نفسية تفوق في تعبيراتها أدق معاني الشعر.(٤٩)

وتعد الموسيقي في نظر الامام محمد عبده من الفنون التي ترمي إلي تربية الذوق حيث يقول: "وقوام الموسيقي النغم، وهو يمثل أعداد الحركات والاهتزازات التي تعـرض الـصوت، وعلي ذلك فالصلة وثيقة بين الموسيقي والحساب الذي يرتكز علي الأعداد، ولكـن الموسـيقي تتعلق بنوع من أنواع الأعداد وهو العارض للنغم".[٥٠]

ثانيا: أسس التدريس العامة

وضع الإمام محمد عبده في نهاية القرن الماضي ومطلع القرن العشرين، بعض الأسس العامة التي ينبغي أن يقوم عليها التدريس الجيد، لا تختلف عن الاتجاهات الحديثة التـي تنـادي التربية المعاصرة باتباعها في طرق التدريس، يمكن ابرازها كما يلي:

١-البعد عن الحفظ والتلقين واستخدام الفهم والتفكير

فقد كانت طرق التدريس وقتئذ تعتمد علي أساليب الحفظ والتلقـين، وأهملـت أسـاليب التفكير السليم، مما آثار انتقاد الاستاذ الامام لهذه الطرق العقيمة.

فقد أوضح الامام محمد عبده أن طريقة التدريس ينبغي أن تكون تعقلا وتبصرا لا حفظا ولقلقه[٥١]، فأول قاعدة في التدريس هي الابتعاد عن التعليم الحرفي الفارغ، طلبا للفهم، وتنميـة للادراك العقلي، ولذلك ينبغي للمعلم ان يهيئ تلاميذه للمزيد من الفهم، فيرغب الدرس إليهم كي يقبلوا بدافع من أنفسهم إلي طلبه.[٥٢]

والتعليم لا يكون فعالا – كما يري- إلا إذا قصد غايتين:

الأولي: العناية بتنمية الميزان العقلي الذي يدعم ملكـة المحاكمـة، ويـضبط الفكـر، ويقـوي الاستدلال، ويعصم الذهن من الخطأ.

الثانية: تنمية الاستقلال في التفكير، وتحرير الفرد من القيود والضغوط.[٥٣]

وهكذا دعا الامام محمد عبده إلي ما تنادي به التربية الحديثة من تدريب التلاميذ علـي أساليب التفكير السليم وممارستهم للحرية الفكرية.

٢-أن يكون التدريس قائما علي ايجابية التلميذ

فقد ذكر الامام محمد عبده أن المعلم إذا عود التلميذ أن يقول له كل شئ وأن يقوده فـي كل أمر وقف ذهنه عند حد الاتباع، وصعب عليه أن يحقق أمرا بنفسه، ينبغي أن يعود التلميـذ علي الوصول إلي الحقيقة بنفسه، فإذا وقع في الخطأ، يرشد إلي طريقة معرفة الخطأ والرجـوع إلي الصواب حتي تحصل له ملكة التمييز.[٥٤]

وفي ذلك يقول: "ولا يمكن أن تفرض الآراء والنظريات علي التلاميذ فرضا، بل تعرض عليهم لا لكي يختاروا ما وجدوا منها صوابا فحسب، بل لكي نـستحثهم علـي التفكيـر فيهـا ومناقشتها حتي يتعودوا الأخذ بما اقتنع به عقلهم، ورفض ما لم يجد في نفسهم قبولا".[55]

ويتمشي رأي الاستاذ الامام في ذلك مع ما تنادي به التربية الحديثة من ضرورة توجيه التلميذ إلي اكتساب المعلومات معتمدا علي نفسه، وأن يسعي وينشط ليحصل علي المعلومات، لا أن ينتظر المعلم ليقدمها له بطريقة مباشرة، فهذا يؤدي إلي سلبية التلميذ وعدم قدرته علي تعليم ذاته بعد خروجه إلي الحياة.

٣- التطبيـــق

من المعلوم أن التعليم خلال الفترة التي عاش فيها الاستاذ الامام كان تعليما لفظيا بعيـدا عن التطبيق، غير مؤثر في توجيه سلوك التلاميذ في الحاضر والمستقبل، وهذا ما أثـار انتقـاد محمد عبده تجاه هذا الأسلوب العقيم.

فقد بين الإمام محمد عبده أن ما يحفظ العلم هو العمل به، فالعلم الـصحيح هـو صـفة محكمة في النفس، حاكمة علي الإرادة توجهها إلي العمل [٥٦]، فالعقائد الدينية ينبغـي أن يوجـه التلاميذ إلي اتباعها في معاملاتهم، وقواعد اللغة العربية ينبغي تطبيقها في المكاتبـات العاديـة والعقود المتداولة بين الأهالي. [٥٧]

وهكذا دعا محمد عبده إلي ضرورة التحام الفكر بالعمل، وهو ما تؤكد عليـه التربيـة الحديثة، فما يتعلمه التلميذ لابد وأن تكون له قيمة حقيقية في حياتـه، ومـؤثرا علـي سـلوكه، ومحركا لطاقته نحو العمل والنشاط.

٤- استغلال البيئة والأحداث الجارية

من الاتجاهات الحديثة في التدريس استغلال البيئة كمعمل يتدرب فيـه التلاميـذ علـي المشاهدة المنظمة والرصد المستمر والكشف والدراسة للنشاط البشري بمختلف أنواعه، وربـط الدراسة بالأحداث الجارية حتي تصبح الدراسة حية والمعلومات واضحة، وحتي يدرك التلاميـذ أنهم يعالجون في دراستهم موضوع الحياة بأوسع معانيه. [٥٨]

وقد أكد الامام محمد عبده علي ضرورة تدريس مبادئ العلوم من وجهها العملي الـذي ينطبق علي المعاملات الجارية في البلاد، وتعويد التلاميذ علي ممارسة بعض الأعمال الزراعية والصناعية في البيئة، ويخصص يوم في الأسبوع يخرج فيه التلميذ إلي البيئـة لممارسـة هـذه الأعمال والتعرف علي مظاهرها. [٥٩]

ويتطابق هذا مع مفهوم التربية البيئية الذي ظهر حديثا في التربية، وهو يعنـي أساسـا بعملية تكوين الاتجاهات والقيم والمفاهيم والمهارات اللازمة لفهم العلاقات التـي تـربط بـين الانسان والمحيط الحيوي الفيزيقي المحيط به، بقصد المحافظة علـي مـصادر البيئـة وحـسن استغلالها، وتوجيهها لصالح الانسان، ورفع مستوي معيشته، واستبعاد الفكرة القائلة أن المعرفـة المجردة تعتبر مصدرا بديلا للمعرفة الطبيعية. [٦٠]

٥-مراعاة الفروق الفردية

من الاتجاهات الحديثة في طرق التدريس مراعاة الفروق بين التلاميذ، بحيـث تكـون طرق التدريس مرنة تعمل علي مراعاة الفروق بين التلاميذ في القدرات والاستعدادات والميول والأذواق، فالطريقة التي تصلح مع تلاميذ فصل قد لا تصلح مع تلاميذ فصل آخر، والتي تصلح في بيئة ريفية قد لا تصلح داخل بيئة حضرية، والمدرس الناجح هو من يلـم بمختلـف طـرق التدريس، بحيث يصبح في مقدوره انتقاء المناسب منها، واستخدام أكثـر مـن طريقـة واحـدة لمعالجة الموضوع الواحد، فان تنوع الطريقة فوق أنه أمر ضروري، يجدد نشاط التلاميذ ويزيد من فرص تعلمهم.

وقد أكد الامام محمد عبده علي مراعاة الفروق الفردية في التدريس، فقد ذكر أن المعلم يجب ان يكون بيده ميزان يزن به ذهن التلميذ ودرجة استعداده لقبول ما يقـول، فينـزل مـع المبتدئ إلي درجته ثم يرتفع شيئا فشيئا حتي يصل إلي الدرجة التي يتمكن بها التلميذ من ادراك دقيق المعاني، وعليه أن يستخدم الطرق الملائمة حسب أحوال المخاطبين، فإذا كان المخاطب لا يقتنع إلا بالبرهان فعليه أن يقيمه له، وان كان ممن لا يدرك البرهان ولكنه يقنع بالمسلمات مثلا سلك معه هذا السبيل.(٦١)

ثالثا: طرق التدريس الخاصة

أ-طرق تدريس الدين

يمكن ابراز اتجاهات تدريس الدين عند الإمام محمد عبده كما يلي:

١- **استغلال المشاعر والوجدان:** فقد أوضح الامام محمد عبده أن أسهل الطرق واقربها لتعلـيم الدين يكون باثارة مشاعر ووجدان التلميذ، فالطفل في صغره، بل والشاب في أول بلوغـه، يعسر عليه- لقلة التجربة- ان يفهم مضار الأشياء ومنافعها من حيث هي بطريقـة العقـل الصرف، خصوصا فيما يتعلق بالصفات التي يكثر حولها التضارب، يستحسن منهـا عنـد شخص ما يستقبح عند الآخر(٦٢). وينطبق هذا مع الاتجاهات الحديثة في تدريس الدين والتي تدعو إلي اثارة مشاعر وعواطف التلاميذ بحيث يعمل المعلم علي بث الروعة والخشوع في نفوس التلاميذ ومشاعرهم، وان يجعلهم يعيشون في جو روحي مقدس. (٦٣)

٢- **الممارسة والتطبيق:** فقد ابرز الامام محمد عبده "أن تعاليم الدين وأحكامه ينبغي ألا تكـون صورا نظرية يابسة لا روح فيها، بل يجب ان يعلم التلاميذ كيفية أدائها علي وجه أكمل"(٦٤)، ومن أجل ذلك شدد محمد عبده علي توجيه التلاميذ لممارسة الصلاة في مكاتبهم، وأن يكون أداؤهم لها جماعة مأموين بأحد معلمي القرآن "إن تعاليم الدين ينبغيأن تتحول إلـي مظـاهر سلوكية حية حقيقية، يشهد أثرها الناس جميعا".(٦٥)

وهكذا يؤكد الامام محمد عبده علي أهمية الممارسة والتطبيق في تدريس الدين، وهو ما نردده الآن من ان الدين وتعاليمه سلوك وعمل، وليس حفظا واستظهارا.

٣- **القدوة:** وتعني القدوة عند الامام محمد عبده أن يكون المعلم مثلا طيبا في سلوكه وأخلاقه امام تلاميذه، فيعمل التلاميذ علي الاقتداء به... وهو ينتقد رجال الارشاد والتربية الذين لا تتطابق أقوالهم مع أفعالهم، فهم نماذج سيئة لا يصح الاقتداء بها" فمن أخـس الأوصـاف وأدناها أن يقول الانسان ما لا يفعل، وان يعيب علي الناس ما لا يعيبه هو علي نفسه".(٦٦)

٤- **التدرج في تدريس الدين حسب أعمار التلاميذ ونضجهم العقلي:** فقد أوضح الامام محمـد عبده انه ينبغي ان يكون هناك تدرج في تدريس الدين حسب أعمار التلاميـذ ونـضجهم العقلي، ففي الصغر يكون الاهتمام موجها إلي حفظ آيات القرآن الكـريم وقواعـد الـدين وأحكامه عن ظهر قلب، لأن ذاكرة الطفل تكون قوية ومداركه العقليـة محـدودة، وفـي الشباب يتجه الاهتمام إلي فهم معناها فهما جيدا، واستخدام الاستدلال الصحيح وخاصة في علوم التوحيد التي تحتاج إلي أدلة وبراهين(٦٧)، وذلك يتفق مع أساليب التربية الحديثة التي تنادي باستغلال ذاكرة الطفل القوية أثناء الطفولة في الاستظهار والحفظ.

ب- طرق تدريس علوم اللغة العربية

١- طرق تدريس النحو

يري الاستاذ الامام محمد عبده أن ما يؤخذ من قواعد النحو ينبغي أن يكون مـصحوبا بالعمل في المكاتبات العادية والمشاركات (العقود والصكوك) المتداولة بين الأهـالي، حتـي إذا خرج التلميذ من المدرسة يكون عنده ما يحتاج إليه شخصه أو عائلته وأقاربه واهل بلده. (٦٨)

والواقع أن تعليم النحو في مجتمعنا في الوقت الحالي لا يتوافر إلا داخل الفـصول فـي مدارسنا ولا يستفيد منه التلاميذ في معاملاتهم داخل المجتمع وأصـبحت اللغـة العاميـة هـي المسيطرة علي مناحي حياتنا وفي أجهزة الثقافة والاعلام الأمر الذي يهدد اللغة العربية الفصحي مما يتطلب التصدي لهذه الظاهرة.

٢- طرق تدريس البلاغة

يري الاستاذ الامام محمد عبده ان تدريس البلاغة ينبغي ان يرتكز علي الذوق، فالناشئ مهما عرف من قواعد البلاغة لا يفيده ذلك شيئا الا ان تكون له بـصيرة نافـذة تلـذ الجمـال الفني.(٦٩)

ويرد علي الذين ينكرون دور الذوق في فهم البلاغة ويعتبرون "ان الاحالة الي الـذوق فيها إحالة علي مجهول، ولا تقوم به صحة، ولا ثبت به مدلول، لأن الذوق المعنـوي كالحـسي خاص يصاحبه".

ويرمي أصحاب هذا الرأي بالجهل وفساد الذوق لأنهم تركوا مدراسة الكلام البليغ واقتصروا علي مدارسة كتب من النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع هي أدني ما وضع في فنونها فصاحة وبيانا، وأشدها عجمة وتعقيدا، وهي الكتب التي اقتصر مؤلفوها علي سرد القواعد بعبارة فنية دقيقة بعيدة عن فصاحة أهل اللغة، وعن بيان المتقدمين. (٧٠)

وهو يرجع فساد الذوق إلي فساد المنهج التعليمي لمصادر البيان وعقم المؤلفات اللغوية والبلاغية. (٧١)

٣- الأدب

أبرز الاستاذ الامام محمد عبده ان تدريس الأدب ينبغي ان يرتكز علي النقد، فعن طريق النقد نستطيع التعرف علي مواطن الجمال في النماذج الأدبية. وهو يري أن الأديب الموهوب عليه أن يتخير من ألفاظ اللغة ما تؤائم حال المخاطبين مواءمة تساعده علي تحقيق التأثير في نفوس المخاطبين. (٧٢)

ولا ينسي اثر الصوت في التأثير ومساعدة المتكلم في البلوغ إلي ما يريد من نفس المخاطب فيقول: "إذا كان الصوت رخيما في اللفظ، فصيحا أخذ بالقلب إلي ما يريد المتكلم وفتن العقل عن رشاده وخدعه عن مراده.(٧٣)

ج- طرق تدريس التاريخ والجغرفيا

من الاتجاهات الحديثة التي نادي بها الاستاذ الامام محمد عبده في تدريس التاريخ والجغرافيا ما يلي:

١- استخدام القصة في تدريس التاريخ

تؤكد الاتجاهات الحديثة في تدريس التاريخ ان القصة وسيلة ايضاح لفظية مناسبة للتلاميذ، نظرا لما لها من تأثير عميق في نفوس التلاميذ، ومن قدرة فائقة علي جذب انتباههم، ومساعدتهم علي تتبع الحوادث، والتفكير فيها والحكم عليها.(٧٤)

وتعتبر القصة في نظر الامام محمد عبده من أهم وسائل تدريس التاريخ "والقصة ليس الهدف منها بيان تاريخ حدوثها أو التفكه بها أو الاحاطة بتفاصيلها، وإنما الهدف منها العظة والعبرة (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) يوسف: ١١".

وهو ينبه إلي أنه "يكتفي في القصة بموضع العبرة ومحل الفائدة، لان التفصيل في جزئياتها ربما يشغلنا عن العبرة، والمؤرخون الراقون في هذه الأزمنة يذكرون من وقائع التاريخ ما يستنبطون منه الأحكام الاجتماعية وهي الأمور الكلية، ولا يحفلون بالجزئيات لما يقع فيها من الخلاف الذي يذهب بالثقة، ولما في قراءتها من الاسراف في الزمن والاضاعة في العمر بغير فائدة توازيه، وبهذه الطريقة يمكن ايداع ما عرف من تاريخ العالم في مجلد واحد

يوثق به ويستفاد منه، فلا يكون عرضة للتكذيب والطعن كما هو الشأن فـي المـصنفات التـي تستقصي الوقائع الجزئية مفصلة تفصيلا".[٧٥]

ويتفق رأي الاستاذ الامام في هذا الشأن مع ما تنادي به الاتجاهات الحديثة في تـدريس التاريخ من أن القصة يجب أن تكون بسيطة تدور حول موضـوعات قليلـة، فـإن ازدحامهـا بالحقائق التاريخية يجعلها ثقيلة مملة عاجزة عن تزويد التلاميذ بالمعاني والنتائج المطلوبة.

٢-أهمية الرحلات

تؤكد التربية الحديثة علي قيمة الرحلات في إشعار التلاميذ بواقعية ما يدرسـون وفـي استثارة ميلهم، ويلاحظ ان الموضوعات التي يكتسبها التلاميذ من الزيارة أو الرحلة تكون دائما أكثر وضوحا وثباتا من المعلومات التي يسمعونها عن العالم أو يقرأونها في الكتب.

وقد نوه الامام محمد عبده بأهمية الرحلات في تدريس الجغرافيا، فهي تفيد في معرفـة مناطق وأقاليم كان يجهلها الانسان، وهي تمثل خبرة حية يكتسب الفرد عن طريقهـا معـارف محسوسة تثبت في الذهن ولا تزول[٧٦]، وهذا هو الاتجاه السائد الآن.

د-طرق تدريس العلوم الطبيعية

أشار محمد عبده إلي أهمية الطريقة الاستقرائية في مجال العلوم الطبيعية حيـث تقـوم نظرياتها علي ملاحظة الجزئيات المتعددة في الأحوال المختلفة والأمكنة والأزمنة المتباينة فـي سبيل الوصول إلي حكم كلي.[٧٧]

والاتجاه الحديث في تدريس الرياضـيات والعلـوم، يقـوم علـي اسـتخدام الطريقـة الاستقرائية، فمن مزايا هذه الطريقة ان المعلومات تثبت في ذهن التلميذ لمـدة أطـول، لأنهـا توصله إلي القواعد بنفسه، كما يمكنه أن يطبق التعميمات التي توصل إليها بسهولة اكبـر مـن التعميمات التي تقدم له.[٧٨]

رابعا: المعلمون

إذا كانت مواد الدراسة وطرق التعليم من الوسائل اللازمـة لتحقيـق أهـداف العمليـة التعليمية، فإن المعلم هو الذي يقوم بتنفيذها، وعليه يتوقف نجاحها أو فشلها، وقد فطـن وتنبـه الامام محمد عبده في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين إلي أهمية اعداد المعلـم، وقام بتحديد المواصفات اللازمة لاعداده وهي لا تنقص كثيرا عما يقال الآن في اعداد المعلمين.

خصائص المعلم:

حدد الامام محمد عبده خصائص المعلم كما يلي:

١-خصائص أخلاقية

فقد أشار الإمام محمد عبده إلي أن المعلم "لابد أن يتصف بالأخلاق الفاضـلة، كالعفـة والنزاهة والغيرة علي نفع من وكل أمرهم إليه، وأداء ما وجب في ذمته، حتـي يكـون حالـه وكماله درسا آخر يعطي للتلاميذ في كل يوم، فتنطبع هذه الكمالات في نفوسهم بأشد من انطباع صور المعلومات في عقولهم".(٧٩)

وكان يحث المعلمين علي توخي العدالة في تعاملهم مع التلاميذ، "فلا يجـوز للمعلـم أن يصرف الوقت في تعليم تلميذ او جملة من التلاميذ ويهمل الآخرين، بل يجب عليه افادة الجميـع والاعتناء بهم علي السواء". (٨٠) وهكذا يضع الاستاذ الامام دستور أخلاقـي ينبغـي أن يلتـزم المعلمون به.

٢-خصائص مهنية

بين الامام محمد عبده أن المعلم ينبغي أن يكون متمكنا من مادته ولديـه القـدرة علـي توصيلها للتلاميذ باتقان، ولهذا فهو ينادي بأن يكون اختيار المعلمين دقيقا وقائما علي الاختبـار، ولا يقصد بالامتحان الا بالسؤال في الفن الذي يعلمه فإذا تبين أنه يمكن الاحاطة بمـسائله عـد عارفا، ثم يطلب منه كيفية تدريس هذا الفن، فرب عارف بمسائل الفـن لا يـستطيع ممارسـة تدريسه. (٨١)

وللمعلم أن يتبع الطريقة المناسبة في التدريس، وأن يقسم المادة الدراسية علـي شـهور السنة بالطريقة التي تروقه، بشرط أن يكون هناك تناسبا بين زمـن الدراسـة والمـادة المـراد تعليمها. (٨٢)

وهكذا يوصي الامام محمد عبده بضرورة التدقيق في اختيار المعلم، واجـراء اختبـار شخصي له للتأكد من صلاحيته لممارسة مهنة التدريس ايمانا منه بخطورة المهمة التي يقوم بها، وأن يجمع اعداده بين إتقان المادة وجودة الطريقة، وهي أمور تهتم بها التربية في العصر الحالي وتراعيها كليات التربية في اختيار المتقدمين لمهنة التدريس.

٣-خصائص نفسية

أوصي الامام محمد عبده بأن يتصف المعلم بضبط النفس والهـدوء، فـإذا أراد تقـويم أخلاق التلاميذ نتيجة خطأ ارتكبوه، فلا يجوز له استخدام العقوبات البدنية "فالمعاقبة علي الذنب بالاهانة والقسوة تؤدب النفس لأنها تخفي الصفات الذميمة، ولكن لا تمحوها بل تزيدها وتقويهـا فتكون كامنة، حتي إذا تسني لها الظهور تظهر في أقبح الصور، وأما الـذي يمحـو الأخـلاق

الذميمة فهو الاقتناع بقبحها وضررها، وحسن المعاملة وتكريم النفس حتي تتعفف عن الشوائن، وتبتعد عن كل ما ينافي الشرف".[٨٣]

وهكذا كان الاستاذ الامام حريصا علي كرامة التلاميذ في وقت كان العقاب البدني هو الأسلوب المتبع في معاملة التلاميذ، وقد كان الاستاذ الامام يرفض هذا الأسلوب ويستنكره مؤثرا عليه أسلوب التوجيه والإرشاد، وهو ما تدعو إليه التربية الحديثة.

أهمية التوجيه الفني للمعلم

التوجيه الفني هو خدمة تربوية تهدف أساسا إلي تحسين الموقف التعليمي، وذلك عن طريق الاهتمام بالنمو المهني للمعلمين وتحسين جميع العوامل والظروف التي تؤثر في تعليم التلاميذ.

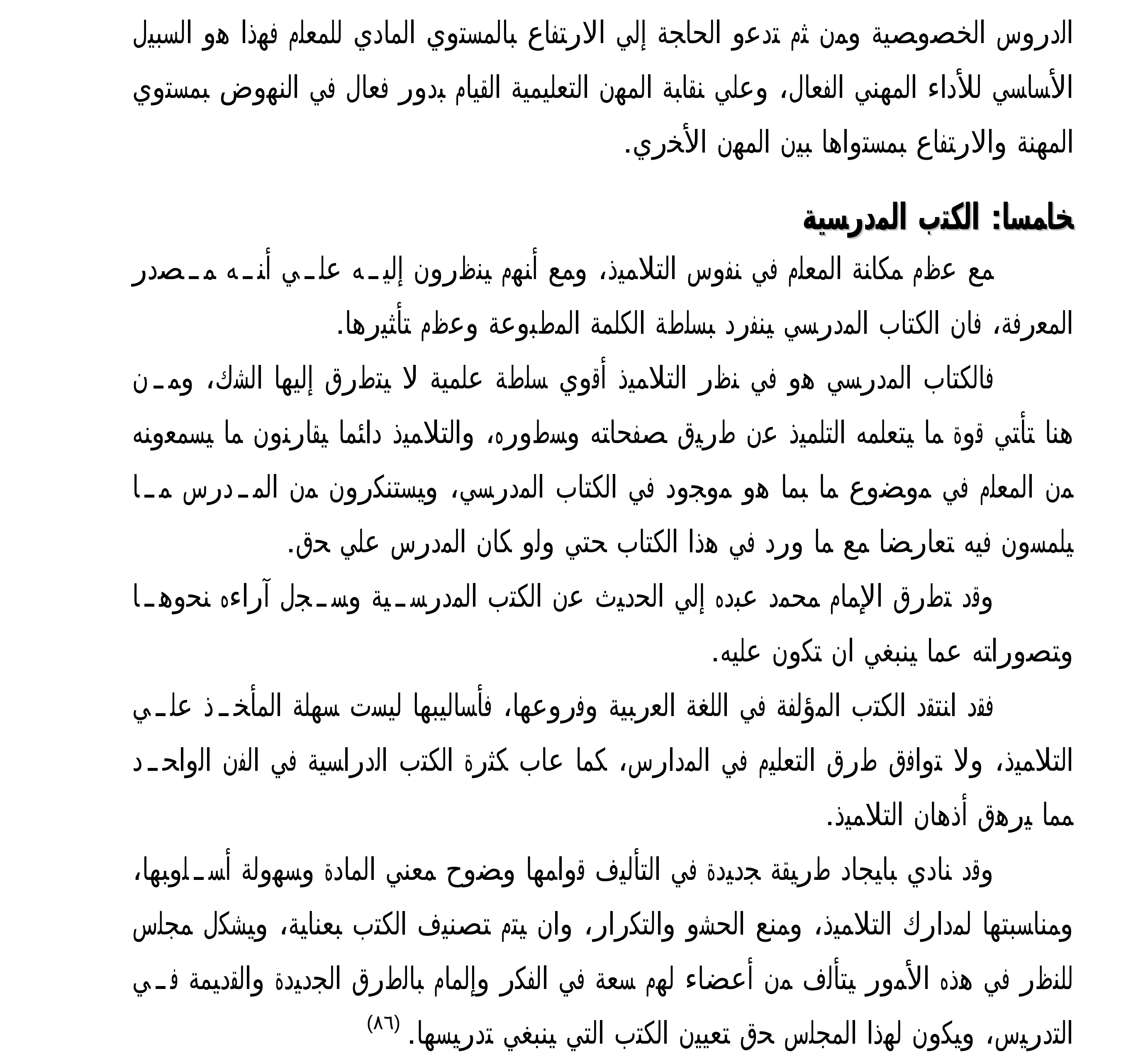
ولم يلق التوجيه الفني العناية الكافية من قبل المسئولين الا منذ عهد قريب نتيجة التوسع في التعليم كما وكيفا، وما ترتب علي ذلك من ضرورة الاهتمام برفع مستوي كفايتهم مما يؤكد أهمية التوجيه الفني وضرورته في العملية التعليمية.

وقد أبرز الإمام محمد عبده في أواخر القرن التاسع عشر اهمية متابعة المعلمين وتوجيههم الفني في ارتفاع مستواهم المهني. "فالنشرات والتعليمات والأوامر التي ترسلها النظارة إلي المدارس هي أمور لا تكفي، وتكون المتابعة باختيار اشخاص من العرفاء (الموجهين) في كل فن مخصوص، ومن ذوي الفراسة والخبرة والأمانة والصدق، ليطوفوا علي المكاتب الابتدائية والمدارس الخصوصية كل اسبوع أو خمسة عشر يوما، ليقفوا علي أحوال تلاميذ جميع المدارس، ويقدموا للمعلمين جميع ما يرونه من الملاحظات علي وجه الدقة التامة، فإن رأوا نقصا عرفوا سببه ومن أي الجهات منبعه، فإن كان اعوجاجا في طريق التعليم أرشدوا المعلم بأنفسهم وبينوا له الطريق السليم مرة بعد أخري، فان اعتدل والا اعتزل ويكون أولئك الموجهين تحت مسئولية شديدة إذا ظهر فيما بعد نقص ولم يكونوا قد نبهوا عليه".[٨٤]

تحسين المستوي المادي للمعلم

أحس الاستاذ الامام محمد عبده بما كان يعانيه المعلمون من انخفاض في الأجور والرواتب وطالب بالارتفاع بمستواه المادي ضمانا لحسن أدائه ورفعا لروحه المعنوية.

فقد نادي برفع أجر المعلم ومنح الحوافز والمكافأت المادية للنظار والمعلمين الممتازين الذين يحققون نتائج عالية في الامتحانات حيث يقول: "إن رفع أجر المعلم أمر واجب، وان مكافأة الدينار والدرهم يجب ان تمنح لمن أظهر الامتحان اجتهادهم من النظار والمعلمين، ان مكافأة الشكر والثناء وان كانت واجبة، وهي من أجل المكافأت وأجملها، ولها تأثير في جلب الرغبات وتقوية العزائم، لكنها لا تلتصق بالقلب التصاق النقود والمساعدة المعاشية".[٨٥]



وللأسف الشديد فما زال اجر المعلم في الوقت الحالي بمصر أقل من نظرائه في الوظائف الأخري الأمر الذي اثر علي نفسية المعلمين وعلي ادائهم المهني، واتجاههم إلي الدروس الخصوصية ومن ثم تدعو الحاجة إلي الارتفاع بالمستوي المادي للمعلم فهذا هو السبيل الأساسي للأداء المهني الفعال، وعلي نقابة المهن التعليمية القيام بدور فعال في النهوض بمستوي المهنة والارتفاع بمستواها بين المهن الأخري.

خامسا: الكتب المدرسية

مع عظم مكانة المعلم في نفوس التلاميذ، ومع أنهم ينظرون إليه علي أنه مصدر المعرفة، فان الكتاب المدرسي ينفرد بسلطة الكلمة المطبوعة وعظم تأثيرها.

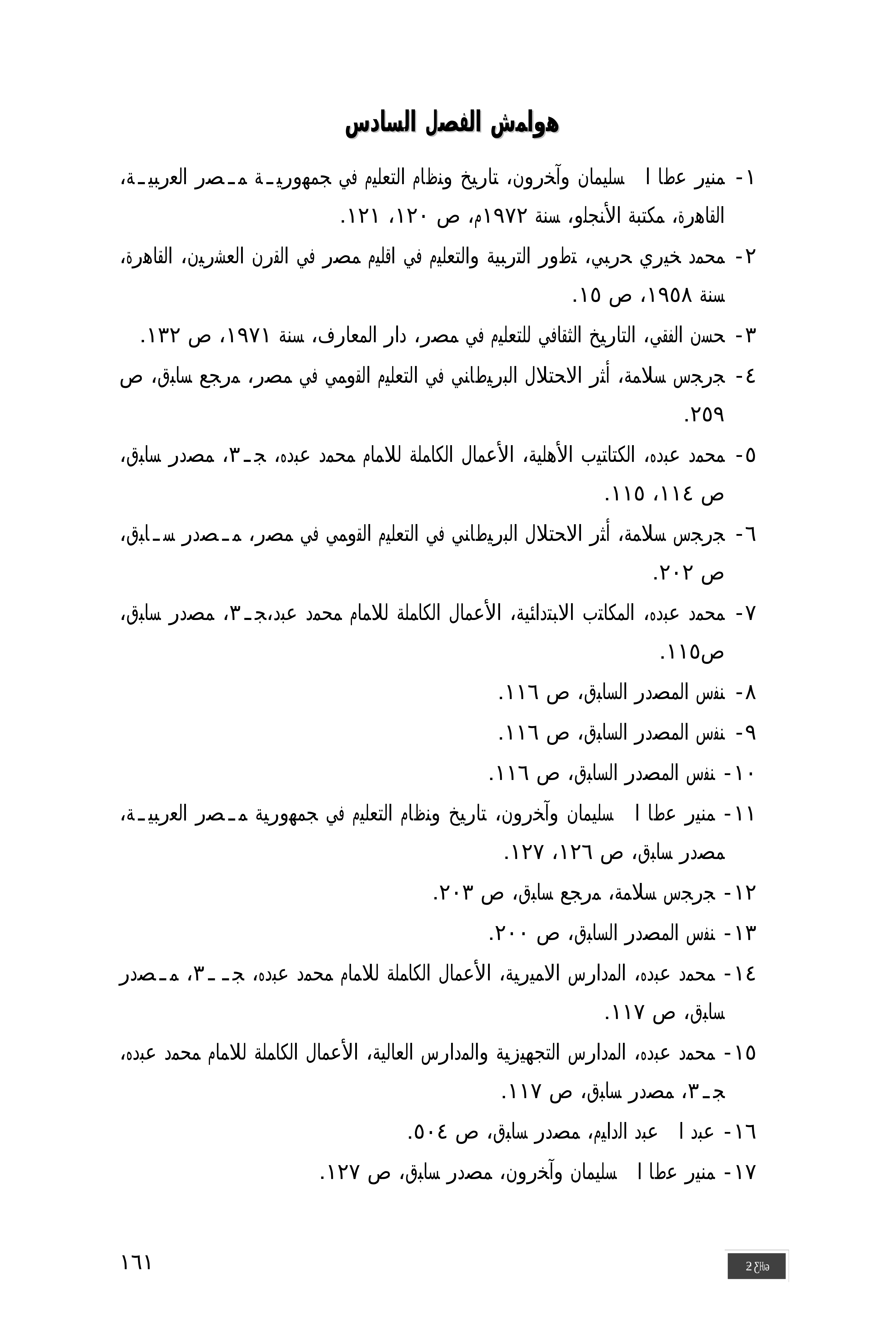
فالكتاب المدرسي هو في نظر التلاميذ أقوي سلطة علمية لا يتطرق إليها الشك، ومن هنا تأتي قوة ما يتعلمه التلميذ عن طريق صفحاته وسطوره، والتلاميذ دائما يقارنون ما يسمعونه من المعلم في موضوع ما بما هو موجود في الكتاب المدرسي، ويستنكرون من المدرس ما يلمسون فيه تعارضا مع ما ورد في هذا الكتاب حتي ولو كان المدرس علي حق.

وقد تطرق الإمام محمد عبده إلي الحديث عن الكتب المدرسية وسجل آراءه نحوها وتصوراته عما ينبغي ان تكون عليه.

فقد انتقد الكتب المؤلفة في اللغة العربية وفروعها، فأساليبها ليست سهلة المأخذ علي التلاميذ، ولا توافق طرق التعليم في المدارس، كما عاب كثرة الكتب الدراسية في الفن الواحد مما يرهق أذهان التلاميذ.

وقد نادي بايجاد طريقة جديدة في التأليف قوامها وضوح معني المادة وسهولة أسلوبها، ومناسبتها لمدارك التلاميذ، ومنع الحشو والتكرار، وان يتم تصنيف الكتب بعناية، ويشكل مجلس للنظر في هذه الأمور يتألف من أعضاء لهم سعة في الفكر وإلمام بالطرق الجديدة والقديمة في التدريس، ويكون لهذا المجلس حق تعيين الكتب التي ينبغي تدريسها.[٨٦]

وهكذا يضع الامام محمد عبده مواصفات هامة ينبغي ان تراعي في الكتب المدرسية كوضوح مادتها ومناسبتها لمستوي التلاميذ، ومنع الحشو والتكرار فيها وهو ما يوصي به الخبراء والمتخصصون في المناهج في عالمنا المعاصر.



هوامش الفصل السادس

١- منير عطا ا سليمان وآخرون، تاريخ ونظام التعليم في جمهوريـة مـصر العربيـة، القاهرة، مكتبة الأنجلو، سنة ١٩٧٢م، ص ١٢٠، ١٢١.

٢- محمد خيري حربي، تطور التربية والتعليم في اقليم مصر في القرن العشرين، القاهرة، سنة ١٩٥٨، ص ١٥.

٣- حسن الفقي، التاريخ الثقافي للتعليم في مصر، دار المعارف، سنة ١٩٧١، ص ١٣٢.

٤- جرجس سلامة، أثر الاحتلال البريطاني في التعليم القومي في مصر، مرجع سابق، ص ٢٥٩.

٥- محمد عبده، الكتاتيب الأهلية، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ١١٤، ١١٥.

٦- جرجس سلامة، أثر الاحتلال البريطاني في التعليم القومي في مصر، مـصدر سـابق، ص ٢٠٢.

٧- محمد عبده، المكاتب الابتدائية، الأعمال الكاملة للامام محمد عبد،جـ٣، مصدر سابق، ص١١٥.

٨- نفس المصدر السابق، ص ١١٦.

٩- نفس المصدر السابق، ص ١١٦.

١٠- نفس المصدر السابق، ص ١١٦.

١١- منير عطا ا سليمان وآخرون، تاريخ ونظام التعليم في جمهورية مـصر العربيـة، مصدر سابق، ص ١٢٦، ١٢٧.

١٢- جرجس سلامة، مرجع سابق، ص ٢٠٣.

١٣- نفس المصدر السابق، ص ٢٠٠.

١٤- محمد عبده، المدارس الاميرية، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ ـ٣، مـصدر سابق، ص ١١٧.

١٥- محمد عبده، المدارس التجهيزية والمدارس العالية، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ١١٧.

١٦- عبد ا عبد الدايم، مصدر سابق، ص ٥٠٤.

١٧- منير عطا ا سليمان وآخرون، مصدر سابق، ص ١٢٧.

١٨- محمد عبده، وصية سياسية للمرحوم محمد عبده مفتي الديار المصرية، نشرها المسيو دوجرفيل في مايو سنة ١٩٠٥ (انظر: عثمان امين، رائد الفكـر المـصري، مـصدر سابق، ص ٢٥١).

١٩- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ١، مصدر سابق، ص ٧٣٩.

٢٠- نفس المصدر السابق، ص ١١.

٢١- نفس المصدر السابق، ص ٧٦٤.

٢٢- نفس المصدر السابق، ص ١٤٦.

٢٣- نعيم عطية، معالم الفكر التربوي في البلاد العربية في المائة سنة الأخيـرة، مـصدر سابق، ص ٤٢٧.

٢٤- الوقائع المصرية، العدد ١٣٥٢ في ٥ مارس ١٨٨٢.

٢٥- نعيم عطية، مصدر سابق، ص ٤٢٧.

٢٦- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ١، مرجع سـابق، ص ١٤١، ١٤٥.

٢٧- محمد عبده، تعليم أولاد الفقراء، الاعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ ـ٣، مـصدر سابق، ص ١٦٠- ١٦١.

٢٨- محمد عبده، التربية في المدارس والمكاتب الأميرية، مصدر سابق، ص ٢٨.

٢٩- محمد عبده، العلوم الاسلامية، الأعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ ـ٣، مـصدر سابق، ص ١٤٣.

٣٠- نفس المصدر السابق، ص ١٤٤.

٣١- محمد عبده، رسالة التوحيد، الاعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ٣٥٥.

٣٢- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٥، مـصدر سابق، ص ٩.

٣٣- نفس المصدر السابق، ص ٤٣.

٣٤- محمد عبده، العلوم الاسلامية، الاعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ ـ٣، مـصدر سابق، ص ١٤٤.

٣٥- نفس المصدر السابق، ص ١٤٦.



٣٦- عبد المنعم شميس، محمد عبده، الجديد، العدد ٢٤٢ اول فبراير١٩٨٢، ص ١٤.

٣٧- محمد عبده، العلوم الاسلامية، الاعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ ـ٣، مـصدر سابق، ص ١٤٦.

٣٨- صلاح الدين حمزة، الامام محمد عبده وآراؤه النقدية والبلاغيـة، مطبعـة عابـدين، ١٩٨٤، ص ٧٧.

٣٩- نفس المرجع السابق، ص ٧٨.

٤٠- تفسير المنار، جـ ١، مصدر سابق، ص ٤٠٣.

٤١- محمد عبده، شرح مقامات بديع الزمان،ط١، بيروت، ١٩٥٥،ص ٦٧

٤٢- تفسير المنار، مرجع سابق، ص- ص ٢٠٢- ٢٠٣.

٤٣- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ ٤، مـصدر سابق، ص ١٨٠.

٤٤- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ ٥، مـصدر سابق، ص ٦٧.

٤٥- محمد عبده، المعارف، الوقائع المصرية، العدد ٩٩٧ في ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٨٠.

٤٦- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ ٤، مـصدر سابق، ص ٧٥٢.

٤٧- محمد عبده، العلوم الكلامية والدعوة إلي العلوم العصرية، الأعمـال الكاملـة للإمـام محمد عبده، جـ ٣، مصدر سابق، ص ١٧.

٤٨- محمد عبده، الاستقراء والتجربة، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ ٢، مـصدر سابق، ص ٤٥١.

٤٩- محمد عبده، الصور والتماثيل وفوائدها وحكمها، الأعمال الكاملة للامام محمد عبـده، مصدر سابق، ص٢٠٤.

٥٠- محمد عبده، تعليقات الاستاذ الامام محمد عبده علي البـصائر النـصيرية، الأعمـال الكاملة للامام محمد عبده، جـ ٢، مصدر سابق، ص ١٦٤.

٥١- محمد عبده، الوقائع المصرية، العدد ٩٩٣ في ٣ ديسمبر سنة ١٨٨١.

٥٢- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ ١، مصدر سابق، ص ٤٤١.

٥٣- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ٢، مصدر سابق، ص ٥٨.

٥٤- محمد عبده، أسهل طريق تعليم البيان، الأعمال الكاملة للامام محمـد عبـده، جـ ٣ مصدر سابق، ص ١٤٩.

٥٥- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام محمد عبده، جـ١، مصدر سابق، ص ٧٦٤.

٥٦- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٤، مـصدر سابق، ص ٧٩.

٥٧- محمد عبده، المكاتب الابتدائية، مصدر سابق، ص ١١٥.

٥٨- حليم جريس، المواد الاجتماعية، أهدافها ومناهجها وطرق تدريسها، مـصدر سـابق، ص ٨٥، ١٥٠.

٥٩- محمد عبده، المكاتب الرسمية الابتدائية، الاعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ ٣، مصدر سابق، ص ١١٥.

٦٠- احمد حسين اللقاني، اتجاهات في تدريس التاريخ، القاهرة، عالم الكتب، سـنة ١٩٧٩، ص ١٠٦.

٦١- محمد عبده، العلوم الاسلامية، الأعمال الكاملة للامام محمد عبـده، جـ ٣، مـصدر سابق، ص ١٤٤- ١٤٦.

٦٢- محمد عبده،التربية في المدارس والمكاتب الاميرية، مصدر سابق، ص ٢٨

٦٣- معروف رزيق، كيف تلقي درسا، بيروت، دار الملايين، سنة ١٩٧٦،ص ٩٨.

٦٤- محمد عبده،التربية في المدارس والمكاتب الأميرية،مصدر سابق، ص ٢٩.

٦٥- نفس المصدر السابقن ص ٣٠.

٦٦- محمد عبده، التربية في المدارس والمكاتب الاميرية،مصدر سابق، ص٢٨

٦٧- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ٢، مصدر سابق، ص ٩٦.

٦٨- محمد عبده، المكاتب الرسمية الابتدائية، مصدر سابق، ص ١١٥.

٦٩- صحيفة الجريدة ٣ مايو ١٩١٤ نقلا من كتاب آثـار مـصطفي عبـد الـرازق، دار المعارف، جـ٢، ١٩٤٦، ص ٨٣.

٧٠- تفسير المنار، جـ١، مصدر سابق، ص ٤٠٣.

٧١- نفس المصدر، ص ٤٠٢.

٧٢- محمد عبده، تفسير سورة الفاتحة، مصدر سابق، ص-ص ٢١٩-٢٢٥.

٧٣- محمد عبده، شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، ط١، بيروت، ١٩٤٨، ص٤٩.

٧٤- حليم جريس، المواد الاجتماعية، أهدافها، ومناهجها وطرق تدريسها، مرجـع سـابق، ص ١٥٩.

٧٥- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٤، مـصدر سابق، ص ٧٠٤، ٧٠٥.

٧٦- قدري قلعجي، ثلاثة من أعلام الحرية، بيـروت، دار الكاتـب العربـي، (د.ت)، ص ٢٩٦.

٧٧- محمد عبده، الاستقراء والتجربة، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٢، مـصدر سابق، ص ٤٥١.

٧٨- ابراهيم عصمت مطاوع وواصف عزيز واصف، التربيـة العمليـة وأسـس طـرق التدريس، القاهرة، دار المعارف، سنة ١٩٨١، ص ٣١.

٧٩- محمد عبده، المعارف الوقائع المصرية، العدد ٩٩٣ في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨٠ (٢١ محرم سنة ١٢٩٨هـ).

٨٠- محمد عبده، نظام مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية، القاهرة، مطبعة المؤيـد، سـنة ١٩٠٢، ص ٩.

٨١- محمد عبده، المعارف، الوقائع المصرية، مصدر سابق.

٨٢- محمد عبده،نظام مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية، مصدر سابق،ص ٤٠

٨٣- محمد عبده، خطاب القاه الاستاذ الامام محمد عبده في حفل افتتاح المدرسة الابتدائيـة بالمحلة الكبري سنة ١٩٠٤، الأعمال الكاملة للأمام محمد عبده، جـ٣، مصدر سـابق، ص ١٦٨- ١٦٩.

٨٤- محمد عبده، المعارف، الوقائع المصرية، العدد ٩٩٣ في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨٠.

٨٥- نفس المصدر السابق.

٨٦- محمد عبده، المعارف، الوقائع المصرية، العدد ٩٩٣ في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨٠، ٢١ محرم سنة ١٢٩٨.

الفصل السابع

التعليم والإصلاح الاجتماعي

التعليم والإصلاح الاجتماعي

مفهوم الإصلاح الاجتماعي وعلاقته بالتعليم

للتعليم علاقة وثيقة بالإصلاح الاجتماعي وقبل أن نتناول طبيعة هذه العلاقة ينبغـي أن نتعرف أولا علي مفهوم الإصلاح الاجتماعي.

يقصد بالإصلاح الاجتماعي المحاولات والجهود المبذولة لتغيير نموذج مـن النمـاذج الاجتماعية أملا في الوصول إلي تحسين ذلك النموذج، وحركات الإصلاح الاجتماعي تنزع إلي تخفيف مساؤي النظام الاجتماعي، وتصحيح الأوضاع الفاسدة، وذلك عن طريق تعديل بعـض النظم الاجتماعية دون أن يؤدي ذلك إلي تغيير البناء الأساسي للمجتمع.[١]

والإصلاح الاجتماعي ليس حركة آلية تلقائية، ولكنه حركة واعية تتم تحت تأثير بعـض القوي الإيجابية الهادفة، وهو وليد حاجة اجتماعية وليس مفروضا من سلطة عليا.

والإصلاح الاجتماعي ليس معناه رفض الماضي برمته، أو إهمال الحاضر الذي يحمـل في ثناياه عناصر الماضي أو التطلع إلي مستقبل لا يتصل بواقع حياة المجتمع، بل هـو عمليـة انتقاء من الماضي وتحليل للحاضر، وتنظيم له في ضوء تصور المستقبل بامكانياته واحتمالاتـه التي لا يمكن التنبؤ بها وتوقعها.[٢]

والإصلاح الاجتماعي من أشق ميادين العمل، لأنه يواجه شتي ضروب الطبيعة البشرية المعقدة والمشاكل الاجتماعية المتراكمة، وليس من السهل إجراء التجارب المعملية في مثل هـذه المسائل، ولا من الميسور الوصول بها إلي مرتبة الدقة والضبط شـبيهة بمـا فـي الحـسابات الاحصائية والعمليات الميكانيكية.[٣]

والاصلاح الاجتماعي ليس غاية في ذاته بل هو وسيلة لتطوير الواقع وحل مشكلاته... وقد ينحصر الاصلاح الاجتماعي في جانب معين، وقد يكون شاملا أكثر من جانب، وإن كـان من المشاهد أن الاصلاح الاجتماعي كلما كان شاملا كلما كان ذلك أدي إلي عظم نتائجه.[٤]

ويتطلب الاصلاح الاجتماعي اقتناع أكبر عدد من الأفراد به وأن يكـون قائمـا علـي دراسة علمية بعيدة عن الارتجال، وأن يراعي الاطار الثقافي للجماعة ولا يخرج عليه، ومن هنا يختلف الاصلاح الاجتماعي عن الطفرة الاجتماعية التي تـؤدي إلـي تحطـيم القـيم الثقافيـة للجماعة.[٥]

ويلعب التعليم دورا هاما في إحداث الاصلاح الاجتماعي كما أنه يتأثر بحدوثه، فالعلاقة بينهما علاقة تفاعل بمعني أن كل منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به.

وقد أكد كثير من الفلاسفة وعلماء التربية علي أهمية الدور الذي يقوم به التعليم في إحداث الاصلاح الاجتاعي، فقد وضع أفلاطون مدينته الفاضلة علي أسس تربوية كما كان الفيلسوف الألماني كانت (١٧٢٤- ١٨٠٤) يؤمن إيمانا كبيرا بالدور الذي يجب أن يقوم به التعليم في تحسين العالم وتطويره، وقد اتجه المربي السويسري بستالوتزي (١٧٤٦- ١٨٢٧) إلي التعليم بعد أن فشل في ميدان الاصلاح السياسي ليتخذ منه وسيلة لتنمية المجتمع وإصلاحه، فوجه اهتمامه إلي تعليم أبناء الفقراء.[٦]

وقد اتفقت فلسفات التربية علي الدور الهام الذي يلعبه التعليم في تحقيق الاصلاح الاجتماعي وإن اختلفت نظرتها في تحقيق ذلك، فالفلسفة البرجماتية التي يعد جون ديوي من أبرز زعمائها تري ان المدرسة ليست مطالبة بوضع برنامج للاصلاح الاجتماعي، وأن مهمتها تتمثل في إعداد كوارد مدربة علي حل المشكلات بأسلوب علمي، بقصد اعدادهم لمواجهة مشكلات الحياة وعلي ذلك يجب أن يدور المنهج حول مشكلات اجتماعية.[٧]

أما المدرسة التجديدية التي يعد تيودور براملد Bramled من أهم مفكريها فتري أن التعليم يجب أن يقود الاصلاح الاجتماعي وأن تكون المدارس مراكز للاصلاح الاجتماعي.[٨]

أما انجاز Inkels فمن خلال دراسته علي ست مجتمعات تحقق فيها الإصلاح الاجتماعي، توصل إلي أن التعليم كان له دور أساسي في إحداث هذا الاصلاح، وأن أثر الاصلاح في إحداثه كان من زاويتين: الزاوية الأولي تنمية الصفات الشخصية المرغوب فيها لدي الفرد كالانفتاح الفكري والنزعة الديمقراطية، والاعتقاد في كفاءة وفاعلية المعلم، والوعي بأهمية التخطيط والتنظيم، والزاوية الثانية إعداد الفرد للتوافق والتكيف مع المجتمع.[٩]

أما ماككلاند Mcclelland، فقد توصل من خلال دراسته علي ثلاثين مجتمعا إلي أن الاصلاح الاجتماعي يتطلب توافر القدرة علي الانجاز، وتكتسب هذه القدرة من خلال أساليب التربية والتنشئة الاجتماعية وأساليب الاتصال الجمعي.[١٠]

وإذا كان التعليم يؤثر في الاصلاح الاجتماعي ويساعد علي تحقيقه فهو يتأثر بحدوثه، فمن المستحيل أن ينجح أي اصلاح تربوي والنظام الاجتماعي باق علي ما كان عليه فمن المتعذر إحداث الاصلاح التعليمي طالما أن المجتمع باق علي نظمه وأساليبه الجامدة.[١١]

والحق أنه طالما ظلت النظم الاجتماعية ثابتة أو تغيرت تغيرا طفيفا، فإن المؤسسات التربوية ومنها المدرسة تظل ثابتة كذلك ولا يظهر أي ميل لتعديلها ويعني ذلك أن صلة التعليم بالإصلاح الاجتماعي قائمة علي أساس التفاعل، فكما يسهم التعليم في إحداث الاصلاح الاجتماعي فإن الاصلاح الاجتماعي يساعد علي تحديد أهداف التعليم وتطوير أساليبه.

أهم قضايا التعليم المرتبطة بالاصلاح الاجتماعي

تناول الأستاذ الامام محمد عبده بعض قضايا التعليم التي حاول من خلالها تحقيق الاصلاح الاجتماعي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ومن هذه القضايا قضايا تعميم التعليم وإلزامه باعتبار أن تعميم التعليم وإلزامه عامل أساسي في تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية وتحقيق الاصلاح الاجتماعي المنشود، كما تناول قضية تعليم المرأة باعتبار أن المرأة تمثل نصف المجتمع، وأن جهلها وتأخرها يمثل عقبة في سبيل الاصلاح الاجتماعي المنشود.

ومن القضايا الأخري التي تناولها الامام محمد عبده قضية تعليم أبناء الفقراء الذين حرموا من التعليم في مدارس التعليم العام نتيجة عدم قدرتهم علي دفع المصروفات الباهظة، فحاول الاسهام في علاج هذه المشكلة بإنشاء مدارس أهلية تقوم بتعليمهم بالمجان، كما نادي بضرورة إنشاء جامعة مصرية ايمانا منه بأن البلاد في حاجة إلي تعليم عال مثمر، يقوم علي البحث العلمي وحرية الفكر وتنمية المجتمع وعلاج مشكلاته.

وفيما يلي مناقشة هذه القضايا السابقة بالتفصيل:

أولا: تعميم التعليم والزامه

أصبح التعليم حقا في المجتمعات المعاصرة، تؤيده وتوجبه الكثير من القرارات والاتفاقات والمواثيق العالمية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، نذكر منها علي سبيل المثال الاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر من منظمة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٨، والذي نص في مادته الثانية علي أن لكل انسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الاعلان ومن أهمها حق التعليم دون أي تمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس، ودون أن تفرقة بين الرجال والنساء، ومن ثم نص الاعلان أيضا علي ان يكون التعليم الابتدائي علي الأقل الزاميا ومجانيا للبنين والبنات.[١٢]

وقد شهد مطلع النصف الثاني من القرن العشرين، إسراع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة في الأخذ بمبدأ الالزام في التعليم الابتدائي والتخطيط له من أجل تحقيقه ومضاعفة الجهد من أجل الوصول إلي انجازات فيه وتحسينه، وصدرت التشريعات في كثير من دول العالم تنص علي أن التعليم الابتدائي الزامي وبالمجان للبنين والبنات، وازداد تطبيق هذه القوانين وتوفير التسهيلات لانشاء المدارس، وسعت الدول جميعا بغض النظر عن الاختلاف الأيديولوجي بينها لتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية.[١٣]

وقد فطن الاستاذ الامام محمد عبده إلي أهمية تعميم التعليم والزامه وطالب بتحقيقه قبـل صدرو الاعلان العالمي لحقوق الانسان بأكثر من نصف قرن، إيمانا منه بـأن تعمـيم التعلـيم والزامه عامل أساسي في تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص وإحداث الاصلاح الاجتماعي المنشود.

فقد طالب الامام محمد عبده بتعميم التعليم في عدة مقالات، ففي احتفال جمعية المقاصـد بالتصديق علي لائحة النواب في ١٤ فبراير سنة ١٨٨٢، دعا إلي العناية بنشر التعليم في عموم الأمة حتي يكون الكثير من أفرادها صالحا ومستعدا للمشاركة في التدبير الذي تتدرج به الأمـة في مراتب التقدم والكمال، ومن أجل ذلك يجب أن يتضمن قانون الحكومة الأساسي تعميم التعليم ونشر المعارف والعلوم التي تؤهل إلي تلك المرتبة[١٤]، بل أنه نادي بجعل التعليم الليلي اجباريا للعمال والمستخدمين الذين لم ينالوا حظهم من التربية والتعليم.[١٥]

وفي مقال آخر أوضح أنه "لا سبيل لسعادة ابناء الأمة إلا إذا تأيد بينهم شأن المعـارف الحقيقية، وعمت التربية سائر أفرادهم، فيقدمون بكليتهم علي الأخذ بالأسباب المؤديـة لانتـشار العلوم وتعميمها في سائر الأنحاء".[١٦]

وقد بين الامام محمد عبده أن عجز الحكومة عن تعميم التعليم ناتج عن عاملين: **العامل الأول**، قلة الانفاق علي التعليم، فالحكومة لا تنفق علي التعليم سنويا إلا مبلغ مائتي ألف جنيهـا، مع أن في وسعها انفاق أكثر منه لأن دخلها في الميزانيـة اثنـي عـشر مليونـا مليونـا مـن الجنيهات[١٧]، أي ان نسبة ما كان ينفق علي التعليم وقتئذ بالنسبة لميزانيـة الدولـة لا يتجـاوز ١,٧% وهي نسبة ضئيلة جدا ان دلت علي شئ فإنما تـدل علـي أن الحكومـة تحـت الادارة البريطانية لم تكن تضع موضوع نشر التعلم ضمن سياستها، وخاصة وأن الدول المتقدمة تنفـق علي التعليم ما يزيد عن ٧% من ميزانيتها.

العامل الثاني: تزايد المصروفات التي تتقاضاها الحكومة من الناس علي تعليم أولادهـم من حين إلي حين، لدرجة أن صارت تربية الأولاد عبئا ثقيلا حتي علي الطبقة المتوسطة، وإذا استمر هذا التزايد، أمسي التعليم زخرفا لا يتسني التحلي به إلا في بيوت الأغنياء فقط، وإذا كان البعض يتذرع بأن فرض المصروفات علي التعليم يترتب عليه مراقبة الوالد لولده فـي التعلـيم مراقبة فعلية، ليحمله علي الاستفادة من تعليم يكلفه كثيرا من النفقات، وأن التعليم المجاني يكون عقيما لانه يؤدي إلي الاعتقاد بمسئولية الدولة عن التلاميذ، ومن ثم تنتشر البلادة والكسل بينهم، فإننا نلاحظ أن التعليم في المدارس المصرية منذ عهد محمد علي إلي سنة ١٨٨٢ كان مجانيـا في كل هذه المدة، ولم يمنع هذا أن تنتج تلك المدارس عددا من الرجال المتعلمين تعليما حقيقيـا ومعظمهم من الفقراء.[١٨]

ولما كانت سياسة الدولة لا تساعد علي تعميم التعليم، فقد وجه محمد عبده نداءه إلي الأغنياء حاثا إياهم علي المشاركة في تعميم التعليم عن طريق التبرع والاسهام في بناء المدارس، بل كان يخاطبهم بعنف متهما اياهم بأنهم يطلبون أشياء دون أن يفكروا في أداء ما عليهم من واجبات "فعلي الأغنياء منا الذين يخافون من تغلب الغير عليهم، وتطاول الأيدي الظالمة إليهم، أن يتآلفوا ويتحدوا ويبذلوا من أموالهم في سبيل افتتاح المدارس والمكاتب واتساع دوائر التعليم، حتي تعم التربية وتثبت في البلاد جراثيم العقل والادراك وتنمو روح الحق والاصلاح وتتهذب النفوس ويشتد الاحساس بالنافع والضار".[١٩]

ثانيا: تعليم المرأة

سبق أن ذكرنا أن الاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر عن منظمة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٨، نص في مادته الثانية علي أن التعليم الابتدائي علي الأقل الزاميا ومجانيا للبنين والبنات.

ثم أصدرت الأمم المتحدة سنة ١٩٦٧ واحدا من قراراتها المنصفة للمرأة والمؤيدة لها، وينص القرار علي أن تتخذ كل المقاييس للتأكيد علي أن البنات والنساء المتزوجات أو غير المتزوجات لهن حقوق متساوية مع الرجال في التعليم علي كل المستويات، يضاف إلي ذلك أن كل القرارات التي اتخذها المؤتمر العام لليونسكو (الدورة الثانية عشر سنة ١٩٧٤) جاءت مواكبة للعام الدولي للمرأة، والتي تستهدف تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية بين الرجال والنساء.[٢٠]

وقد دعا الامام محمد عبده إلي تعليم المرأة والنهوض بها قبل صدور اعلان الأمم المتحدة بنصف قرن، إيمانا منهم بأن تعليم المرأة هو أساس تحقيق الاصلاح الاجتماعي.

وقد عاشت الفتاة المصرية زمنا طويلا محرومة من التعليم، ولكي ندرك الفرق بين الاهتمام بتعليم الولد دون تعلم البنت، نذكر أن الحكومة أنشأت أول مدرسة ابتدائية للبنين سنة ١٨٣٣، في حين لم تؤسس أول مدرسة للبنات إلا سنة ١٨٧٢، كذلك أنشأت الحكومة أول مدرسة ثانوية في البلاد لتعليم البنين سنة ١٨٣٦ وهي المدرسة التجهيزية الخديوية، في حين أسست أول مدرسة ثانوية للبنات سنة ١٩٢٠، أي أن الفرق بين التعليم الابتدائي للبنين والتعليم الابتدائي للبنات كان ٤٠ عاما، والفرق بين التعليم الثانوي للبنين والتعليم الثانوي للبنات ٨٤ سنة.

ويعد الاستاذ الامام محمد عبده من أهم الرواد الذين نادوا بضرورة تعليم المرأة، لدرجة أن البعض كان يري أنه كان له أثر كبير في صدور كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين.

وسنتناول قضية تعليم المرأة عند الاستاذ الامام محمد عبده من ثلاث زوايا هي أهمية تعليم المرأة، وأهداف تعليم المرأة، ومنهج تعليم المرأة.

(أ) أهمية تعليم المرأة

كان اهتمام الامام محمد عبده بتعليم المرأة ناشئا عن عدة عوامل، منها ما يتعلق بثقافته الاسلامية حيث يري أن إنصاف المرأة والنهوض بها أمر يحض عليه الدين، ومنها عوامل تتصل بالظروف المنزلية التي نشأ فيها، فقد عاش في ظل أسرة تعاني من تعدد الزوجات وانتشار الجهل والخرافات بين نسائها، وتعرضهن للظلم والاستبداد، فرأي في تعليم المرأة وسيلة فعالة للتخلص من هذه العيوب، كما كان اجتماعه مع كبار رجال الفكر في صالون الأميرة نازلي فاضل لدراسة القضايا الاجتماعية والثقافية في البلاد له تأثير كبير في توجيه اهتمامه لقضايا المرأة.[٢١]

وقد تحدث الامام محمد عبده عن واقع الجهل الذي كانت تعيشه الفتاة في عصره "وكيف أن النساء ضرب بينهن وبين العلم بما يجب عليهن في دينهن أو دنياهن بستار لا يدري متي يرفع".

وهو ينفي أن يكون جهل المرأة هو سبب عفتها وحيائها كما كان يزعم خصوم تعليم النساء، ذلك أن ما يحافظن عليه من عفة هو بحكم العادة.

لقد ترتب علي جهل النساء "حشو أذهانهن بالخرافات، وامتلاء أحاديثهن بالترهات، اللهم إلا قليلا منهن لا يستغرق الدقيقة عدهن".[٢٢]

وقد بين محمد عبده أن تعليم المرأة أمر لازم حض عليه الدين، "فقد خاطب ا تعالي النساء بالايمان والمعرفة والأعمال الصالحة في العبادات والمعاملات، كما خاطب الرجال وجعل للنساء عليهم مثل ما جعله لهم عليهن، وقرن أسماءهن بأسمائهم في آيات كثيرة، وبايع النبي (ص) المؤمنات كما بايع المؤمنين، وأمرهن بتعلم الكتاب والحكمة مثلما أمر الرجال.....أفيجوز بعد هذا كله أن يحرمن من العلم بما عليهن من الواجبات والحقوق لربهن ولبعولتهن ولأولادهن ولذي القربي وللأمة والملة؟ وكيف يمكن للنساء أن يؤدين تلك الواجبات والحقوق مع الجهل بها اجمالا وتفصيلا؟ وكيف تسعد في الدنيا أو الآخرة أمة نصفها كالبهائم لا يؤدي ما يجب عليه لربه ولا لنفسه ولا لأهله ولا للناس، والنصف الآخر قريب من ذلك لأنه لا يؤدي إلا قليلا مما يجب عليه ويترك الباقي".[٢٣]

وفي احدي خطبه بمدارس الجمعية الخيرية الاسلامية قال: "نحن نتمني تربية بناتنا، فان ا تعالي يقول (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) (البقرة: ٢٣٨) (إن المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات) (الأحزاب: ٣٥)، إلي غير ذلك من الآيات الكريمة التي تشرك الرجل والمرأة في التكاليف الدينية والدنيوية، فكأن ترك البنات يفترسهن الجهل، وتستهوويهن الغباوة من الجرم العظيم".[٢٤]

وإذا كان عدد سكان مصر سنة ١٨٩٧ يقدر بحوالي عشرة ملايين نسمة نصفهم من النساء، فقد كانت نسبة التعليم بينهن لا تتجاوز ١%، ويرجع تأخر تعليم البنت إلي سيادة الفكر الرجعي الذي كان ينظر إلي تعليم البنت علي أنه أمر يتنافي مع الدين، فضلا عن أن سياسة الاحتلال البريطاني قامت علي حرمان الفتاة المصرية من الثقافة والتنوير وقبوعها خلف جدران الجهل والخرافات.[٢٥]

ويعد رفاعة الطهطاوي أول مفكر مصري دعا إلي تعليم المرأة وتثقيفها في تاريخ مصر الحديث من خلال مؤلفه "تخليص الابريز في تلخيص باريز" سنة ١٨٧٣ وتابعه في هذا السبيل عدد من المصلحين أمثال علي مبارك، وعبد ا نديم.[٢٦]

ونستطيع القول بأنه رغم الظروف الصعبة التي كانت تعيشها المرأة خلال تلك الفترة، انطلقت بعض الصيحات النسائية تندد بظلم الرجل وتطالب بإنصاف المرأة وتعليمها وتحريرها، فقد نادت عائشة التيمورية باصلاح أحوال المرأة حين قالت في كتابها "مرآة التأمل في الأمور": "لو أمكن الانفراد للرجل لخصه ا بالوجود دون المرأة، فهما ضروريان كل منهما للآخر، موجودان معا تحت شمس واحدة وأحكام واحدة، ليأتي كل بقسطه من واجبات متعادلة".

كما أنشأت زينب فواز الكاتبة الشامية الرسائل التي تدور حول هذا الموضوع.[٢٧]

ويضرب الاستاذ الامام مثلا بأثر المرأة الجاهلة علي أخلاق طفلها قائلا: "أنظروا إلي المرأة حين تقول لابنها مثلا إذا أرادت ان تمنحه شيئا: خذ هذا واخفه عن الأعين حتي لا يراك أخوك!!.، فكم من نقيضة علمته بهذا القول، علمته ثلاث خصال هن الموبقات المهلكات: الأثرة، والدناءة، والسرقة، وربما ترضيه بإنكار ما أعطته إذا سأله أخوه، فتعلمه بذلك أقبح خصال السوء والفساد وهو الكذب.. فتأملوا في فظاعة الأخلاق التي يشب عليها أبناء وبنات العامة من الأمة، ولا خلاص لنا من هذه الورطة الشنيعة إلا بالتربية الكاملة الشاملة للأبناء والبنات، وأن النساء الجاهلات، والرجال الجاهلين لا يمكن أن تتكون من بينهما أمة ولا جمعية".[٢٨]

ويري الاستاذ الامام "أنه لو ارتقي وضع المرأة علميا، وشاركت في مسئوليات الحياة لضاقت الشقة بين وضعها ووضع الرجل في المجتمع، ولتحققت المساواة بينهما".[٢٩]

كان الاستاذ الامام يود أن يكون التعليم شاملا لجميع طبقات الأمة ساريا علي الجنسين حيث يقول: "لن يقام للمجتمع كيان بغير المعرفة العلمية والتربية الأخلاقية، ولن يقر له هذا الكيان إذا حرم منهما أحد جنسيه وإحدي طبقاته".[٣٠]

لقد نادي الرجل منذ وقت مبكر بضرورة تعليم البنت، وتمني ان تنهض القلة المستنيرة من الأميرات المتعلمات بتكوين جمعيات نسائية تقيم المدارس لتعليم البنات، وتستحضر مدرسات

من الشام ليقمن بهذه المهمة، وحبذ هذا الدور لهن علي ما يشغلهن من أمور السياسة واستقبال علية القوم في الصالونات.[٣١]

أن رغبته في قيام الأميرات بجمع الأموال لانشاء المدارس للبنات دون الشعب، يعطي فكرة عن أن تعليم البنات لم تكن له شعبية لدي الجماهير، بحيث تدفعه إلي الاسهام المادي في تمويله، كما أن مطالبته بجلب مدرسات من الشام تقطع بأنه لم يكن في مصر أي مدرسات مصريات حيث كانت الجهالة رانية بالكامل علي الجنس اللطيف بمصر.

أهداف تعليم المرأة

أوضح الامام محمد عبده أن تعليم المرأة ينبغي أن يبث في نفسها حب العلم وتقديره، باعتبار أن العلم محمود في ذاته.

كما يجب أن يهدف تعليم المرأة إلي تحقيق كمالها الخلقي، وتعريفها بحقوقها وواجباتها في أسرتها ومجتمعها، ولتستطيع المراة المسلمة أن تشرح أهداف الاسلام وآدابه، وتدافع عن عقائده ومثله في المجامع الدولية والمؤتمرات العالمية، ولتستطيع اقناع الخصوم ومناظرة أعداء الاسلام امتثالا لقوله تعالي: "فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم، فقل تعالوا ندع ابناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم، ثم نبتهل فنجعل لعنة ا علي الكافرين". (سورة آل عمران: ٦١).[٣٢]

منهج تعليم المرأة

في قضية منهج تعليم المرأة، أثار الاستاذ الامام محمد عبده قضية لا أعتقد أن أحدا من مفكري الأديان عموما قد سبقه إليها... إذ الشائع بين أمثال هؤلاء المفكرين أنهم يركزون علي ضرورة تعليم البنت أمور دينها أولا وقبل كل شئ، ثم بعضا من أمور الدنيا يتفاوتون في تحديد مقداره ومداه.

أما الاستاذ الامام فقد بين لنا أن نطاق التعليم الديني للمرأة محدود، أما آفاق تعلمها لعلوم الدنيا فإنها آفاق بلا حدود، ونص عبارته يقول:

"إن ما يجب أن تتعلمه المرأة من عقائد دينها وآدابه وعباداته محدود، ولكن ما نطالب منها لنظام بيتها وتربية أولادها ونحو ذلك من أمور الدنيا كأحكام المعاملات غير محدود.. يختلف باختلاف الزمان والمكان والأحوال".[٣٣]

وقد طالب محمد عبده بتعليم الفتاة المصرية أحدث علوم العصر "فقد جدت علوم صار تعلمها واجبا اليوم، ولم تكن موجودة بالأمس، ألم تر أن تمريض المرضي ومداواة الجرحي كان عسيرا علي النساء في عصر النبي (ص) وعصر الخلفاء الراشدين رضي ا عنهم، وقد صار الآن متوقفا علي تعلم فنون متعددة وتربية خاصة.. أي الأمرين أفضل في نظر الاسلام،

أتمريض المرأة لزوجها إذا هو مرض، أو اتخاذ ممرضة أجنبية تطلع علي عوراته، وتكشف مخبآت بيته، وهل يتيسر للمرأة ان تمرض زوجها أو ولدها إذا كانت جاهلة بقانون الصحة وبأسماء الأدوية؟ نعم قد يتيسر لكثير من الجاهلات قتل مرضاهن بزيادة مقادير الأدوية السامة، أو بجعل دواء مكان دواء آخر".(٣٤)

ثالثا: تعليم أبناء الفقراء

سنتناول في هذا المجال نموذجا لتعليم أبناء الفقراء، أسهم الاستاذ الامام محمد عبده في إنشائه، وهو مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية التي أسستها الجمعية الخيرية الاسلامية بالقاهرة في أنحاء مصر.

مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية كنموذج لتعليم أبناء الفقراء

تعد الجمعية الخيرية الاسلامية بالقاهرة من أقدم الجمعيات عهدا وأكثرها أثرا في خدمة الانسانية والتعليم، وقد شمل نشاطها معظم أنحاء مصر منذ أن حملت رسالتها في أواخر القرن التاسع عشر لمساعدة فقراء المسلمين وتعليم أبنائهم، وقد أسست في ٥ ديسمبر سنة ١٨٩٢ وتقوم لائحتها علي أساسين:

١- مساعدة الأسر الفقيرة التي لا قدرة لها علي الكسب.

٢- إنشاء المدارس لتعليم أبناء الفقراء بالمجان.(٣٥)

وتولي رئاسة هذه الجمعية في بداية إنشائها ابراهيم رشدي باشا، واشترك في مجلس إدارتها العديد من الداعين لنشر التعليم بمصر ومساعدة أبناء الفقراء، مثل الاستاذ الامام محمد عبده، وسعد زغلول، وقاسم أمين وحسن عاصم، وقد تولي الاستاذ الامام محمد عبده رئاسة هذه الجمعية من عام ١٩٠٠ إلي عام ١٩٠٥.

إن أعظم الخدمات التي قامت بها الجمعية الخيرية الإسلامية يتجلي فيما قامت بإنشائه من مدارس في أنحاء مصر المختلفة لتعليم أبناء الفقراء بالمجان، وقد كان للإمام محمد عبده الفضل الأكبر في هذا السبيل، حيث كانت له اليد الطولي في تأسيس مدارسها وإبراز أهدافها، وتحديد برامجها خلال الفترة التي كان عضوا في مجلس إدارتها (١٨٩٢- ١٨٩٩) ورئيسا لها (١٩٠٠- ١٩٠٥).(٣٦)

أهداف مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية

حدد الامام محمد عبده أهداف مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية علي النحو الآتي:

١- تربية أولاد الفقراء تربية تسهم في الحفاظ علي عقائدهم وآداب دينهم، وترقية عقولهم وتهذيب أخلاقهم، وتهيئتهم لكسب العيش وتحصيل الرزق.(٣٧)

وإذا دققنا في هذا الهدف، نجد أنه كان نابعا من ضرورة وطنية تحتم ظهورها في هذه الفتـرة، فقد ترتب علي تضييق الاحتلال البريطاني لنطاق التعليم، وفرض المصروفات الباهظة حرمـان الكثير من المصريين وخاصة أبناء الفقراء من الحصول علي التعليم، ولذا كانت مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية تستهدف الحاق أبناء الفقراء بمدارسها وتعليمهم بالمجان.

٢- إن مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية لم تنشأ من أجـل أخـذ الـشهادات والاسـتعداد للوظائف، بل من أهم مقاصدها أن تنزع من النفوس اعتقاد أن التعليم لا فائدة فيـه إلا الاستخدام في الحكومة، لذا تهدف مدارس الجمعية الخيرية الاسـلامية إلـي تـدريب التلاميذ علي ممارسة وإتقان صناعة الآباء الموروثة كالنجارة والحدادة بحيث يعيـشون مع الناس بالأمانة والاستقامة، فالجمعية تهدف إلي مساعدة أبناء الفقراء علـي إحيـاء صناعة الآباء الموروثة وترقيتها إلا إذا رأي التلميذ نفسه مستعدا لممارسة صناعة أعلي منها وأرقي.(٣٨)

وكانت الجمعية تضع كل تلميذ من تلاميذها بعد حصوله علي الشهادة النهائية في معمـل مـن معامل الصناعة لممارسة حرفة صناعية يرغب تعلمها، وتعطي له مساعدة نقدية مدة سنة عـن كل يوم يشتغل فيه.(٣٩)

ويعلق البعض في هذا الصدد علي أن الامام محمد عبده كان من أنصار طبقية التعلـيم. لكن ينبغي ألا نحكم علي آراء الرجل بمعايير عصرنا.. فقد كان التعليم طبقيا بالفعل آنذاك، كما أنه ينبغي أن ننظر إلي أن الفقراء كانوا محرومين من التعليم آنذاك، وما كان ليستطيع أن يحقق لهم بالموارد المتاحة آنذاك أكثر مما فعل.

كان الإمام محمد عبده يري أن مجتمع الطبقات العليا والمتوسطة يـرفض الـصناعات والأعمال اليدوية، بل إنه كان يحتقرها مما أدي إلي تخلف العالم الاسلامي، لذا دعا إلي تعلـيم أبناء الفقراء مع احتفاظهم بالصناعات الموروثة مثل النجارة والحدادة، وقد كانت هذه هي فلسفة جمال الدين الافغاني أستاذ محمد عبده، وقد دعا إليها في محاضرته الشهيرة التـي ألقاهـا فـي استنبول عن النبوة والصناعة، وقال فيها: "إن نوحا عليه السلام كـان نجـارا، وإن داود كـان حدادا".(٤٠)

وهكذا يمكن أن نشبه الدور الذي قام به محمد عبده في الاهتمام بتعليم أبناء الفقراء بمـا قام به في أوربا المربي السويسري (بستالوتزي) (١٧٤٦- ١٨٢٧) علي ما في أسـاليبهما فـي التعليم من اختلاف، فكلاهما ابتدأ من الطبقات الفقيرة يقينا بـأن التعلـيم هـو أداة للإصـلاح الاجتماعي.

إن اهتمام محمد عبده بالاعداد الحرفي لأبناء الفقراء يرجع- كما يري- إلي أن الأمة في حاجة إلي تربية الطبقات الدنيا، وهي لا ترقي ولا تسعد إلا بهم، لأنهم هم الذين يقومون بمعظم الشئون وأكثر الحرف التي لا يستغني عنها الخواص الذين لا يهنأ لهم عين ما دام أصحاب هذه الحرف فاسدي التربية.

كما كان يهدف من توجيه مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية إلـي الاهتمـام بـالتعليم الحرفي انتزاع ما في النفوس من اعتقاد بأن التعليم لا فائدة منه إلا أخذ الشهادات والاستخدام في الحكومة. (٤١)

إن الأفكار التي طرحها الامام محمد عبده حول أهداف التعليم بمدارس الجمعية الخيرية الاسلامية تتمشي مع اتجاهات التعليم في الوقت الحاضر نحو تشجيع التعليم الفني لما له من أثر في رفع المستوي المادي والاقتصادي للدولة، فأصحاب الحرف اليوم أصبحوا أكثـر الطبقـات دخلا، وأصبحت فئة الموظفين تمثل أقل الطبقات في الدخل.

نظام الدراسة بمدارس الجمعية الخيرية الاسلامية

أقامت الجمعية الخيرية الاسلامية عند نشأتها أربع مدارس ابتدائية تابعة لها في كل مـن القاهرة والاسكندرية وطنطا وأسيوط، وقررت اللجنة المشكلة للنظر في أمـور التعلـيم بهـذه المدارس، أن يكون التعليم الابتدائي قسمين مدة التعليم بكل قـسم سـنتان، وأن يكـون بعـض المدارس شاملا طبقة واحدة (الفقراء) وتسمي مدارس الدرجة الأولي، وبعضها شاملا لطبقتـين (الفقراء والقادرين) وهي مدارس الدرجة الثانية في المدن التي يحتاج إليها خصوصا إلي تأهيـل صناعة، وألا يزيد عدد التلاميذ في مدارس الدرجة الأولي عن ثمانين تلميذا في الفـصلين، ولا يزيد عدد التلاميذ في مدارس الدرجة الثانية عن مائة وستين تلميذا في أربعة فصول.(٤٢)

وكانت مدارس الجمعية تقبل بالمجان أولاد فقراء المسلمين الذين يتوافر فيهم الـشروط الموضوعة لهذا الغرض، ومع ذلك أجازت قبول تلاميذ بمصروفات من لهم قدرة علي دفعهـا. (٤٣)

ولما تولي الاستاذ الامام محمد عبده رئاسة الجمعية تأسست ثلاث مدارس ابتدائية جديدة في بورسعيد سنة ١٩٠٠، وبني مزار سنة ١٩٠٢، والمحلة الكبري سنة ١٩٠٤، وعدلت مـدة الدراسة بمدارس الجمعية فأصبحت خمس سنوات منها سنة تحضيرية، ولا يقبل التلميذ في فرقة السنة التحضيرية إذا نقص عمره عن سبع سنوات أو زاد عن عشر سنوات(٤٤)، وقد بين الامـام محمد عبده أن الجمعية لم تحدد هذا السن عبثا ولا تقليدا، ولكن حددته لفوائد سامية، فليس كـل من دخل مدارس الجمعية سيكون تحت لواء الوظائف، بل سـيكون مـنهم التـاجر والـزارع والصانع، فإذا دخل التلميذ المدرسة في السابعة وأتم التعليم في خمس سنوات يخرج منها غـضا

رطبا مهيئا للدخول في أي عمل شاء، وإذا تقدم في السن ودخل المدرسة ما بعد العاشرة يبس عوده عن أن يلين للأعمال الزراعية أو الصناعية، وربما عجز أبوه عن اتمام تعليمه وهو عاجز عن الاشتغال بأعمال المعاش فيضيع بين عجزين.[٤٥]

وقد حرصت الجمعية علي أن يظل عدد التلاميذ المتمتعين بالمجانية أكبر من عدد التلاميذ الذين يدفعون المصروفات، ولما زاد إقبال التلاميذ القادرين علي دفع المصروفات رأي مجلس إدارة الجمعية أن زيادة عدد التلاميذ الذين يدفعون المصروفات لا يخل بغرض الجمعية الأساسي وهو تعليم أبناء الفقراء، وذلك لأن عدد الفقراء الذين تسمح لهم الميزانية بقبولهم مجانا سيبقي ثابتا، وقد حددت الجمعية عدد من يتمتعون بالمجانية في كل مدرسة بمائة وخمس من التلاميذ، وحددت المصروفات علي التلاميذ القادرين بمبلغ ثلاثة جنيهات تدفع علي ثلاث أقساط. [٤٦]

وفي ذلك يقول الامام محمد عبده: "إن ما فرض علي التلاميذ الموسرين من أجر التعليم وهو ثلاثمائة قرشا سنويا ليس مما يضيق به صدر الكريم، وان نفقة التلميذ في المدارس الأخري تبلغ ثمانية جنيها في السنة أو تزيد، ولو أنكم دفعتهم في مدرسة هي لكم ضعف ما تدفعون في مدارس غيركم لكنتم الرابحين". [٤٧]

وبعد أن يحصل التلميذ علي الشهادة النهائية تلحقه الجمعية بإحدي الورش الصناعية القريبة من المدرسة لمدة عام، يتدرب خلالها علي احدي الحرف تحت اشراف ومتابعة الجمعية، وتعطيه الجمعية أثناء ذلك مصروفا يوميا، حتي إذا تمكن من اتقان الحرفة بعد انقضاء العام أمكن التحاقه باحدي الأعمال الحرفية التي يتكسب منها. [٤٨]

أما عن معلمي مدارس الجمعية، فقد كانوا يشغلون وظائفهم عن طريق الإعلان في الصحف، فإذا خلت وظيفة معلم يعلن عنها في إحدي الصحف، ويعين للطالبين يوم يمتحنون فيه ثم ينتخب من بينهم الأفضل والأليق للوظيفة الخالية.

وقد زودت كل مدرسة بمكتبة تحتوي علي ما يساعد المعلمين علي التعليم، وخصص مفتش أو أكثر للتفتيش علي كل مدرسة ومراقبة حسن سيرها، كما كان لكل مدرسة طبيبا لمتابعة الأحوال الصحية للتلاميذ. [٤٩]

لقد تولي الامام محمد عبده رئاسة الجمعية الخيرية الاسلامية من سنة ١٩٠٠ إلي سنة ١٩٠٥، وخلال فترة رئاسته تقدمت الجمعية خطوات واسعة، فقد زاد عدد المدارس من أربع إلي سبع مدارس ابتدائية للبنين، وارتفعت الايرادات من ٤٤٣٠ جنيها في السنة إلي أكثر من عشرة آلاف، وزاد عدد التلاميذ من ٣١١ تلميذا إلي ٧٦٦، كما زاد عدد الأفدنة من الأراضي الموقوفة عليها من ٢٨٠ فدانا إلي ٥٣٣. [٥٠]

مناهج الدراسة بمدارس الجمعية الخيرية الاسلامية

كان منهج التعليم بمدارس الجمعية الخيرية الاسلامية يتضمن المواد الدراسية الآتيـــة:

١- حفظ القرآن الكريم وتجويده، وفهم معاني مفرداته- قواعد الدين- فقه الآداب الدينيـة- سيرة النبي (ص) والخلفاء الراشدين- القصص الواردة في القـرآن الكـريم- تهـذيب الأخلاق.

٢- اللغة العربية وتتضمن: المطالعة – الإنشاء- الأدب- القواعد- الاملاء.

٣- اللغة الأجنبية وتشمل: الاملاء، والقواعد، والإنشاء، والترجمة.

٤- الأشياء الكثيرة الاستعمال – ما يحفظ الصحة.

٥- حساب – تعريفات أولية في الهندسة – أخذ المساحات- مسك الدفاتر.

٦- الجغرافية (جغرافية مصر بصفة خاصة).

٧- التاريخ: تاريخ مصر والعرب وتركيا.

٨- الخط (ثلث – نسخ- رقعة).

٩- الرســـم.

١٠-أعمال يدوية وتدريبات عملية– تمرينات جسدية وأناشيد وطنية ودينية.

١١-مبادئ النظامات- مبادئ تدبير المعيشة.

علي أن يكون تعليم هذه العلوم كلها من البداية إلي النهاية بطريق التوسع في كل درجـة عمـا قبلها. (٥١)

وإذا نظرنا إلي مناهج التعليم بمدارس الجمعية، نجد أنها لم تكن صـورة مكـررة فـي مناهج المدارس الحكومية وإلا لما كان هناك داع لوجودها، فمناهجها شاملة لجميع نواحي النمو الوجداني والجسمي والعقلي والاجتماعي، فهي تحتوي علي المواد الدينية التي تساعد علي النمو الروحي، والمواد العلمية التي تساعد علي النمو العقلي، والمواد العملية والتمرينات الجسدية التي تساعد علي النمو الجسمي، كما كانت مواد التاريخ والجغرافيـا تتـصل موضـوعاتها بمـصر والاسلام مما يسهم في غرس روح الاعتزاز بالوطن والاسلام في نفوس التلاميذ منذ الـصغر، فضلا عن أن مواد مبادئ النظام وتدبير المعيشة كانت تهدف إلي تحقيق توافـق التلاميـذ مـع المجتمع، وتحقيق المواطنة الصالحة والنمو الاجتماعي السليم.

ولاشك أن تنظيم المنهج علي هذه الصورة المتكاملة يتفق مع اتجاهات التربية الحديثـة التي تدعو إلي الاهتمام بالنمو المتكامل للفرد، فمناهج مدارس الجمعية الخيرية الاسـلامية لـم توضع بقصد اعداد التلاميذ للوظائف الحكومية، ولكنها وضعت بقصد إعدادهم لمواجهة شـئون الحياة.

ولو قارنا بين مناهج هذه المدارس ومناهج المدارس الابتدائية الحكومية أو التي كانت تخضع لاشراف نظارة المعارف لا تضح لنا ما يلي:

في الوقت الذي كانت فيه مناهج مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية تتسم بالتكامل كما ذكرنا، فقد كانت مناهج المدارس الابتدائية الحكومية أو الخاضعة للاشراف الحكومي تفتقر إلي هذا التكامل، فدروس الدين والتهذيب التي تسهم في تنمية مشاعر التلاميذ الروحية كانت مهملة لا وجود لها في الصفين الأول والثاني، ويدرسها التلاميذ بمعدل حصة واحدة أسبوعيا في الصفين الثالث والرابع[٥٢]، بالإضافة إلي ان محتوي مناهج المواد الأخري كان موضوعا بطريقة معينة تخدم مصالح الاحتلال، فمعظم المواد تدرس باللغة الانجليزية، والساعات المخصصة لتدريس اللغة العربية قليلة، والمواد القومية كالتاريخ والجغرافيا تدور معظم موضوعاتها حول أوربا والعالم الخارجي وتتجاهل تاريخ مصر والعرب والعالم الاسلامي، كما كانت خطة الدراسة خالية من مادة التربية الرياضية اللازمة للنمو الجسمي.[٥٣]

لقد كانت مناهج مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية تمثل محاولة لإزالة الفجوة بين تعليم الأزهر ومعاهده، وتعليم نظارة المعارف في مدارسها، وجمعت مناهجها بين العلوم الدينية والعلوم الحديثة، بحيث يتخرج التلميذ من مدارسها وهو طالب مسلم يعرف دينه ويحفظ نصف القرآن الكريم علي الأقل، بالإضافة إلي وقوفه علي ما يسمي بالعلوم العصرية، وتميز علي طالب الأزهر وتلميذ المعارف في ذلك الوقت، وهذا هو السبب في أن الاستاذ الامام كان يريد أن يكون نظام التعليم الابتدائي بمدارس الجمعية نظاما عاما في البلاد ومنبثا في جميع الطبقات، ثم يتسني بعده لكل طبقة أن تتناول من العلوم والفنون واللغات في المراحل الأعلي ما هي مستعدة له، ولكنه كان يري أن المانع من تحقيق هذا الأمل أمران:

<u>الأول</u>: أن رغبة الناس منصرفة إلي جعل التعليم ذريعة لأخذ الشهادة، لأنها شرط الاستخدام للحكومة.

<u>الثاني</u>: قلة أعداد المعلمين الصالحين للتدريس بهذه المدارس، "فإننا نحتاج في التعليم الابتدائي إلي من يبتدئ مع التلميذ في السنة الأولي (ألف – باء) فلا تنتهي السنة إلا وهو يقرأ ويكتب ويتعرف علي الأشياء، والذين يحسنون هذا النوع من التعليم قليل".[٥٤]

لقد حرص الإمام محمد عبده بنزعته البرجماتية علي الأخذ بطرق العمل والنشاط في تنفيذ مناهج مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية، وفي ذلك يقول: "أن الجمعية قد شرعت في طريقة ابتدائية للتربية، وهي طريقة العمل لا طريقة العلم المعيبة التي نري مثالها في الذين يأتون إلينا كأساتذة عندما نعلن عن حاجتنا إلي معلمين، وليس لديهم ما يؤهلهم للتربية والتهذيب،

ولست أقول ذلك قدحا في طريقة التعليم الجارية بسائر المدارس، ولكنني أقول بالاجمال: أنهـا غير ملائمة لمنهاج جمعيتنا التي تحب أن تصلح شئون الناشئين من الطبقات النازلة". [٥٥]

وقد نصت لائحة الجمعية علي أن يكون تقويم التلاميذ في مواد المنهج بصورة مستمرة، فالاختبارات الشفوية تكون شهرية، والاختبارات التحريرية تجري ثلاث مرات في العام، مـرة في الاسبوع الأول من فصل الشتاء، ومرة ثانية في الأسبوع الأول من فصل الربيع، ومرة ثالثة في الأسبوع الأول من فصل الصيف، بخلاف امتحان آخر العام، وتعطي في هـذه الاختبـارات نوعان من الدرجات درجة للمواظبة والسلوك، ودرجة لمستوي التعليم. [٥٦]

لقد حدث توسع في إنشاء مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية بعد وفاة الاسـتاذ الامـام الذي وضع لها الأساس، فاشتملت علي مدارس للبنات منذ سنة ١٩٠٨، كما افتتحت بها أقـسام ثانوية سنة ١٩١٢، وتفوقت علي مدارس الحكومة في نسب النجاح، وعلي سبيل المثال نجد أن نتيجة الشهادة الابتدائية بمدارس الجمعية سنة ١٩١٠ كانت ٧١,٦٣%، في الوقت الذي بلغت فيه النتيجة العمومية لمدارس القطر ٣٨%، وفي عام ١٩١١ كانت النتيجة بمدارسـها ٧٠% فـي الوقت الذي بلغت فيه النتيجة العامة لمدارس القطر ٤٣%[٥٧]، لقد ترتب علي ذلك أن كثيرا من الأغنياء كانوا يسعون لالحاق أبنائهم بهذه المدارس بسبب طهارتها ووضوح مناهجها في التربية والتعليم، حتي أصبحت مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية منافسا خطيرا لمـدارس الحكومـة، لدرجة أن بعض المدن المصرية الكبيرة مثل مدينة أسيوط كانت تفضل مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية علي المدارس الأميرية في التعليم، وقد حدث هذا في القاهرة بـين مدرسـة عابـدين الاميرية ومدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية في درب الجماميز. [٥٨]

لم تكن مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية من مدارس اليتامي والملاجئ، ولكنها كانـت في الواقع طفرة تعليمية مباغته جعلت وزارة المعارف المصرية تفكر في مدارسها ومناهجهـا، وخاصة بعد أن أحدث سعد زغلول الثورة المباغتة في التعليم المصري وجعله باللغة العربية، ثم تولي أحمد حشمت باشا عضو الجمعية الخيرية الاسلامية وزارة المعارف وهو واحد من مريدي الامام محمد عبده وكان متأثرا بآرائه. [٥٩]

وإذا كان الامام محمد عبده قد اهتم بقضايا تعميم التعليم وتعلـيم المـرأة وتعلـيم أولاد الفقراء باعتبار أنها أمور تسهم في تحقيق الاصلاح الاجتماعي، فقد نادي في نفس الوت علـي الارتقاء بالتعليم العالي وإنشاء جامعة أهلية في مصر.

رابعا: الامام محمد عبده والدعوة إلي إنشاء الجامعة الأهلية المصرية

عرفت مصر المدارس العليا في عصر محمد علي، إلا أن برامج هذه المدارس – كمـا يقول الإمام محمد عبده- اقتصرت علي هدف محدد هو اعداد الفنيين في شتي النواحي لخدمـة

الجيش الذي يعتبر محور سياسة محمد علي في الداخل والخارج، وكان من الصعب في مثل هذا الجو ايجاد الباحث أو المفكر أو العالم النابغ أو حتي المواطن صاحب الفكر المستقل، يضاف إلي ذلك أن دراسة العلوم الانسانية كانت مهملة، وكان من الصعب علي المصري أن يتقن منها شيئا، وذلك شأن التاريخ والاجتماع والفلسفة والاقتصاد والآدب والفنون الجميلة[٦٠]، كما أن نظام المدارس العليا كان لا يزال متأثرا بالأسلوب الصارم الذي يشبه المدارس العسكرية، مما اضطر الكثير من الأغنياء إلي ارسال أبنائهم لتلقي علومهم العالية في جامعات أوربا. [٦١]

ويعد مصطفي كامل أول مصري دعا إلي إنشاء الجامعة في تاريخ مصر الحديث، فقد كتب علي صفحات جريدة اللواء في ٢٤ يناير سنة ١٩٠٠، يطالب بإنشاء مدرسة جامعة في ضواحي القاهرة يكون بها قسم ابتدائي، وقسم ثانوي (تجهيزي)، وقسم خاص للفنون والصنايع، وتكون كلها داخلية حتي يسير فيها المتعلمون علي نظام واحد ويتخرجون علي مبادئ جديدة، بمعني أنها تكون علي طراز المدارس الكبري في أوربا، وقدر لتنفيذ هذه الفكرة مبلغا لا يقل عن عشرين ألف جنيها تجعل أسهما وتوزع علي الفضلاء والأغنياء من أبناء البلاد[٦٢]، وظهرت الدعوة لإنشاء الجامعة مرة أخري في مقال لمصطفي كامل سنة ١٩٠٤، وفي مقال ثالث سنة ١٩٠٥[٦٣]، والواقع أن خلاف مصطفي كامل مع الخديوي عباس حلمي الثاني، وسعيه في جعل هذ المشروع وطنيا بعيدا عن يد الحكومة، وإنشغاله بالقضية الاساسية وهي الجلاء، ومعارضة اللورد كرومر للمشروع كان السبب في عدم نقل الفكرة إلي حيز التنفيذ.

وقد دعا جرجي زيدان علي صفحات الهلال سنة ١٩٠٠ إلي إنشاء كلية لتثقيف الشبان المصريين بدلا من إرسالهم إلي أوربا، وبين الحاجة إليها في تعليم الشعب معني الحرية والاستقلال وحب الوطن، كما طالب بتشكيل لجنة لجمع الأموال لها عن طريق الاكتتاب[٦٤]، ثم كرر دعوته إلي إنشاء الجامعة سنة ١٩٠٣[٦٥]، ولم يجد اقتراح جرجي زيدان أذنا صاغية، لأن الدعوة لمثل هذا المشروع الهام كانت في حاجة إلي ان تتبناها شخصيات مصرية بارزة.

وقد نادي الامام محمد عبده بإنشاء جامعة حديثة بمصر بعد أن يئس من اصلاح الأزهر، وقد نوه الكاتب الفرنسي "جرمان مارتان" بجهود محمد عبده في هذا الأمر قائلا:

"إن الشيخ محمد عبده كان ينوي العمل علي أن تنشأ في مصر إلي جانب جامعة الأزهر الدينية، جامعة مصرية مهمتها أن تقوم علي تعليم العلم وفقا للمناهج الحديثة، وان تشارك في تجديد الحضارة العربية القديمة بالدأب علي الاقتباس من النتائج التي توصل إليها علماء الغرب في العلوم والفنون والآداب". [٦٦]

وفي احدي خطبة بمدارس الجمعية الخيرية الاسلامية قال: "رأيت في بعض سياحاتي في البلاد الأجنبية مدينة عدد سكانها ستة عشر ألف نسمة وقد أنشأ الأهالي فيها مدرسة كلية تعلم

جميع العلوم العالية، أنفقوا عليها ملايين الفرنكات بمساعدة أهل المركز االـذي هـي قاعدتـه، فنرجو ان نبلغ من مجاراة أمثال هؤلاء الأحياء، وأن يكون لنا في القاهرة مدرسة كليـة تعلـم العلوم العالية". (٦٧)

وقد تمكن الاستاذ الامام من اقناع أحد الأثرياء وهو احمد المنشاوي باشا بالتبرع لإنشاء الجامعة علي قطعة ارض يمتلكها باحدي ضواحي القاهرة، وتباحث المنشاوي باشا مـع محمـد عبده في وسائل بناء الجامعة وضمان الموارد التي ينفق منها عليها، وقد خاطب الـشيخ محمـد عبده مجلس النظار في بيع عشرة آلاف فدان من ملك الحكومة يشتريها المنشاوي باشا ويـسجل وقفها علي بناء الجامعة ومصاريفها علي أن تجعل الثمن رمزيا، وقد وعد المستشار المالي بذلك وتعلقت الآمال بظهور هذه الجامعة، إلا أن وفاة المنشاوي باشا ثم وفاة الشيخ محمد عبده أوقفت ذلك، وخمدت الفكرة واستبدل بها الحديث عن ضرورة إنشاء الكتاتيب، وشجع كرومر علي ذلك حتي يصرف الناس عن مشروع الجامعة. (٦٨)

هوامش الفصل السابع

1- Warren, R.S. "Social Change and Human Purpose Toward Understanding and Action", Chicago: Rand Mc Nally, 1987, P. 203.

٢- محمد الهادي عفيفي، التربية والتغير الثقافي، القاهرة، مكتبة الانجلو، ١٩٧٤، ص ١٤.

٣- أحمد حسين، الاصلاح الاجتماعي في مصر (الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة) جمع وتقديم محمد خاف ا ، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٧٣، ص ٥٠٢.

4- Shimahara N.Bi et al. "Social Reform", New York , David Mckay Co., Inc , 1985, P. 76.

5- Carr, Edward Hallet: The New Society , London, MacMillan & Co. , 1981 , P. 211.

٦- صالح عبد العزيز، التربية وطرق التدريس، جـ ٣، القـاهرة، ط٥، دار المعـارف، ١٩٧٣، ص ٦٢.

7- J. Wewy, "Education and Social Change in the Social Frontier 3 May, 1937 , P.P 235- 238.

8- Bramled, Theodore, "Ends And Means in Education", A Mid Century Appraisal , New York, Harper & Brothers, 1960, P.P, 201-202.

9- Inkles, "The Modernization, The Dynamic Of Growth" Voice of America Forume Lecture , 1976, P. 213.

10-Mcclelland, D.C. "The Achieving Society", Princeton: NJ: Van Nostrand, 1971, P. 132.

١١- محمد علي العريان وآخرون، مفاهيم جديدة للتربية، الاسـكندرية، مطبعـة رويـال، (د.ت)، ص ٢٠٥.

١٢- زينب محمد فريد، تعليم المرأة العربية في التراث وفي المجتمعات العربية المعاصرة، القاهرة، مكتبة الانجلو، سنة ١٩٨٠، ص ٨١.

١٣- نفس المرجع السابق، ص ٨٢.

١٤- الوقائع المصرية، كلمة الامام محمد عبده في احتفال جمعية المقاصد، العدد ١٣٣٤ في ١٥ فبراير سنة ١٨٨٢.

١٥- الوقائع المصرية، العدد ٩٩٠ في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨٠.

١٦- الوقائع المصرية، العدد ٩٣٢ في ١٣ اكتوبر سنة ١٨٨٠.

١٧- محمد عبده، التعليم العام، رسالة كتبها الامام محمد عبده إلي الكونت دي جرفيل باللغة الفرنسية، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ١٧١.

١٨- نفس المصدر السابق، ص ١٧٢.

١٩- الوقائع المصرية العدد ١٣٣٨ في ١٩ فبراير سنة ١٨٨٢.

٢٠- زينب محمد فريد، مرجع سابق، ص ٨٢.

٢١- مصطفي عبد الرازق، أثر المرأة في حياة الشيخ محمد عبده، مجلة الشباب، عـدد ١٧ فبراير سنة ١٩٢٦، ص ٣٦.

٢٢- محمد عبده، في الرد علي هانوتو، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مـصدر سابق، ص ٢٢٩.

٢٣- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٤، مـصدر سابق، ص ٦٣٢.

٢٤- محمد عبده، خطاب الاستاذ الامام محمد عبده في احتفال الجمعية الخيرية الاسـلامية سنة ١٨٩٦، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ١٥٦.

٢٥- اجلال خليفة، الحركة النسائية الحديثة، القاهرة، المطبعة العربية الحديثة، سنة ١٩٧٣، ص ١٠٧.

٢٦- لويس عوض، المؤثرات الأجنبية في الأدب العربي الحديث، جـ ١، القـاهرة، دار المعرفة، سنة ١٩٦٦، ص ٥٠.

٢٧- اجلال خليفة، الحركة النسائية الحديثة، مصدر سابق، ص ٩٨.

٢٨- نفس المصدر السابق، ص ٧٦.

٢٩- عبد ا محمود شحاته، منهج الامام محمد عبده في تفسير القرآن، القـاهرة، مكتبـة وهبة، سنة ١٩٦٢، ص ٩٢.

٣٠- محمد عبده، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ١٧٢.

٣١- نفس المصدر السابق، ص ١٧٣.

٣٢- عبد ا محمود شحاته، مصدر سابق، ص ١٧٥.

٣٣- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٤، مـصدر سابق، ص ٦٣٤.

٣٤- نفس المصدر السابق، ص ٦٣٣.

٣٥- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ١، مصدر سابق، ص ٧٢٦.

٣٦- نفس المصدر السابق، ص ٧٢٦.

٣٧- محمد عبده، خطاب الاستاذ الامام محمد عبده في الاحتفال الثاني بامتحـان مـدارس الجمعية الخيرية الاسلامية، سنة ١٩٠١، الأعمال الكاملة للأمام محمد عبده، جـ ـ٣، مصدر سابق، ص ١٦٠.

٣٨- محمد عبده، تعليم أولاد الفقراء، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ ـ٣، مـصدر سابق، ص ص ١٦١- ١٦٢.

٣٩- الجمعية الخيرية الاسلامية في ثمانين عاما، القاهرة، دار العلوم للطباعة، ١٩٧٩، ص ٢٣.

٤٠- عبد المنعم شميس، محمد عبده، الجديد، العدد ٢٤٥، في ١٥ مـارس ١٩٨٢، الهيئـة المصرية العامة للكتاب، ص ١٣.

٤١- محمد عبده، تعليم أبناء الفقراء، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ ـ٣، مـصدر سابق، ص ص ١٦٠- ١٦٢.

٤٢- الجمعيـة الخيرية الاسلامية في ثمانين عاما، مصدر سابق، ص ص ٢٥، ٢٦.

٤٣- محمد عبده، نظام مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية، مصدر سابق، ص ١٤.

٤٤- محمد عبده، نفس المصدر السابق، ص ٢١.

٤٥- محمد عبده، خطاب الاستاذ الامام محمد عبده في حفل افتتاح مدرسة بني مـزار فـي ١١ اكتوبر سنة ١٩٠٣، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ١٦٧.

٤٦- محمد عبده، نظام مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية، مصدر سابق، ص ١٥.

٤٧- محمد عبده، خطاب الاستاذ الامام في حفل افتتاح مدرسة بني مزار، الأعمال الكاملـة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ١٦٧.

٤٨- محمد عبده، نظام مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية، مصدر سابق، ص ص ٩، ١٠.

٤٩- محمد عبده، نفس المصدر السابق، ص ٣٩.

٥٠- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ١، مصدر سابق، ص ٧٢٢.

٥١- الجمعية الخيرية الاسلامية، دفاتر محاضر جلسات مجلس الادارة، جـ ١، محضر جلسة الاثنين ٨ ذي القعدة سنة ١٣١٠هـ، ص ٣١.

٥٢- أمين سامي، التعليم في مصر، الملحقات، القاهرة، مطبعة المعارف، سنة ١٩١٧، ص ٤.

٥٣- جرجس سلامة، مصدر سابق، ص ص ٩، ١٠.

٥٤- محمد عبده، خطاب الاستاذ الامام في الاحتفال الثالث بامتحان مدرسة القاهرة التابعة للجمعية الخيرية الاسلامية في سنة ١٣٢٠هـ، سنة ١٩٠٢م، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ص ١٦٤- ١٦٥.

٥٥- محمد عبده، التربية، خطاب للاستاذ الامام محمد عبده في احتفال الجمعية الخيرية الاسلامية سنة ١٨٩٦م، سنة ١٣١٤هـ، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ ٣، مصدر سابق، ص ١٥٨.

٥٦- محمد عبده، نظام مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية، مصدر سابق، ص ٢٠.

٥٧- عنتر محمد لطفي، الجهود الأهلية في التعليم المصري في الفترة من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٩٢٢، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة عين شمس، سنة ١٩٧٩، ص ١١٠، ص ٢٧٨.

٥٨- عبد المنعم شميس، محمد عبده، الجديد، العدد ٢٤٥ في ١٥ مارس سنة ١٩٨٢، مصدر سابق، ص ١٣.

٥٩- نفس المصدر السابق، ص ١٤.

٦٠- عثمان أمين، محمد عبده، القاهرة، لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية، سنة ١٩٤٤، ص ١٢٨.

٦١- سامية حسن ابراهيم، الجامعة الأهلية بين النشأة والتطور، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٥، ص ١٣.

٦٢- اللواء، العدد ٢١ في ١٩٠٠/١/٢٤.

٦٣- اللواء في ١٩٠٤/١٠/٢٥، ١٩٠٥/١/٨.

٦٤- جرجي زيدان، الهلال، الجزء التاسع من السنة الثانية في ١٥ فبراير سنة ١٩٠٠، ص ٢٩٧، تحت عنوان ما هو الاستقلال الحقيقي.

٦٥- جرجي زيدان، الهلال، أول أكتوبر سنة ١٩٠٣، تحت عنوان المدرسة الكلية السورية والمدرسة الكلية المصرية.

٦٦- عثمان أمين، رائد الفكر المصري، مصدر سابق، ص ٤١ نقلا عن جرمـان مارتـان مقال في "مجلة العالم الاسلامي" (بالفرنسية) باريس، سنة ١٩١١، م ١٣، ص ٣.

٦٧- محمد عبده، خطبة في حفل افتتاح المدرسة الابتدائية في المحلة الكبري سـنة ١٩٠٤، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، مصدر سابق، ص ص ١٦٦، ١٦٧.

٦٨- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ ١، مصدر سابق، ص ٩٤٧.

الفصل الثامن

اتجاهات الفكر التربوي للأستاذ الامام محمد عبده نحو إصلاح التعليم الديني وتطوير الدعوة الإسلامية

اتجاهات الفكر التربوي للاستاذ الإمام محمد عبده نحو إصلاح التعليم الديني وتطوير الدعوة الاسلامية

تمهيد:

إذا كنا قد تناولنا في الفصلين السادس والسابع ملامح الفكر التربوي لدي الاستاذ الامـام محمد عبده وما تنطوي عليه من مظاهر تجديد تجاه التعليم العام، فإننا سنتناول في هذا الفـصل اتجاهات التجديد في فكره التربوي تجاه التعليم الديني ومجال الدعوة الاسلامية.

فمن المعروف أن الأزهر كان يمثل قمة التعليم الديني في مصر والعالم الاسلامي وقتئذ، ولكي يلتحق التلميذ بالأزهر لابد له من الدراسة في الكتاب لحفظ القرآن الكريم، والالمام بقليـل من القراءة والكتابة، ثم يقضي بعد ذلك سنتين أو ثلاث في دراسة إعداديـة أو متوسـطة فـي الأزهر، أو في احد المساجد المعروفة مثل المسجد الأحمدي بطنطا أو المسجد الدسوقي بدسوق أو غيرها من المساجد الأخري، وبعد ذلك ينتظم الطالب في الدراسات العالية المتعمقة في العلوم الدينية البحتة أو علوم المقاصد من شرح وتفسير للقرآن الكريم والحديث الشريف وأصول الدين والشريعة.[١]

ونناقش في هذا الفصل الفكر التربوي للإمام محمد عبده تجاه التعليم الديني مـن ثـلاث جوانب:

الجانب الأول: يمثل محاولة الاستاذ الامام تجديد التعليم الديني في الدولة العثمانيـة باعتبارهـا الدولة التي تحكم المنطقة وقتئذ، حيث وضع مشروعا لاصلاح التعليم الديني في الدولة العثمانية رفعه إلي السلطان العثماني سنة ١٨٨٧.

الجانب الثاني: يمثل محاولة الاستاذ الامام محمد عبده في تجديد التعليم بالأزهر ودار العلـوم، حيث قدم جهدا كبيرا في هذا المجال.

الجانب الثالـث: ويمثل الفكر التربوي للاستاذ الامام في مجال الدعوة الاسلامية باعتبـار أنهـا الأساس الذي تقوم عليه تربية العقيدة.

وفيما يلي عرض هذه الجوانب السابقة بالتفصيل:

اتجاهات الاستاذ الامام محمد عبده نحو إصلاح التعليم الديني في العالم الإسلامي:

واقع التعليم الديني في البلاد الإسلامية من وجهة نظر الاستاذ الامام محمد عبده

بين الأستاذ الامام محمد عبده ان من أسباب خذلان المسلمين، قصور التعليم الديني لديهم من جهتين: إما إهماله كلية كما هو الحال في بعض البلاد، وإما تعليمه بطريقة غير سليمة كما في البعض الآخر، وقد عبر عن ذلك قائلا:

"أما الذين أهمل فيهم التعليم الديني فجمهور العامة من كل ناحية، لم يبق عندهم من الدين إلا أسماء يذكرونها ولا يعتبرونها، فان كانت لهم عقائد فهي بقايا عقائد (الجبرية) و(المرجئة) من نحو أنه لا اختيار للعبد فيما يفعله، وأنه مجبور فيما يصدر منه جبرا محضا، فليفعل الانسان ما يفعل من الموبقات وليهمل ما يهمل من الفروض فلا عقاب عليه". ويستطرد الأستاذ الإمام قائلا:

"وأما الذين أصابوا شيئا من التعليم الديني، فمنهم من كان همهم علي أحكام الطهارة والنجاسة وفرائض الصلاة والصيام، وظنوا أن الدين منحصر في ذلك ومتي أدوا هاتين العبادتين فقد اقاموا الدين وإن هدموا كل ركن سواهما، ومنهم من زاد علي ذلك علم الفروع في أبواب من المعاملات متخذا ذلك آلة للكسب وصنعة من الصنائع العادية، وهؤلاء في الغالب من طلاب الإفتاء والقضاء ووظائف التدريس وما شاكل ذلك، لا ينظرون إلي الدين إلا من وجه ما يجلب إليهم المعيشة، فإذا مال بهم طلب العيش إلي مخالفته لم يبالوا بذلك، وهذا القسم أعظم الأقسام خطرا وأشدها ضررا في العامة والخاصة، نعم قد يوجد في هذه الطبقة رجال مخلصون مستمسكين بالعروة الوثقي، وأضرم في قلوبهم الحمية، الا انهم قليل لا يكفي بما تطالب به الشريعة في إرشاد الأمة".[٢]

وصور الاستاذ الامام واقع التعليم الديني في المكاتب والمدارس الاسلامية فهي إما خالية من التعليم الديني جملة، وإما مشتملة علي شئ قليل منه يتجاوز أحكام العبادات علي وجه مختصر وطريق مختصر ويقوم تعليمها علي حفظ العبادات مع الجهل بالمدلولات، ولهذا كان كثير ممن درسوا العلوم في المدارس العسكرية وغيرها خاوا من الدين وجهالا بعقائده، منكبين علي الشهوات لا يخشون ا في سر وجهر.. لا يلاحظون حلالا أو حراما ولا طيبا أو خبيثا، فإذا دعوا إلي الدفاع عن الملة والدولة ركنوا إلي الراحة، ومالوا إلي الخيانة، وطلبوا لأنفسهم الخلاص بأي وسيلة.[٣]

وقد أدي قصور التعليم الديني – كما يري- إلي تشجيع الأجانب لارسال دعاتهم في أطراف البلاد الاسلامية "فلا تري بقعة من البقاع إلا فيها مدرسة للأمريكان أو العزارية أو الفرير، أو لجمعية أخري من الجمعيات الدينية الأوربية، والمسلمون لا يستنكفون من إرسال أولادهم إلي تلك المدارس طمعا في تعليمهم بعض العلوم التي يظنون أنها ستنفعهم في معيشتهم، أو الاعتقاد بان تعليمهم بعض اللغات سيحقق لهم السعادة في المستقبل، ومن المؤسف ان بعض

ذوي المناصب الدينية العالية يرسلون أولادهم إلي تلك المدارس فيسمعون فيها ما يناقض عقائد الدين الاسلامي، فلا تنقضي سني تعليمهم إلا وقد خوت قلوبهم من كل عقد إسلامي".[٤]

الدعوة لاصلاح التعليم الديني في البلاد الاسلامية

قدم الإمام محمد عبده إلي السلطان العثماني مشروعا لاصلاح التعليم الديني في الـبلاد الاسلامية التابعة لها سنة ١٨٨٧ بعد أن لاحظ أن التعليم الديني في أقطار المسلمين يقوم علـي الاستظهار والحفظ لآيات القرآن الكريم بدون فهم، وقد أوصي في هـذا المـشروع أن يرتكـز التعليم الديني علي أسس ثلاثة:

أ- غرس العقيدة السليمة

وسبيل ذلك فن تقوي به العقيدة السليمة في النفوس ويستحكم سـلطانها علـي العقـول، ويعتمد علي البراهين والأدلة والبعد عن الحفظ والاستظهار، ويقترن ذلك بتربية تذكر بما تنـال النفس من ذلك الفن حتي يصبح هذا الفن ملكة راسخة تصدر عنها الأفعال بلا تعجل.[٥]

ب- تهذيب النفس بالقيم الأخلاقية

وسبيل ذلك فن تهذب به النفس ويصحو به الضمير، وذلك بتعريف النفس علي ما ينميها من الفضائل كالصدق والأمانة والرضا والشجاعة، وما يهلكها من الرذائـل كالكـذب والخيانـة والنميمة والحسد والجبن، علي أن يصاحب ذلك تربية تروض النفس علي العمل بمـا تعلمـه، وأطلق الامام محمد عبده علي هذا الفن اسم فن الفقه الباطني أو فن الضمير، ويكون تعليم هـذا الفن مع فن تقوية العقيدة والتربية المصاحبة لهما مستمدا من القرآن الكريم والسنة الـصحيحة، وما صح أثره من أقوال الصحابة وعلماء السلف.

ج- التربية بالقدوة

وسبيل ذلك فن التاريخ الديني حيث يتعرف الطلاب من خلاله علي النمـاذج الـصالحة التي يمكن الاقتداء بها، كسيرة النبي (ص) وسيرة أصحابه، وسيرة الخلفاء الراشدين والأعـلام الصالحين.[٦]

هذه هي الأسس التي ينبغي ان يرتكز عليها التعليم الديني بصفة عامة في رأي الامـام محمد عبده، وقد وضع بعد ذلك برنامجا مفصلا للتعليم الديني تختلف مستوياته ومراتبـه وفقـا لاختلاف الطبقات الاجتماعية.

والطبقات الاجتماعية التي يعنيها الامام محمد عبده هـي:

أ-طبقة العامة : من أهل الصناعة والتجارة والزراعة ومن يتبعهم.

ب- طبقة الساسة : ممن يقومون بالعمل في الدولة وتـدبير أمـور الرعيـة وحمايتهـا، كالضباط العسكريين وأعضاء المحاكم ورؤسائها ومـن يتعلـق بهـم، ومأموري الإدارة علي اختلاف مراتبهم.

ج- طبقة العلماء : من أهل الارشاد والتربية.

وكان يري أن ارتقاء الناس بالتعليم من الطبقات الدنيا إلي العليا غير ممنوع حيث عبـر عن ذلك قائلا: "ولا نريد بهذا التقسيم منع الأحاد من كل طبقة أن يطلبوا الكمال الذي خص بـه من فوقهم".

الطبقة الأولي:

هم أولاد المسلمين من أهل الصناعة والتجارة والزراعة، يكتفي الوصول بهم عند حـد معرفة القراءة والكتابة والعلم بشئ من الحساب، يعلمون ذلك إلي درجة محـدودة تفيـدهم فـي معاملاتهم، ثم ينصرفون إلي أعمالهم الصناعية والتجارية والزراعية وما يشبهها، وكتب التعليم الديني التي توضع لهؤلاء تكون ما يلي:

١- كتاب مختصر في العقائد الاسلامية المتفق عليها عن أهل السنة بلا تعرض للخلاف بين الطوائف الاسلامية مطلقا، مع الاستدلال عليهـا بالأدلـة الاقناعيـة القريبـة المنـال والاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة، مع الالمام بشئ من أوجه الاختلاف بين الدين الاسلامي والدين المسيحي.

٢- كتاب مختصر في الحلال والحرام من الأعمال، وبيان الأخـلاق الخبيثـة والـصفات الطيبة، والتنبيه علي البدع المستحدثة التي لم يرد في الكتاب والسنة شيئا منها.

٣- كتاب مختصر في التاريخ يحتوي علي مجمل سيرة النبي (ص) وسيرة أصـحابه مـن وجه ما يتعلق بالأخلاق الكريمة والأعمال العظيمة وفداء الدين بالأرواح والأموال، مع الالمام بالسبب في انتصار الاسلام علي الأمم في وقت قصير مع قلـة أهلـه وكثـرة معارضيه وقوتهم، ثم يتبع ذلك بتاريخ الخلفاء العثمانيين ويكون هذا علي وجه مختصر سهل التناول، وهذه الكتب تكون للعثمانيين من العرب عربية، ومن الترك تركية، ومن غيرها بلسانهم إن وجدوا. (٧)

الطبقة الثانية:

وتمثل المعدون للوظائف الحكومية، وبعد أن تشارك الطبقة السابقة فـي مبـدأ التعلـيم الديني، يزاد لها بعد ما تقدم كتب أعلي من تلك الفنون نفسها وتشمل:

١- كتاب يكون مقدمة للعلوم، يحتوي علي فن المنطق وأصول النظـر وشـئ مـن آداب الجدل.

٢- كتاب في العقائد يوضع علي قواعد البرهان العقلي، مع تجنب الخلافات بين المـذاهب الاسلامية، ويتوسع في دراسة أوجه الخلاف بين المسلمين والنصاري فضلا عن غايـة السعادة الأخروية.

٣- كتاب يفصل فيه الحلال والحرام وأبواب الفضائل والرذائل ببيان أكمل مما في البدايـة، وتوضيح لأسباب الأخلاق وعللها وآثارها علي وجه يقنع به العقل وتطمئن به الـنفس، ثم بيان الحكم لبعض الأحكام الدينية وفوائدها في الحياة البشرية مع الاستناد فـي هـذا وفي سابقه إلي نصوص الدين وسير السلف الصالح.

٤- كتاب تاريخ ديني يحتوي علي تفصيل سيرة النبي (ص) وسيرة اصحابه، والفتوحـات الاسلامية العظيمة في القرون المختلفة، وما جاء به الخلفـاء العثمـانيون مـن ذلـك، والاتيان علي كل هذا من وجه ديني محض، فان ذكرت فيه الوجوه الـسياسية كانـت تابعة للغرض الديني.

وأبناء هذه الطبقة كالسابقين من أخوانهم يكفيهم أن يتعلموا هذه الكتب بألسنة آبائهم، وما يـذكر من النصوص العربية يفسر لغير العرب. (٨)

الطبقة الثالثة:

وهم أبناء المسلمين الذين عقلوا ما تقدم من كتب الطبقتين السابقتين وكـشف الامتحـان امتيازهم في فهمها، فانتخبوا للحصول علي الدرجة العليا من العلم والعمل حتي يكونوا عرفـاء الأمة وهداة الملة، فيناط بهم التعليم الديني في المدارس العالية والاعدادية بل والابتدائية إذا كثر عددهم، فهؤلاء لا يكفي لابلاغهم الغاية المطلوبة للدولة منهم دراسة ثلاثة أو أربعة كتب دينية، بل يجب ان يزاد علي ما تقدم كتب كثيرة يزدادون بدراستها بصيرة في دينهم، ولذا فهو لم يعين كتبا محددة لهذه الطبقة ولكنه حدد لها فنونا تحتاج إليها تشتمل علي ما يلي:

١- فن تفسير القرآن الكريم، بحيث تكون شروحه تأخذ بعين الاعتبـار العـادات والتقاليـد واللغة وأساليب التفكير لدي العرب في حقبة نزوله، بحيث يسهل التمييز بـين جـوهر الوحي وعرضه.

٢- فنون اللغة العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وتاريخ جاهلي وما يتبع ذلك، ليتمكن بها من فهم القرآن الكريم والحديث.

٣- فن الحديث علي شرط ان يؤخذ مفسرا للقرآن الكريم مبينا له مع اسـتبعاد الأحاديـث الضعيفة.

٤- فن الأخلاق والآداب الدينية بتفصيل تام وإحاطة كاملة علي نحو ما سلك الامام الغزالي في "إحياء علوم الدين".

٥- فن أصول الفقه من وجه يمكن من صحة الاستدلال بالنصوص الشرعية، يوقف علـي كليات الشريعة ليستأنس بها في فهم الأحكام.

٦- فن التاريخ القديم والحديث ويدخل في ذلك سيرة النبي (ص) بالتفصيل وسير أصحابه، وتاريخ الانقلابات التي عرضت في الممالك الاسلامية، وتاريخ الدولة العثمانيـة مـع توضيح سبب ما وصل إليه المسلمون في هذه الأيام من تأخر بـسبب الجهـل بالـدين والانحراف عن أحكامه.

٧- فن الاقناع والخطابة وأصول الجدل، لغرض التمكن من تقرير المعاني فـي الأذهـان وتثبيت العقائد في النفوس.

٨- فن الكلام والنظر في العقائد واختلاف المذاهب، والبحث في أدلة كل مذهب لا لتحصيل العقيدة، ولكن لزيادة البسطة في الفكر والسعة في الرأي.

وهذه الطبقة الأخيرة ينبغي أن تكون تحت نظر شيخ الاسلام، وتكون إدارتها تحـت عنايتـه، ويدعي لها بالمدرسين المتبصرين من أي أرض يوجدون بها، وينتخب لها الطلبـة مـن اقـوي الناس إدراكا وأذكاهم أخلاقا، وتعطي لهم شهادة بعد تخطي الامتحان في العلوم المذكورة تثبـت نجاحهم، ويتألف من هذه الطبقة الدعاة والمرشدون. (٩)

والتدريس في جميع تلك الدرجات- كما يري الأستاذ الامام- انما يقـصد بـه إشـراب العقول حب الدين وتوقيره، وجعله الغاية المطلوبة من كل عمل، ولهذا يجب ان يكون التـدريس في أغلب العلوم المتقدمة خصوصا في الأخلاق والآداب أشبه شئ بالخطابة، ترسل المعاني إلي القلوب لتهزها وتستنفرها من مقار الخمول والغفلة إلي مقامات التنبه والبصيرة. (١٠)

وطبيعي ان الغرض من مشروع الاستاذ الامام هو تجديد وتطوير التعليم الـديني فـي أنحاء الدولة العثمانية وقتئذ، حتي لا يبقي التعليم الديني جامدا، وحتي يكون له دور في عـلاج مشكلات الناس والارتقاء بحياتهم.

إصلاح التعليم بالأزهر ودار العلوم

١-محاولة الاستاذ الامام اصلاح التعليم بالأزهر

من المعروف ان الجامع الأزهر من أعرق الجامعات الاسلامية وأشهرها، وهو إن كان أحدث وجودا من جامع الزيتونة في تونس وجامع القرويين بفاس، إلا أنه له من عظم المكانة ما لم يتوافر لغيره من مساجد الدنيا أو جامعات العالم الاسلامي.

وتتجلي أهمية الجامع الأزهر في أنه طوال العشر قرون الماضية، لم يقصر جهده علي حفظ التراث الثقافي الديني، وإنما قام إلي جانب ذلك بصيانة التراث الثقافي العربـي وبحمايـة

اللسان العربي من الضياع حين تتابعت علي ارض العرب موجات الغزو الأجنبي، وباتت اللغة العربية في خطر من غلبة لغة الغزاة الفاتحين.

وقد كان التعليم في الأزهر مزدهرا خلال العصر الفاطمي والعصر المملوكي، حيث كان الجامع الأزهر قبلة لطلاب الثقافة والعلم من جميع أنحاء العالم الاسلامي، وكانت مواد الدراسة فيه تجمع بين العلوم الدينية واللغوية وبين المواد الكونية (أي المواد الحديثة) (١١)، غير أن التعليم بالأزهر بدأ في التأخر منذ العهد العثماني، واقتصرت الدراسة فيه علي التراث القديم وشرح المتون والحواشي، واستمر تأخر التعليم الأزهري له في عهد محمد علي فكان التعليم فيه تقليديا جامدا في معظمه، وصادر أوقافه بعد أن أسس نظام التعليم الحديث علي النسق الأوربي، وبرغم محاولات إصلاح التعليم بالأزهر في عهد اسماعيل وتوفيق باصدار عدة قوانين لتحقيق هذا الاصلاح كقانون سنة ١٨٧٢ ثم قانون سنة ١٨٨٥، إلا أن هذه القوانين لم تثمر الثمرات المنشودة، واستمر الأزهر علي جموده وانعزاله عن الجميع، وانعكس ذلك علي قيم خريجيه التي اتسمت بالسلبية والعجز.(١٢)

وكانت أهم المشكلات التي يعاني منها التعليم بالأزهر وقتئذ ما يلي:

١- غياب مفهوم النظام وانعدام المتابعة والتوجيه

فلم يكن هناك نظام لضبط حضور الطلبة وحصر غيابهم، ولم يكن الأساتذة يبالون بانتظام الطالب أو تغيبه، فمشيخة الأزهر لا تعرف الطالب الا يومين، يوم يقدم لها طالب الالتحاق بالأزهر، ثم يوم امتحان العالمية الذي يكون للمجد بعد عقد ونصف من السنين علي الاقل، وفيما بين ذلك أين هذا الطالب، وعلي من يتلقي الدروس وبأي علم يشتغل؟ وأي كتاب يدرس؟ كل هذا موكول للمصادفات، وحظ الطالب، ومقدار رغبته في العلم لاغير. (١٣)

ولم تكن للدراسة مواعيد معينة، فهي تمتد بين صلاة الفجر وصلاة العشاء علي فترات متقطعة، وتعقد علي شكل حلقات حول أعمدة الصحن يتوسطها الشيخ وحوله الطلبة.

وكانت السنة الدراسية تتخللها إجازات متعددة في الأعياد والموالد والمناسبات علاوة علي العطلة السنوية وتشمل شهور رجب وشعبان ورمضان والنصف الأول من شوال، فلم تكن السنة الدراسية تزيد علي أربعة شهور. (١٤)

ولم يكن بالتعليم في الأزهر مراحل أو درجات يتدرج فيها الطلاب وفق نظام الامتحانات، وكان التقدم للحصول علي الشهادة العالمية بمثابة عنق الزجاجة، فلم يزد عدد من يمتحنون كل عام عن ستة أشخاص، وفي بعض الأحيان كانوا لا يتجاوزون اربعة، ومن يساعدهم الحظ ويؤخذون إلي الامتحان كانوا لا يصلون إلا بعناية الراجين والحاح الملحين، ولم يكن للدور ولا للأقدمية ولا للكفاءة مدخل في نيل هذا الحق. (١٥)

ونتيجة لعدم وجود نظام لمراحل الدراسة، تحول الأزهر إلي تكية ادعي العلم فيها من ليس من أهله، وتظاهر بطلبه كل فار من الجندية، فشوهد فيه تلاميذ يربوسنهم علي الستين، ولا يعرفون من العلم إلا اسماء العلوم. [١٦]

وكانت معاملة الأساتذة للطلاب تفتقر إلي التوجيه والتربية، فلم تكن هناك متابعة لما تلقوه من دروس والتأكد من فهمهم لها وتوجيههم لعلاج ما يعانون من مشكلات، وكان الطلاب يلقون من مشايخهم أسوأ معاملة، فكانوا يتحملون منهم الشتم، بل كانوا يقبلون أيديهم ويحملون لهم نعالهم ويقومون بخدمتهم، بل قد يتحملون الضرب بالحذاء ويعتبرونه علامة الفتوح.[١٧]

وكان الاستاذ الامام محمد عبده يحس بظاهرة إهمال التوجيه الخلقي للطلاب، ويشير إليه في كتاباته وأحاديثه، من ذلك قوله "يمر زمان لا يسمع الطالب فيه نصيحة من أستاذه تعود عليه بالصلاح في دنياه أو دينه، وانما يسمع ما يملأ القلب بغضا لكل من لم يكن علي شاكلته في الاعتقاد حتي بني ملته". [١٨]

ويستطرد قائلا: "طلبت من أحد المدرسين أخذ الطلبة بالنصيحة وتذكيرهم بفضائل الأخلاق وصالح الأعمال خصوصا عند القاء الدروس الفقهية ودروس الحديث والتوحيد فقال لي: "إنه لا فائدة من ذلك، وهو تعب غير طائل فقلت له: ذلك حق عليك أن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، وليس عليك أن يأتمر المأمور ولا أن ينتهي المنهي، فقال: إذا تحققت استحالة المنفعة كان الأمر والنهي لغوا... ان هذا الضرب من ضروب التعليم عقيم لا ينتج المطلوب منه". [١٩]

وبصفة عامة لم يكن العمل الدراسي بالأزهر يقوم علي أي مفهوم واضح للرقابة والضبط والتفتيش، ومن هنا فقد سار العمل علي غير فلسفة وإلي غير هدف وبدون نظام. [٢٠]

٢- غموض كتب الدراسة وقصور طرق التدريس

انصرف التعليم في الأزهر وقتئذ إلي الشكل دون الجوهر، فكان مجدبا جامدا اتجه إلي دراسة كتب قديمة عرفت بالمتون والشروح والحواشي والتقارير، وكانت المتون عبارة عن مختصرات وجيزة الألفاظ غامضة التراكيب، ألفت في العصور المتأخرة، وضع بعضها منظوما وبعضها الآخر منشورا، أما الشروح فهي الكتب التي وضعت في شرح ألفاظ ومعاني هذه المتون، أما الحواشي فقد تناولت الشروح بالتأويلات والتفسيرات الشكلية، ثم تأتي التقارير التي وضعت علي هذه الحواشي بما يزيد في حجب أضواء العلم واستحكام التعقيد، حتي أنه كان للمتن الواحد عدة شروح، وللشرح جملة حواشي، وعلي الحواشي أكثر من تقرير.

وترتب علي ذلك إبعاد الطلاب عن تذوق روح العلوم ومقاصدها والاهتمام بالقشور والأمور الشكلية فقط. [٢١]

وقد انتقد الاستاذ الامام غموض هذه الكتب وخاصة ما يتعلق منها بالأحكام الفقهية قائلا: "يحتاج الانسان إلي صرف سنين طويلة في فهم أحكام الطهارة وسائر العبادات من هذه الكتب الصعبة، واي حاجة إلي هذه الأبحاث الطويلة والتدقيقات المسرفة في مسائل المياه والطهارة والصلاة.. ألم يقل النبي (ص): صلوا كما رأيتموني أصلي، وشرح صلاته ووضوئه يمكن بيانه في سطور قليلة".[٢٢]

وقد أشار محمد عبده إلي تأخر وقدم الطرق المتبعة في التدريس مع الطلاب حيث لا يقرأ الدراسون الا مختصرات مما كتبه المتأخرون، يتعلم أذكاهم منها ما تدل عليه عباراتها، ولا يستطيع ان يتعلم البحث في أدلتها وتصحيح مقدماتها، وتمييز صحيحها من باطلها، وانما يتلقاها كأنها كتاب ا أو كلام نبيه (ص)، يأخذ منها بالتسليم، فإذا ناظره مناظر في بعض قضاياها وعجز عن تصحيحه، قطع الجدال بقوله: "هكذا قالوا".[٢٣]

كان الامام محمد عبده يطلق علي أسلوب التعليم في الأزهر اسلوب "علم الكراس" وما أكثره في وجوه الاحتمالات وتأويل العبارات، فكل شئ يجوز حتي دخول "الجمل في البندقة".[٢٤]

والدارس لحياة الامام محمد عبده يدرك أن طريقة التدريس العقيمة التي واجهها في أول درس تلقاه في الجامع الأحمدي بطنطا عن تفسير البسملة واعرابها، وتفسير الباء وسبب زيادتها، ووجه وجودها، والحكمة فيها، وأقوال النحاة في إعرابها والجائز والممتنع...إلخ، كانت سببا في هروبه من التعليم في الجامع الأحمدي، تلك الطريقة التي استنكرها احمد امين ورآها بعيدة عن أصول التربية فقال: "فلو لطمت البيدا جوجيا لطمة مميتة لم تجد شرا من هذه اللاطمة".[٢٥]

ولم يكن هناك توجيه للطلاب لتطبيق ما درسوه في حياتهم، فقد يحفظ الطالب قواعد النحو، ويضيع الزمن في صحتها وفسادها، ولكنه لا يستطيع كتابة موضوع في الانشاء أو يجيد كتابة خطاب.[٢٦]

ويقول الاستاذ الامام: "سألت يوما أحد المدرسين في بعض المذاهب، هل تبيع وتشتري وتصرف النقود علي مقتضي ما تجد في كتب مذهبك، فأجاب بأن تلك الأحكام قلما تخطر ببال عند المعاملة بالفعل، وانما يفعل ما يفعل الناس".[٢٧]

٣-معاداة العلوم الحديثة

كان من نتيجة فتاوي فقهاء القرن الثاني عشر في العالم الاسلامي بتحريم دراسة العلوم الطبيعية والفلسفة بحجة أنها طريق إلي الإلحاد، أن أخذ القول بحرمة العلوم العقلية كالفلسفة والرياضيات والعلوم الطبيعية والانسانية يتسرب شيئا فشيئا إلي الأزهر ونحوه من المعاهد الاسلامية، حتي انتهي الأمر بهجرها تماما.

فالأزهريون يرون ان القول بدوران الأرض كفر، وان معلم الجغرافيا مسخر من أعداء الدين ليعلم أبناء المسلمين أنها كرة مستديرة ودوارة في الفضاء، وأكفر منه معلم الطبيعيات لان القول بالطبيعة إنكار لوجود ا ، واثبات لوجود المخلوقات بطبيعتها دون وجود ا .[٢٨]

وليس أدل علي معاداة الأزهر لمظاهر التقدم العلمي، أن محمد علي لما استقدم آلات الطباعة الميكانيكية لأول مرة، واقام المطبعة الأميرية في بولاق، ثار علماء الأزهر وأجمعوا علي أن هذا عمل محرم وان الدين ينكره، لأنهم فهموا ان السيور التي تدور بها الآلات مصنوعة من جلد الخنزير، وما يجوز أن يطبع بها كلام ا ولا أحاديث النبي (ص)، ورأي محمد علي حلا لهذه المشكلة أن يزور العلماء المطبعة، ولما زاروها اقنعهم بأن هذه السيور سوف تتغير بجلد من جلود البقر، وهكذا استطاعت المطبعة أن تواصل رسالتها الثقافية.

وحين حاولت الحكومة إنشاء مدرسة للطب بالقاهرة قاوم رجال الأزهر هذا المشروع لأن التشريح حرام، فاضطرت الحكومة إلي إنشاء كلية الطب في أبي زعبل سنة ١٨٢٧.[٢٩]

وذكر مصطفي بيرم في رسالته عن الأزهر، ان أولي الأمر في عهد توفيق حاولوا إدخال شئ من النظم الجديدة والعلوم الحديثة في الأزهر، ودبروا حيلة شرعية لتحقيق ذلك، فكلفوا والده محمد بيرم التونسي الذي كان أستاذا بجامع الزيتونة بكتابة استفتاء يوجه إلي الشيخ محمد الإنبابي شيخ الأزهر والشيخ محمد البنا مفتي الديار المصرية، كان أهم ما جاء فيه "هل يجوز تعليم المسلمين العلوم الرياضية كالهندسة والحساب والهيئة والطبيعيات، وهل يجوز قراءتها بالأزهر وغيره من الجامعات الاسلامية؟" فأجاب الشيخ الانبابي بفتوي مصدق عليها من الشيخ محمد البنا خلاصتها: جواز تعليم هذه العلوم علي طريقة لا يفهم منها منابذة الشرع بحال، ولكنه تهرب عن التصريح بادخال دراستها في الأزهر، لأنه كان علي رأي جمهور الأزهر بان هذه العلوم ليست من شأنهم وليسوا في حاجة إليها[٣٠]، بدليل أن الامام محمد عبده لما طلب منه (أي من الشيخ الانبابي) تدريس مقدمة بن خلدون ووصف له فوائدها، رفض تدريسها بحجة أن العادة لم تجر بذلك، ويبدو أن شيخ الأزهر لم يكن يدري أن بن خلدون حضر إلي مصر عام ٧٨٤هـ من بلاد المغرب، وقام بالتدريس في الأزهر وعرض علي تلاميذه نظرياته في علم الاجتماع والتاريخ والعمران البشري بنوعيه البدوي والحضري والعصبيات الصغيرة والكبيرة، ونشأة الدول وأطوارها، وترك بصماته قوية واضحة في التفكير المصري.[٣١]

كان الامام محمد عبده يؤمن بان العلوم العصرية هي سبب قوة الأمم الغربية وغناها، ومن أجل ذلك طالب بادخالها في الأزهر ودخل في صراع عنيف مع علماء الأزهر بشأن ذلك، وقد عبر عن هذا الصراع قائلا: "هل غاب عن الأذهان ما كان ينشر في الجرائد بأقلام بعض علماء الأزهر من المقالات الطويلة الأذيال في استهجان ادخال علم تقويم البلدان (الجغرافيا) بين

العلوم التي يتلقاها طلبة الأزهر، وكان كتاب تلك المقالات يعرضون بمن يريد ادخال هذا العلـم وغيره بأنه يريد الغض من علوم الدين... ألا يتخيل المتأمل أن يسمع من جوف المستقبل صخبا ولجبا وضوضاء وجلبة مضطربة إذا قيل انه ينبغي لطلبة الأزهر أن يدرسوا طرفا من مبـادئ الطبيعة أو يحصلوا علي جملة من التاريخ الطبيعي، ألا تقـوم قيامـة المتقـين، الا يـصيحون اجمعين: هذا عدوان علي الدين، هذا توهين لعقده المتين.. إن أول واجب علينا هو السعي بكـل جد واجتهاد في نشر هذه العلوم في أوطاننا، فدراسة ما في الكون، يؤدي إلي معرفة ا أكثـر مما يؤديه الجدل والكلام". [٣٢]

وكان يري أن العلوم التي يزعم علماء الأزهر انها حديثة كالحساب والفلسفة والكيميـاء والقانون الطبيعي والجغرافيا، وضعت قبل الاسلام بعشرات السنين، أما النحو والصرف والفقـة الاسلامي والحديث فإنها لم توضع إلا بعد الاسلام بعشرات السنين، وهو يعجب من رمي تلـك الفنون بالحداثة، مع أن القدم ظاهر في وجوهها، وإذا كانت هذه العلوم تسمي بالعلوم الحديثـة، فهي حادثة بحدوث أفكار الطلبة فيها. [٣٣]

٤-العزلة عن المجتمع

من أسباب عزلة الأزهر عن المجتمع أنه دار بتفكيره في صورة معينة انقطع بها عـن الحياة، وهي نقل ما تركه السلف بإخلاص، فالدارسون يتوجهون إلي الماضي لا إلي الحاضـر والمستقبل، ويفترضون ان الزمن آخذ في الفساد، وأن كل جيل يقل عن سابقه، فالعصر الـذهبي هو عصر النبوة، يليه عصر الصحابة، فعصر التابعين، ومن ثم وهنت صلة الأزهر بالحاضـر، وقلت ثقته بالمستقبل وانعزل عن الحياة، ولم يبد برأيه في المشكلات الاجتماعية. [٣٤]

لقد ترتب علي انعزال الأزهر جهل علمائه بكل ما يجري في الحياة من أحداث، فهم كما يري الإمام محمد عبده يجهلون أمور الدنيا، وقد تمكنت الخرافات والوسـاوس والأوهـام مـن أكثرهم، وذلك بما ينشأون عليه من التعليم الردئ والتربية المختلة التي لا ترجـع إلـي أصـل صحيح. [٣٥]

وقد أدت عزلة الأزهر إلي عدم مسايرة مناهجه لما يجد في الحياة من أمور وأحـداث، وفي ذلك قال الاستاذ الامام:"إن الناس تحدث لهم باختلاف الزمان أمور ووقائع لم يرد ذكرهـا في كتب الفقه، فهل يوقف سير العالم لأجل هذه الكتب؟ هذا لا يستطاع، ولذلك اضطر الحكـام والأعلام إلي ترك الأحكام الشرعية واللجوء إلي غيرها". [٣٦]

وإزاء ما ساد الأزهر من جمود، انطلقت بعض صيحات المـصلحين تنـادي بتجديـد وتطوير التعليم فيه، فقد دعا الشيخ حسن العطار (١٧٧٦- ١٨٣٥) إلي إصلاح التعليم بالأزهر، وكان يشكو قبل أن يتولي مشيخة الأزهر من قصور دراسات الأزهـر وكتبـه عـن مواكبـة

الاتجاهات العلمية الحديثة، وكانت هناك رغبة شديدة تجيش في نفسه نحو ادخال العلوم الحديثـة في الأزهر، حيث عبر عن ذلك قائلا: "إن بلادنا لابد أن تتغير أحوالها، ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها... إن قصاري أمر علمائنا النقل عن السابقين بدون أن نخترع شيئا مـن أنفـسنا، وليتنا وصلنا إلي هذه المرتبة، بل اقتصرنا علي النظر في كتب محـصورة ألفهـا المتـأخرون نكررها طوال العمر ولا تطمح أنفسنا النظر في غيرها، حتي كأن العلم انحصر في هذه الكتب.. ومن تأمل ما ذكر عن الأئمة الاعلام رأي أنهم كانوا من رسوخ قدمهم فـي العلـوم الـشرعية والأحكام الدينية، لهم اطلاع عظيم علي غيرها من العلوم الكونية والطبيعية واحاطـة بكلياتهـا وجزئياتها". (٣٧)

وكان من المنتظر أن يتخذ الشيخ العطار خطوات عملية لتطوير الدراسة في الأزهر بعد أن آلت إليه مشيخة الأزهر سنة ١٨٣٠ ولكنه أحجم عن ذلك.

ولعل الشيخ العطار قد خشي غضب محمد علي وانتقامه منه فيأمر بالحجر عليـه كمـا فعل من قبل بأحد شيوخ الأزهر وهو الشيخ عبد ا الشرقاوي، وكان الشيخ العطار يدرك تماما أن محمد علي لم يكن في نيته إدخال التعليم الحديث في الأزهر. (٣٨)

كما نادي رفاعة الطهطاوي بإصلاح التعليم في الأزهر وإدخال العلـوم الحديثـة فـي مناهجه حيث نبه إلي إهمال محمد علي في تعميم تلك العلوم في الأزهر قائلا: "ولو أنـه أعلـي منار الوطن ورقاه، لم يستطع إلي الآن أن يعمم أنوار هذه المعارف المتنوعة بالجامع الأزهـر الأنور، ولم يجذب طلابه إلي تكميل عقولهم بالعلوم الحكمية التي كبير نفعها في الـوطن لـيس ينكر". (٣٩)

ولم يتمكن رفاعة من تقرير النظام الذي كان يؤثره لتعليم طلاب الأزهر، لأنه أبعد إلـي السودان في أخريات حياته لتنظيم التعليم فيه. (٤٠)

وقد شغل موضوع تجديد التعليم في الأزهر أذهان المصلحين المخلصين خاصـة فـي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فقد جعل جمال الدين الأفغاني من منزله مدرسة يقصدها النابهون من طلاب الأزهر، وفتح عيونهم علي ضعف التعليم فيه، حتي ألفوا من بينهم جماعـة تسعي في إصلاحه، وكان أول ما عملوه كتابة منشور علقوه علي أعمدة الأزهر في سواد الليـل بينوا فيه مواضع الخلل في التعليم بالأزهر، وشرحوا الوسائل التي تؤدي إلي إصلاحه. (٤١)

كما طالب عبد ا النديم بادخال العلوم العصرية في الجامع الأزهر وتطـوير الدراسـة فيه، وعاب علي الأزهر انعزاله عن الدنيا وما فيها، ووضع برنامجا لتجديد التعليم فيـه نـشره بصحيفة الاستاذ في ١٨٩٣/٢/١٤ (٤٢)، ولكن النديم كرجل ثوري، كانت آراؤه محل مقاومة من الحكام وسلطات الاحتلال.

أما محمد عبده فهناك عدة ظروف دفعته إلي محاولة اصلاح التعليم في الأزهر، منهـا نشأته الأزهرية وما لمسه خلالها من فساد طريقة التعليم بالأزهر التي ضاق بها، وعـدم كفايـة وسلامة العلوم التي كانت تدرس فيه، فضلا عن ان سياسة الاحتلال التعليمية التي كانت قائمـة علي تضييق التعليم العام والغاء المجانية فيه جعلته يركز علي اصلاح الأزهر باعتباره البـاب الذي ظل مفتوحا أمام السواد الأعظم من المصريين. [٤٣]

ويختلف الاستاذ الامام محمد عبده عمن سبقوه في أن دعوته إلي اصلاح الأزهر لم تكن دعوة نظرية فحسب، ولكنها اقترنت بالتطبيق والتنفيذ، ولقي في سبيل ذلك ما لقي من معارضة وصعوبات، ولكن كل ذلك لم يحل دون تحقيق غايته، وليس أدل من إصـراره علـي اصـلاح التعليم بالأزهر قوله: "إن بقاء الأزهر متداعيا علي حاله في هذا العصر محال، فهو إما أن يعمر وإما أن يتم خرابه، وإني أبذل جهدي في عمرانه، فإن دفعتني الـصوادف إلـي اليـأس مـن اصلاحه، فإنني لا أيأس من الاصلاح الاسلامي، وإحضار أفراد من الشعب فأربيهم علي طريقة التصوف التي ربيت عليها، ليكونوا خلفا لي في خدمة الاسلام، ثم أؤلف كتابا في بيـان حقيقـة الأزهر أمثل فيه أخلاق أهله وعقولهم ومبلغ علومهم وتأثيرهم في الوجود، وأنشره باللغة العربية ولغة افرنجية، حتي يعرف المسلمون وغيرهم حقيقة هذا المكان التي يجهلها الناس حتـي مـن أهله". [٤٤]

وقد تميزت دعوة الامام محمد عبده في اصلاح التعليم بالأزهر بالشجاعة والجرأة، فلـم يكن يتهيب الحكام أو يخشاهم بل استخدم معهم الحجة والمنطق لاقناعهم بضرورة اصلاح التعليم بالأزهر، فقد بين للخديوي عباس حلمي الثاني أهمية اصلاح الشعب الثلاث المتـصلة بالـدين، وهي الأزهر والأوقاف والمحاكم الشرعية، فهي هيئات لا شأن للانجليز بها، وفـي صـلاحها صلاح للأمة وتقوية لمركز الخديوي، وليكن البدء بالأزهر، واقتنع الخديوي برأيـه، وأصـدر قرارا بتشكيل مجلس إدارة للأزهر لاصلاح التعليم فيه سنة ١٨٩٥، وكان محمد عبده من بـين أعضائه، وبذلك اتيحت له الفرصة لاصلاح الأزهر الذي تمناه من يوم أن كان مجاورا سـاخطا علي سوء حاله. [٤٥]

اتجاهات التجديد في إصلاح التعليم بالأزهر عند الامام محمد عبده وأهم جهوده في هذا المجال

يمكن أن نلخص أهداف اصلاح التعليم بالأزهر كما تراءي حينئذ للأستاذ الامام كما يلي:

١- أن يكون جامعة بالمعني الصحيح، يتلقي فيه الطلاب الثقافة الصحيحة التي تعـدهم لآن يكونوا رجالا عاملين، فيكون منهم لمصر وللإسلام قضاة ذوو نزاهة وأساتذة بـاحثون، وعلماء متخصصون، ومرشدون مخلصون يعملون علي بـث الآراء الدينيـة الـسليمة والمعاني الأخلاقية الرقيقة، ومكافحة الخرافات والقضاء علي البدع والأباطيل. (٤٦)

٢- تحقيق التفاعل بين الأزهر والمجتمع: فقد عاش الشيخ محمد عبده في الأزهـر وبـين الأزهريين، فكان أزهريا مثلهم، ولكن عاش إلي جانب ذلك مع الناس خارج الأزهـر، فانفعلت نفسه بالمجتمع مثلما انفعلت بالبيئة الأزهرية، ولذلك حاول أن ينقل شـيئا مـن الأزهر إلي المجتمع، وينقل شيئا من المجتمع إلي الأزهر، أي أنه حاول التقريب بـين الأزهر والمجتمع وتحقيق التفاعل بينهما، فالناس في خارج الأزهر تنقـصهم الـروح الدينية التي تبث في حياتهم عناصر من العزة والكرامة والشمم والإباء تعلو بهـم عـن سفساف الأمور والانحدار في مسالك الحيوان الأعجم، والنـاس فـي داخـل الأزهـر ينعزلون عن المجتمع لا يحاولون ان يتصرفوا في بضاعتهم تصرفا يجذب الأنظار إليها ويحبب الناس فيها، ومعرفة مقدار الحاجة إليها، لهذا حاول الاستاذ الامام بعث شخصية الرجل الأزهري واخراجه من تحت ركام الحاجة والجمود الفكري، وإطلاقه مـن قمـم الأفكار المتحجرة إلي ركاب العصر، وإلي معرفة أن الدين الاسلامي هو ديـن الـدنيا والآخرة. (٤٧)

٣- أن يستفيد الأزهر مكانته الزاهرة العظيمة التي كان يتمتع بهـا فـي عـصره الـذهبي (العصر المملوكي)، حين كان يتبوأ الزعامة الفكرية في مصر والعالم الاسلامي، وحيث كان مقصدا للدارسين الذين يفدون إليه من شتي أرجاء العالم الاسلامي، يتلقـون فيـه مختلف العلوم الدينية واللغوية والكونية، لقد كان الاستاذ الامام يريد أن تتحول مؤسـسة الأزهر من تكية للكسالي والمعدمين، إلي موقع حضاري مؤثر يبعث في حياة الأمة دم الحياة الفكرية الخصبة، ودم الدين خالصا من الشوائب المتخلفة التي لحقـت بـه إبـان عصور الانحطاط. (٤٨)

وقد أرتكز منهج إصلاح التعليم بالأزهر لديه علي الأسس الآتية:

١- التدرج في الاصلاح: كان الاستاذ الامام يود في قراره نفسه ان يتم اصلاح الأزهر بسرعة، وأن يكون إصلاحا شاملا يقضي علي كل أثر للجمود فيه، ولكنه أثر التمهل لتسويغ الانتقال من القديم إلي الجديد في نفوس أنصار القديم، ولأن الطفرة قد تؤدي إلي نتائج عكسية، لذلك أثر أسلوب الاصلاح التدريجي، والأخذ بقاعدة "ما لا يدرك كله لا يترك كله".[٤٩]

٢- الاقناع: فقد لجأ الامام محمد عبده إلي اقناع كبار المشايخ بآرائه حتي يعمل منهم جندا في كتيبته، وحتي يكون الاصلاح برضاهم وليس خارجا عن إرادتهم، وقد كان في سبيل اقناعهم يضطر إلي تغيير أسماء بعض العلوم الحديثة التي كان يريد ادخالها في مناهج الدراسة والتي كانت في نظرهم تمثل كفرا، فاستبدل اسم علم الجغرافيا بعلم تقويم البلدان، واستبدل اسم علم الطبيعة باسم خواص الأشياء الجامدة[٥٠]، وإذا كان منطق رواد الإصلاح الديني والثقافي بعد الاستاذ الامام محمد عبده قد دفعهم لأن يسلكوا طريقا صداميا مع الأزهر مثلما فعله طه حسين إلا أن منهج الامام محمد عبده وأسلوبه يتميزان بالحكمة والهدوء والقدرة علي الاقناع والاحتواء مع درجة عالية من الانفتاح دون تفريط في ثوابت الدين.

٣- إصلاح التعليم بالأزهر يكون عن طريق علمائه: فقد كان الاستاذ الامام يكره ان يكون للمعية إصبع في الأزهر، كما كره ان يكون للحكومة يد فيه، لأنها حكومة واقعة تحت سلطة أجنبية، وخير الإصلاح في العلم والدين ما كان بعيدا عن السياسة، ناشئا عن اقتناع العلماء واستقلالهم به.[٥١]

وقد تقدم الامام محمد عبده إلي العمل في إصلاح الأزهر بجنان ثابت وعزيمة صادقة، فوضع مع أعضاء مجلس إدارة الأزهر جملة مشاريع نافعة لتكون علاجا للمشكلات التي سبقت الاشارة إليها نذكر من أهمها ما يلي:

١-ادخال العلوم العصرية في مناهج الدراسة

فقد تقرر إدخال الرياضيات والعلوم الطبيعية وتقويم البلدان في مناهج الدراسة بعد أن غابت عن الأزهر دهرا طويلا، وعين لتعليمها العدد الكافي من المدرسين الاخصائيين بالمرتبات المناسبة، ومفتشا خاصا بها وكان هذا المشروع عن المشاريع التي صادفت الاستنكار والتشنيع والمعارضة مدة طويلة، ثم لم يلبث أن نفذ وجاء بنتائج باهرة بسرعة مدهشة، ولاثبات قيمة المواد العلمية، قام الاستاذ الامام بما يمكن ان يسمي أول تجربة علمية في العلوم الاجتماعية في العالم العربي في المائة سنة الأخيرة، لاثبات أن العلوم الحديثة تساعد علي فهم العلوم الدينية

واللغوية، إذ أخذ فريقين من الطلاب: فريقا ممن يدرسون العلوم القديمة وحدها، وفريقا ممن يدرسون العلوم القديمة والحديثة معا، واستخرج نسبة النجاح في الامتحانات النهائية ليقابل بينها، فتبين منها أن الناجحين في العلوم القديمة وهم مشتغلون بالعلوم الحديثة أكثر من الناجحين فيها وهم غير مشتغلين بها. (٥٢)

وهذه التجربة رغم افتقارها إلي أساليب الضبط والقياس العلمي، ما تزال النموذج الأول لدراسة التربية دراسة علمية في العالم العربي، ولعل قيمتها ليست في نتائجها، بقدر ما هي في الروح العلمية التي تدعو إلي اتباعها في البحوث والدراسات.

ولعل ما يثبت نجاح هذه التجربة، أن المسابقات التي وضعت للتوظف في تلك العلوم برز فيها الأزهريون علي خريجي المدارس وفازوا بالوظائف. (٥٣)

٢-اختيار الكتب القيمة التي وضعها المتقدمون في العلوم الدينية واللغوية:

فقد استصدر الامام محمد عبده أمرا عاليا بقانون ينص علي منع قراءة الحواشي والتقارير منعا باتا في السنوات الأربع الأولي من الدراسة، وتعيين كتب قيمة في المواد الدينية واللغوية ألفت في العصور الذهبية للاسلام ليقوم المعلمون بتدريسها، كما اتجه اهتمامه إلي تقوية العلوم الدينية المسماة بعلوم المقاصد، واشترط إلا يشتغل الطالب بأي علم منها قبل أن يتحصل من علوم الوسائل (اللغة) علي ما يمكنه من فهمه. (٥٤)

٣-قيامه بتدريس العلوم المهمة كالتفسير والمنطق والتوحيد والبلاغة

ولأجل أن يكون لارشادات الأستاذ الامام قيمتها في اصلاح التعليم، رأي من الواجب وقد وهب لسانا فصيحا وحجة صادقة، أن يقرن القول بالعمل، وجلس في الأزهر لتدريس بعض العلوم المهمة، فضرب بذلك المثل الأعلي في طرائق التعليم المثمر، وأفاد الجماهير من الناس علي اختلاف طبقاتهم، لاسيما في دروس التفسير التي داوم عليها جملة سنوات، يجتمع عليه ما لا يحصي عددا من علماء الأزهر وطلابه وكبار الموظفين، وأهل الفضل المولعين بالاعتراف من معينه العذب. (٥٥)

ومقصد الاستاذ الامام من تفسير القرآن الكريم هو فهم دين ا من حيث هو دين يرشد الناس إلي ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم في الآخرة. (٥٦)

ويقوم منهجه في تفسير القرآن الكريم علي التدبر في معاني القرآن، والوصول إلي اسرارها بخلاف غيره من المفسرين الذين كانوا يركزون اهتمامهم علي الألفاظ دون المعاني، كما كان يؤمن بوحدة السورة وتناسق آياتها، علي عكس غيره من المفسرين الذين يقسمون آيات السورة إلي جمل ويجعلون لكل جملة سببا مفصلا مما يجعل القرآن مفككا مبددا لا اتصال بين أجزائه، وهذا ما يتنزه عنه كلام ا ، كما حرص الأستاذ الإمام في تفسيره علي تقرير صفة

العمومية والشمول في معاني القرآن الكريم، وكان يحتج علي هذا النوع من التفسير الذي ينحو منحي الضيق والتخصيص. (٥٧)

وقد نهج الامام محمد عبده نهجا علميا في تفسير القرآن الكريم، فهو كتاب يوجه الانسان إلي هذا الكون واستكناه سره وفهم نظامه، بل يرشده إلي أن الكون قد خلق له، وكل شئ مباح في أصله، والأصل في الأشياء الإباحة، وكثيرا ما كان يعرض الامام في تفسيره أفكارا تجديدية كما قال المستشرق "جولد تسيهر"، مثال ذلك في تفسير سورة البقرة (٢٥٠) نجده ينتهي إلي نظرية تنازع البقاء والانتخاب الطبيعي، وفي تفسير الآيتين ١٨، ١٩ من تلك السورة التي تذكر البرق والرعد وظواهر أخري طبيعية، نجد الاستاذ الامام يتحدث عن السالب والموجب في الكهرباء، وعن التلغراف والتليفون وغير ذلك، لا بمعني أن القرآن الكريم يتحدث عن كل هذه الأمور، بل بمعني أن أمثال تلك الاكتشافات التي ظفر بها العلم والمدنية جديرة بأن ينظر فيها المسلم الحقيقي. (٥٨)

ويشعر كل سامع أو قارئ لتفسير الأستاذ الإمام بنزعة اجتماعية لم تعهد في سالف التفاسير، فقد كان حريصا في كل مناسبة علي شرح سنن الكون والآيات التي في الأنفس والآفاق، وتطبيق أحوال الأمم وقواعد الاجتماع علي ارشادات القرآن الكريم، وبيان مناط العبرة منها لأمته حتي ليخال للمرء أنه أمام مدرس لعلم الاجتماع. (٥٩)

ويبدو الطابع التربوي واضحا في كثير من مواضع تفسير القرآن الكريم لديه، فهو عندما يفسر آيات تتناول الصلاة والزكاة والعبادات، لا يفسرها تفسيرا لغويا جافا، بل يوضح جيدا صلة هذه الأوامر بالمجتمع، والقيمة الخلقية والاجتماعية والنفعية التي تعود علي المجتمعات من اتباعها، والأضرار التي تترتب علي إهمالها، والطريقة التي اتبعها الاستاذ الامام هي عين ما ينادي به أساتذة التربية، فهم يرون أن أحكم خطة للتربية الدينية، هي ربطها بالمجتمع، والمقارنة بين السلوك السيئ وما يترتب عليه من آثار مؤلمة لمن يسلكه ومن يحيط به، والسلوك الحميد وما يترتب عليه من الفوائد العظيمة لصاحبه ومن هم حوله. (٦٠)

٤ - انتظام الدراسة والالتزام بالآداب الاسلامية في التدريس

ضبطت المسامحات ضبطا تاما، وصارت السنة الدراسية عاما كاملا يبتدئ من العاشر من شوال وينتهي بالخامس والعشرين من شعبان، ويتخللها اثنان وستون يوما للمسامحة الصيفية (منها شهر يوليو وبعض شهر اغسطس)، ومنها أيام الأعياد، وفرضت الرقابة علي الطلاب وبعض المشايخ، وسجلت حالات الغياب والحضور. (٦١)

وتحتم علي الطالب أن لا يتلقي أقل من ثلاثة دروس في اليوم، والا يشتغل أثناء الدرس بغيره، وأن يحترم أستاذه ولا يرفع صوته عليه، وألا يسأله أكثر من ثلاث مرات في الموضوع

الواحد، وأن يعامل جليسه بالحسني، وأن يستمر في تلقي العلم علي يد أستاذه حتي يفـرغ، ولا يؤذيه بالقول أو بالفعل، فاذا فرغ وبدا له الانتقال إلي غيره، وجب أن يخبر شيخ جهته المنتسب إليها. (٦٢)

اما الأستاذ فقد حتم عليه ان يكون القدوة الحسنة للطلبة في حـسن الأخـلاق والـسيرة الشخصية، وأن يتعهد الطلبة الذين يحضرون درسه بنفسه إن كان مبصرا، أو بمن يـستنيبه ان كان ضريرا، وان يتولي حصر الغياب وإبلاغ شيخ الجهة المنتسب إليها الغائـب، وأن يتجنـب الأستاذ عادة سب الطلبة وشتمهم الشتم القبيح بسب الآباء والأمهات، وضربهم بالعصي والنعال، وأن يوجه ذهن الطالب إلي تعقل المسائل وفهم المعاني من أقرب الوجوه، متجنبـا الاحتمـالات البعيدة، وألا يخلط مسائل علم بمسائل علم آخر. (٦٣)

٥- رفع المستوي المادي للمدرسين وإصلاح الأحوال الصحية

كانت مرتبات الأزهر الضئيلة لعلمائه لاتتجاوز ثلاثمائة وعشر من الجنيهات شهريا في صورة مبعثرة لا ضابط لها ولا قاعدة لصرفها، وكانت تتبع الشفاعات لا الأعمال والكفـاءات، فدعمتها الحكومة بمبلغ ألفي من الجنيهات سنويا، مما أدي إلي زيادة المرتبات وتحسينها.

ووعد المسئولون الإمام بالمزيد متي ظهرت فائدة الاصلاح، وخصصت مرتبات شهرية لمشايخ الأروقة، مما ساعد علي انسياقهم للنظام والتعود عليه، والقيام بالواجبات المطلوبة، كمـا رفعت الجرايات من خمسة آلاف رغيف يوميا إلي خمسة عشر ألف رغيفا. (٦٤)

وكانت الأمور الصحية في الأزهر مهملة اهمالا شـديدا، فالخـدم المنظفـون قليلـون، ومصابيح الزيت المخصصة للاستضاءة قليلة مبعثرة، والمياه المستعملة في الطهارات قليلة، ولا طبيب يعود المرضي ولا مراقب علي نظافة الأزهر، فكان من أعمال الامام محمد عبده السريعة زيادة الخدم للنظافة وتعيين طبيب يراقب الشئون الصحية ويزور الطلبة، ويشرف علي احوالهم الصحية، كما أنشئت صيدلية لتوفير ما يلزم من الأدوية، وأدخل نور الغاز بدرجة كافية للمطالعة الليلية. (٦٥)

٦- فك قيود امتحان العالمية

اعتاد رؤساء الأزهر في امتحان العالمية عدم الاذن بالامتحان لأكثر من ستة أشـخاص في العام من بين فئات الطالبين، فكان ذلك من أسباب خمود هممهم، وتسرب اليأس إلي نفوسهم، فقنع الكثير منهم بدرجة محدودة في العلم، فإما اقاموا علي كسل، وإما سـافروا إلـي بلادهـم ليشتغلوا بما ينفعهم، فعني الاستاذ الامام بوضع قانون التعليم الشامل لبيان العلـوم ومقاصـدها ووسائلها وطرق الامتحان، وتقرر أن يمتحن الطالب بعد مضي ٨ سنوات للحصول علي شهادة الأهلية التي تتيح لحاملها التعيين في وظائف الامامة والخطابة والوعظ في المساجد وتعليم العامة

التعليم الابتدائي، اما شهادة العالمية التي تتيح لحاملها التدريس في الأزهر وغيره من المـدارس الدينية فيشترط لأداء الامتحان فيها المواظبة علي الدرس لمدة ١٢ سنة، ويجوز لمن يرسب في الامتحان الاعادة مرتين في مدة ثلاث سنوات، وإذا لم ينجح يشطب اسمه من سجلات الأزهـر. (٦٦)

٧-إنشاء المكتبة الأزهرية

اهتم الاستاذ الامام بتنظيم مكتبة للأزهر، ولم تكن هذه العملية سـهلة، فالكتـب التـي أرصدها أهل الخير علي الأزهر قد مزقت شر ممزق والبقية الباقية منها مشتتة فـي الأروقـة والمساجد الأخري، مخلوطة الأجزاء اكلتها الحشرات وأبلاها الاهمال، فسعي حتي صدر الأمر بالمال اللازم، واختار أحسن مكان بالأزهر ليكون مكتبة لائقة بفخامته، فجمعـت الكتـب بعـد تفرقها، ورتبها العمال، واستخرجوا منها نفائس المؤلفات، ورتب الناسخين لاستكمال بعض مـا فقد، ووضع لها نظام حديث من حيث الفهرسة والتبويب، وعين مبلغا سـنويا للاسـتزادة مـن الكتب، وحرك عاطفة الموسرين فأهدوا المكتبة بكتب كثيرة قيمة، ولم يمض زمن حتي امـتلأت هذه الدار الفسيحة بذخائر الكتب في سائر العلوم ولما لم تعد تسع أكثر مما فيها، أضـيف إليهـا دار أخري في الأزهر فامتلأت أيضا حتي أصبحت المكتبة الأزهرية تعد المكتبـة الثانيـة فـي مصر، ولا يخفي ما في هذا العمل الجليل من تأسيس ركن عظيم من أركان النهضة العلمية.(٦٧)

٨-توسيع نطاق التعليم الديني

لما ظهرت ثمرات الاصلاح في الأزهر، أشار الاستاذ الامام بتوسـيع نطـاق التعلـيم الديني، وذلك بضم المعاهد الدينية الكبري إلي الأزهر حتي يسري عليهـا الاصـلاح الـديني، فصدر قانون في ٣١ مارس نسة ١٨٩٦. بالحاق التعليم في الجامع الأحمـدي وجـامع دسـوق وجامع دمياط بالأزهر، أما معهد الاسكندرية الديني فلم يلحق بالأزهر إلا سنة ١٩٠٣.(٦٨)

واجهت أفكار محمد عبده التقدمية في تطوير التعليم بالأزهر عقبات وعوائق، والحق أن هذا من طبائع الأشياء فالتطوير يعني تغييرا، والتغيير يتطلب إعادة تفكير وإعادة نظر وتحويـل عقائد وتقاليد، والانسان يركن في كثير من الأحيان إلي التكاسل ويميل إلي مـا تعـود وألـف، بالإضافة إلي أن التطوير بالضرورة لابد وأن يذهب بمصالح البعض فيضطرون إلي محاربتـه وتعويقه، ولعل ما كان يلاقيه إصلاح الأزهر وتطويره يعطينا دليلا جديدا علي إحساس الجميـع بقوته ومكانته، إذ لو كان ذا شأن صغير ما حفل بذلك أحدا.

وهناك عقبتان أساسيتان واجهت إصلاح التعليم بالأزهر:

الأولي: مقاومة أنصار الجمود، فقد تزعم الأزهريون طائفة ألفت القديم حتي عدته دينا، وكرهت الجديد حتي عدته كفرا، فإذا أتي مصلح سمم أهله الجو حوله، واهتمـوا بالـدين يخيفـون بـه

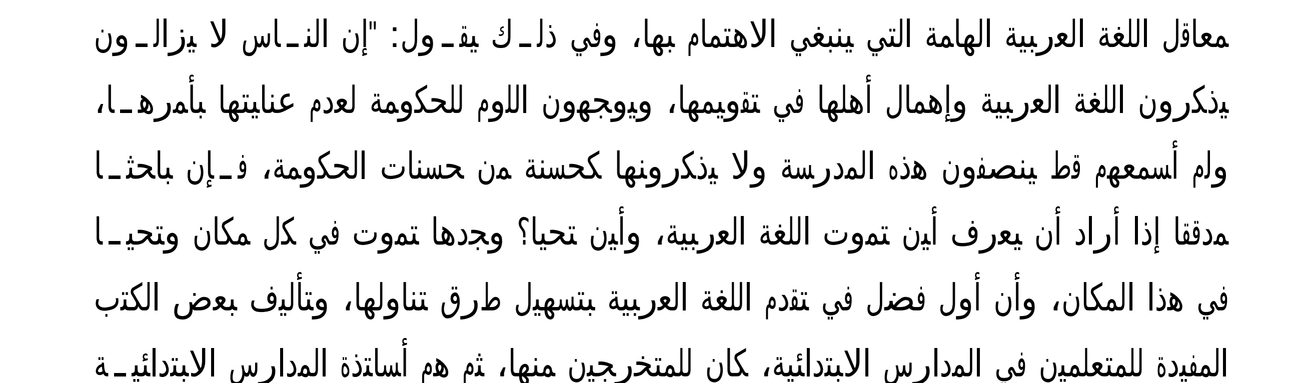
الحكومة ويكسبون به عامة الشعب، فهم يرون أن ادخال العلوم الحديثة بالأزهر من الكماليات التي لا ضرورة لها، وأن وظيفة الأزهر هي تخريج علماء يعلمون الناس فرائض الوضوء والصلاة وأحكام الحلال والحرام.(٦٩)

الثانية: تآمر الخديوي لأن الامام محمد عبده رفض الموافقة علي استبدال قطعة أرض رخيصة يمتلكها الخديوي مع قطعة أرض غالية الثمن تملكها الأوقاف، فضلا عن أنه لم ينفذ أمر الخديوي بمنح كسوة التشريفة لأحد اتباعه بحجة أنه لا يستحقها، ونتيجة ذلك أخذ الخديوي يحرض العلماء الرجعيين لمعارضة الاصلاح، وانتهي الأمر باستقالة الامام محمد عبده من مجلس إدارة الأزهر في ٢١ مارس سنة ١٩٠٥. (٧٠)

وإذا كانت محاولة الأستاذ الإمام في إصلاح التعليم بالأزهر لم تحقق كل ما كان يبغيه، إلا أنها رغما عن ذلك كان لها اهمية كبيرة، حيث أنها أثارت الجدل بين انصار القديم والحديث، وفتحت أبواب الأزهر أمام التيارات المتصارعة، الأمر الذي كان له أثره في اهتزاز القديم، ومن ثم تمهيد الطريق لعوامل الاصلاح والتجديد لتأخذ طريقها للأزهر، وتمثل ذلك في صدور القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ لتطوير التعليم بالأزهر.

إن واقع التعليم في الأزهر في الوقت الحالي أكثر حاجة لدعوة الامام محمد عبده، ويكفي ما عليه خريجوه من ضعف علمي وعدم حفظ القرآن الكريم ورسوب في مسابقات الأئمة والدعاة.. إن هذه القضايا يجب طرحها في مؤتمر يستفيد من أفكار الامام ويعيد للأزهر مصداقيته.

اتجاهات اصلاح التعليم بدار العلوم



كان الأستاذ الإمام محمد عبده ينظر نظرة إنصاف إلي دار العلوم، ومن رأيه أنها أحد معاقل اللغة العربية الهامة التي ينبغي الاهتمام بها، وفي ذلك يقول: "إن الناس لا يزالون يذكرون اللغة العربية وإهمال أهلها في تقويمها، ويوجهون اللوم للحكومة لعدم عنايتها بأمرها، ولم أسمعهم قط ينصفون هذه المدرسة ولا يذكرونها كحسنة من حسنات الحكومة، فإن باحثا مدققا إذا أراد أن يعرف أين تموت اللغة العربية، وأين تحيا؟ وجدها تموت في كل مكان وتحيا في هذا المكان، وأن أول فضل في تقدم اللغة العربية بتسهيل طرق تناولها، وتأليف بعض الكتب المفيدة للمتعلمين في المدارس الابتدائية، كان للمتخرجين منها، ثم هم أساتذة المدارس الابتدائية والثانوية، ولا يشك عاقل في أن تلاميذ تلك المدارس يكتبون وينطقون علي نمط أقوم مما كان يكتب وينطق عليه أساتذتهم من قبل". (٧١)

وقد وضع محمد عبده مشروعا للنهوض بدارالعلوم رأي في تنفيذه امكانية إحلالها محل الأزهر، فيتم بذلك توحيد التربية، وقد ركز في هذا المشروع علي جوانب التربية المختلفة فاشترط أن يكون ناظر المدرسة عالما بالدين واللغة العربية بعد أن تعاقب علي نظارتها من قبل أشخاص جاهلين بالدين واللغة، وأن يمتلئ قلبه بالهدف الذي أنشئت المدرسة لأجله، وان يجمع بين علم الخاصة والقدرة علي التأثير في العامة.

كما اشترط ان يكون الأساتذة صالحين للقيام بالعمل الموكل إليهم بحيث تتوافر فيهم عدة خصائص كإتقان مواد الدراسة ومعرفة الغاية من تعليمها وطرق توصيلها للتلاميذ، ومتابعة أخلاق التلاميذ، حيث أن معظم المعلمين بها لا يحسنون أداء ما كلفوا به، ولا هدف لهم، إلا التعيش بمرتباتهم ولا عناية لهم بأمر التربية.(٧٢)

وأوصي بأن تقوم التربية في المدرسة علي العلم والعمل، وان يكون تلاميذها تحت نظام شديد في التهذيب.

وطالب بحذف بعض العلوم التي اشتغل بها التلاميذ في الأزهر، وزيادة بعض علوم ليست فيها الآن منها علوم الآداب الدينية وفن أصول النظام مع تعلقه بالدين.

وأكد علي ضرورة تغيير طرق تدريس التفسير والحديث بالمدرسة بحيث يراعي ربطها بظروف العصر.

وطالب بتوسيع المدرسة إلي ما يسع مائة تلميذ، وان يكون التدريس في المكاتب والمدارس محصورا في خريجيها.

ونادي بزيادة التدريس فيها عاما يتمرن خلاله الطالب علي التدريس بالمدرسة[٧٣]، وكأنه ينوه إلي الدراسات التربوية (الدبلوم العامة) المتعارف عليها الآن، وكان أثر ذلك واضحا حيـث زيدت حصة التربية الواحدة إلي اثنتي عشر حصة، وبعد أن كانت فـي الـسنة الرابعـة فقـط أصبحت موزعة علي السنوات الأربعة. [٧٤]

اتجاهات الاستاذ الامام محمد عبده في تطوير

الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة

مفهوم الدعوة الاسلامية عند الاستاذ الامام محمد عبده

أي عقيدة دينية لا يتحقق انتشارها إلا بالدعوة إليها، فالدعوة هي محور تربية العقيـدة، ومن هنا تتضح أهمية اعداد الدعاة الذين هم بمثابة مرشدين ومعلمين يحملون الناس علي اعتناق العقيدة والايمان بالدين عن طريق الاقناع والحجة، ويوضحون مبادئ الدين وأحكامـه وطـرق ممارسة شعائره.

وأوضح الامام محمد عبده أن مفهوم الدعوة الاسلامية يتضمن جانبين:

الجانب الأول : هو الدعوة إلي العقيدة الدينية ونشرها بين الناس.

الجانب الثاني : وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو يأتي بعـد الايمـان بالـدين واعتناق العقيدة.

وذكر الاستاذ الامام ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو أسلوب يهـدف إلـي تربية الناس ونشر الفضائل والقضاء علي الرذائل بينهم. (٧٥)

وبين أنه فرض واجب علي كل مسلم ومسلمة، فهو يشمل الوعظ والارشاد في المساجد والطرق والأسواق والمنتديات وفي أوقات الاجتماع الخاصة وفي الحديث مع الأصحاب، فالناس إذا تركوا دعوة الخير وسكت بعضهم عن ارتكاب الجرائم، خرجوا عن معنـي الأمـة وكـانوا متفرقين. (٧٦)

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في رأي الامام محمد عبده يكون علي مستويين:

مستوي عام: حيث يقوم خواص الأمة بارشاد الناس عامة إلي طرق الخيـر ويـضربون لهـم الأمثلة.

مستوي خاص: ويكون بين الأفراد بعضهم ببعض، ويستوي فيه العالم والجاهل، كالحث علـي الخير والنهي عن الشر، والتواصي بالحق والصبر، ويري الاستاذ الامام ان هناك من يخلطون بين النهي عن المنكر وتغيير المنكر الذي جاء في حديث (مـن رأي منكم منكرا فليغيره) وهذا شئ غير النهي، لأن النهي عن الشئ إنما يكـون قبـل فعله، أما التغيير فيكون بعد وقوع الفعل، ويتم أولا بالقدرة والاستطاعة، فان لـم يقدر عليه الانسان وجب عليه استخدام اللسان، فان لم يقدر يكون التغيير بالقلـب، وهو عبارة عن مقت الفاعل وعدم الرضا بفعله. (٧٧)

منهج إعداد الدعاة:

يري الاستاذ الامام أن القائمين بالدعوة ينبغي أن يكونوا أقوم الناس سيرة لا يخالف عملهم قولهم، فيكونون مثالا للناس يحتذونه، وقدوة لهم يتبعونها، ويجب ان يكونوا ممتازين بفصاحة اللسان وجودة النطق بين القوم الذين يرشدونهم ليقبلوا عليهم بالاستماع.

أما منهج إعداد الدعاة – كما يري- فينبغي أن يرتكز علي ما يلي:

١- العلم التام بما يدعون إليه: فأول ما يجب علي هؤلاء الدعاة العلم بالقرآن الكريم ودراسة العقيدة وأحكام الفقه، والعلم بالسنة وسيرة النبي (ص) والخلفاء الراشدين رضي ا عنهم، وسلف الأمة الصالح وبالقدر الكافي من الأحكام الشرعية.

٢- العلم بحال من توجه إليهم الدعوة في شئونهم واستعدادهم وطبائع بلادهم وأخلاقهم، أو ما يعبر عنه في عرف العصر بحالتهم الاجتماعية.

٣- مناشئ علم التاريخ العامة: فدراسة التاريخ تسهم في استخلاص العبر والعظات والتأسي بالسلف الصالح، والتعرف علي نشأة الاسلام وكيف انتشر والظروف التي أدت إلي فساد العقائد والأخلاق، فذلك يساعد الدعاة علي بناء الدعوة علي أصل صحيح، والجاهل بالتاريخ لا يصلح أن يكون داعيا.

٤- علم تقويم البلدان: ليعد الدعاة لكل بلد عدتها إذا ارادوا السفر إليها، فيتعرفون علي مسالك هذه البلاد وطرقها ومواقع البلاد.

٥- علم النفس: وهو العلم الباحث عن قوي النفس وتصرفها وتأثيرها علي الأعمال، فكثير من الناس يقدمون علي الأعمال الضارة مع علمهم بضررها ويتركون الأعمال النافعة مع علمهم بنفعها، فمهمة الداعي معرفة السبب في ذلك ووسائل استمالة النفوس عن جانب الشر إلي جانب الخير، والتعرف علي مداخل الباطل إلي القلوب وسبل التقريب بين اللذة والمنفعة.

والانسان في كل زمان يحتاج إلي نوع من طرق التعليم غير ما كان في الزمن الذي قبله، فالحقيقة الواحدة قد تختلف طرق العلم بها باختلاف الزمان والمكان والأحوال.

٦- علم الأخلاق: وهو العلم الذي يبحث في الفضائل وكيفية تربية المرء عليها، وعن الرذائل، وطرق توقيه منها، والاستعانة في ذلك بما ورد من الآيات والأحاديث وآثار الصحابة والتابعين.

٧- علم السياسة: وليس المراد منها السياسة الشرعية التي كتب فيها بن تيمية وغيره، فهذه علي ضرورتها داخلة في علم الكتاب والسنة والأحكام، وإنما المراد بها حال دول العصر وعلاقاتها وطرق سعيها.

٨- العلم بالفنون والعلوم المتداولة في الأمم التي توجه إليها الدعوة، ولو بقدر يمكن الدعاة من الإحاطة بما في تلك العلوم من شبهات علي الدين حتي يمكن الرد عليها ودحضها.

٩- معرفة الملل والنحل ومذاهب الأمم فيها: ليتيسر للدعاة بيان ما فيها من الباطل، فالانسان إذا لم يتبين بطلان ما هو عليه، لا يلتفت إلي الحق الذي عليه غيره وإن دعي إليه.

١٠-العلم بلغات الأمم التي تراد دعوتها: فالعالم المسلم لا يمكنه ان يخدم الإسلام من كل وجه يقتضيه حال العصر، إلا إذا كان متقنا للغة من اللغات تمكنه من الاطلاع علي ما كتبه اهلها في الاسلام وأهله حتي يمكن دفع الحجج الباطلة التي تمس الاسلام.[٧٨]

هذا هو المنهج الذي رسمه الاستاذ الامام في اعداد الدعاة في مطلع القرن العشرين، وما أحوج الدول الاسلامية أن تأخذ بهذا المنهج في اعداد الدعاة لنشر الدين الاسلامي وخاصة ان البعثات التنصيرية [*] تبذل جهودا كبيرة في نشر الديانة المسيحية في المناطق الوثنية بأفريقية وآسيا وفق أساليب علمية، حيث تنتشر بعثاتهم وسط الغابات بشكل مكثف، وتقود إليها طرق مرصوفة واضحة المعالم، وكل مركز من هذه المراكز مكون من مكان عبادة، وعيادة طبية ومدرسة، ويؤدي رجل الدين شعائره الدينية وسط المصلين، ثم يتوجه بعدها إلي العيادة الطبية كطبيب بشري أو بيطري، أو إلي مزرعة المركز كمهندس زراعي، أو إلي المدرسة التابعة للمركز كمدرس، لقد تربي أفراد هذه البعثات التنصيرية في كليات دينية متخصصة، درسوا فيها العلوم الدينية إلي جانب تخصصاتهم العلمية الأخري، كما درسوا فيها لغات وتاريخ وجغرافية وعادات وتقاليد وأخلاق البلاد التي يرسلون إليها (وهو نفس منهج اعداد الدعاة الذي أشار إليه الإمام محمد عبده) وعندما يوفدون إلي هذه البلاد لايكون إيفادهم نهائيا، بل يوضعون تحت التجربة لمدة ستة شهور، فإذا تؤلموا مع السكان والمكان استمروا، وإذا لم ينجحوا في ذلك أعيدوا إلي كلياتهم الدينية حتي يتمكنوا من استيعاب ما لم يستوعبوه في الدورة الأولي.[٧٩]

---

[*] من الأخطاء التي يقع فيها معظم الباحثين المسلمين، إطلاق اسم البعثات التبشيرية أو الارساليات التبشيرية علي البعثات المسيحية والعاملين فيها، فهذه الألفاظ صدرت إلي مصر وسائر أنحاء العالم العربي من مسيحيي الشام، وأخذ بها الباحثون المسلمون عن غفلة، ولا يمكن إطلاق كلمة مبشر علي شخص يدعو مسلما إلي اعتناق المسيحية، والآيات القرآنية واضحة في هذا الشأن نذكر منها علي سبيل المثال: " يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلي ا بإذنه وسراجا منيرا، وبشر المؤمنين بأن لهم من ا فضلا كبيرا" (سورة الأحزاب الآيات رقم ٤٥، ٤٦، ٤٧) و"إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، لتؤمنوا با وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا" (سورة الفتح الآيتان ٨، ٩)... ولذلك تقتضي الصياغة اللفظية الدقيقة استخدام ألفاظ بعثات تنصيرية أو إرساليات تنصيرية مسيحية.

ينبغي أن تسعي الدول الاسلامية إلي تخريج دعاة علي نفس منهج الاستاذ الامام محمـد عبده، وأن يتم اعداد الدعاة بناء عن علم وتخطيط، بحيث يتم تأهيلهم بقدر عال من العلم وفـن إدارة الحوار وأن يكونوا دراسين لمنهج الاسلام الوسطي المعتدل ويجيدون اللغـات الأجنبيـة، وتكون مهامهم الأساسية تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الاسلام، وخاصة بعد أحـداث الحـادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ وتكذيب هذه الادعاءات المضللة، وتوضيح حقيقة المفاهيم الاسـلامية وحقيقة لب الدين الاسلامي الذي ارتكزت عليه الحضارة الاسلامية والتي أسهمت في الحـضارة الانسانية بمعطيات ثقافية وعلمية وعمرانية لا يستطيع اي مفكر أو عالم في عـصرنا هـذا أن ينكرها أو يقلل من شأنها، أو يدعي أن الحضارة الاسلامية أقل رقيا وقيمة من الحضارة الغربية كما أعلن رئيس وزراء ايطاليا "برلسكوني" في زلة لسان اعتذر عنها فيما بعد... نريـد دعـاة لديهم القدرة علي إبراز ان الحضارة الاسلامية من أعرق الحضارات، وكانت معطياتها – كمـا أوضح الامام- هي الركيزة التي ارتكزت عليها النهضة الأوربية في القـرن الخـامس عـشر الميلادي، بل ان كثيرا من أفكار عصر التنوير في فرنسا خلال القرن الثامن عـشر وخاصـة أفكار "جان جاك روسو" و "فولتير" التي ارتكزت عليها الثورة الفرنسية الكبري ١٧٨٩ تعود إلي قراءتهما في كتب الفلاسفة المسلمين في العصر الذهبي في الأندلس والمترجمة إلي اللاتينية.

إن كثيرا من الأوربيين والأمريكيين لا يعرفون حقيقة الاسلام لذا يخافون منه عن جهل وليس عن كراهية، وعلي الدعاة تعريفهم بحقيقة الاسلام ومبادئه السمحة التي تدعو إلي الـسلام والأخاء والمساواة.

هوامش الفصل الثامن

١- احمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في عصر محمد علي، القاهرة، مكتبة النهـضة، سنة ١٩٣٨، ص ٩.

٢- محمد عبده، لائحة اصلاح التعليم العثماني، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ ـ٣، مصدر سابق، ص ٧٤.

٣- نفس المصدر السابق، ص ٧٣.

٤- نفس المصدر السابق، ص ٧٣.

٥- نفس المصدر السابق، ص ٧٦.

٦- نفس المصدر السابق، ص ٧٧.

٧- محمد عبده، لائحة اصلاح التعليم العثماني، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ ـ٣، مصدر سابق، ص ٧٧، ٧٨.

٨- نفس المصدر السابق، ص ٧٩، ٨٠.

٩- نفس المصدر السابق، ص ٨١- ٨٢.

١٠- نفس المصدر السابق، ص ٨٣.

١١- محمد عبد الرحيم غنيمة، تاريخ الجامعات الاسلامية الكبري، القـاهرة، دار الطباعـة العربية، سنة ١٩٥٣، ص ٤٠.

١٢- محمد فوزي عبد المقصود، التعليم بالمعاهد الأزهرية وأثره في تكوين بعض القيم لدي التلاميذ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، سـنة ١٩٨١، ص ٢٠.

١٣- محمد عبد ا دراز، دراسات اسلامية، الكويت، دار القلم، سنة ١٩٨١، ص ١٧٩.

١٤- محمد عبد الجواد، حياة مجاور في الجامع الأحمدي، القاهرة، دار المعـارف، سـنة ١٩٤٧، ص ١٦٧، ١٦٨.

١٥- محمد عبد ا دراز، دراسات اسلامية، مصدر سابق، ص ١٧٩.

١٦- مصطفي عبد الرازق، محمد عبده، القاهرة، دار المعارف، سنة ١٩٤٥، ص ٤٤.

١٧- محمد عبد الجواد، حياة مجاور في الجامع الأحمدي، مصدر سابق، ص ٢٦٨.

١٨- محمد عبده، الجامع الأزهر، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ١١٢.

١٩- محمد عبده، جناية الجمود علي الشريعة وأهلها، الاضطهاد في النصرانية والاسـلام، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ٣٢٤.
٢٠- سعيد اسماعيل علي، قضايا التعليم في عهد الاحتلال، القاهرة، عـالم الكتـب، سـنة ١٩٧٤، ص ٣٥٠.
٢١- محمد عبد الجواد، مصدر سابق، ص ١٨٩.
٢٢- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ٢، مصدر سابق، ص ٤٩١.
٢٣- محمد عبده، حال علوم الدين وطلابها، الاضطهاد في النصرانية والاسلام، الأعمـال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ٣٤٣.
٢٤- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ٢، مصدر سابق، ص ٤١١.
٢٥- احمد أمين، زعماء الاصلاح في العصر الحديث، القاهرة، مكتبة النهضة المـصرية، سنة ١٩٧٩، ص ٣٠٤.
٢٦- محمد عبد الجواد، مصدر سابق، ص ١٩٠.
٢٧- محمد عبده، جناية الجمود علي الشريعة وأهلها، الاضطهاد في النصرانية والاسـلام، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ١، مصدر سابق، ص ٣٢٣.
٢٨- عباس محمود العقاد، عبقري الاصلاح والتعليم الاستاذ الامام محمـد عبـده، مرجـع سابق، ص ١٨٧.
٢٩- ابو الفتوح رضوان، تاريخ مطبعة بولاق ولمحة في تاريخ الطباعة في بلدان الـشرق الأوسط، القاهرة، المطبعة الأميرية، سنة ١٩٥٣، ص ٢٣١.
٣٠- عبد المتعال الصعيدي، تاريخ الاصلاح في الأزهر، القاهرة، مطبعة الاعتمـاد، سـنة ١٩٤٣، ص ٣٩- ٤٣.
٣١- عبد العزيز محمد الشناوي، الأزهر جامع وجامعة، جـ١، القاهرة، مكتبـة الانجلـو، سنة ١٩٨٣، ص ١٣٩- ١٤٠.
٣٢- محمد عبده، جناية الجمود علي العقيدة، الاضطهاد في النصرانية والاسلام، الأعمـال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ٣٢٦.
٣٣- عبد الهادي بن سداد بن عبد الحق رشاد، رسالة في بيان صفة التدريس والتأليف فـي الأزهر، مخطوط، الخزانة التيمورية، سنة ١٩٠٢، ص ٩.

٣٤- عثمان توفيق، عبد الحميد يونس، الأزهر، القاهرة، دار الفكر العربي، سـنة ١٩٤٦، ص ١٥.
٣٥- محمد عبده، الجامع الأزهر، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، مصدر سابق، ص ٣١٣.
٣٦- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ١، مصدر سابق، ص ٤٩٦.
٣٧- حسن العطار، حاشية العطار علي شرح الجلال المحلي علي جمع الجوامع، جـ ـ١، القاهرة، المطبعة العلمية، سنة ١٣١٨، ص ٢٢٥.
٣٨- عبد العزيز محمد الشناوي، الأزهر جامع وجامعة، جـ٢، القاهرة، مكتبـة الانجلـو، سنة ١٩٨٤، ص ٧٦٩.
٣٩- رفاعة رافع الطهطاوي، مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، القاهرة، مطبعة شركة الرغائب، سنة ١٩١٢، ص ٢٤٧، ٢٤٨.
٤٠- عبداس محمود العقاد، مصدر سابق، ص ٤٩.
٤١- عبد المتعال الصعيدي، مصدر سابق، ص ٢٢- ٢٤.
٤٢- عبد ا النديم، الاستاذ في ١٨٩٣/٢/١٤.
٤٣- زكريا بيومي سليمان، التيارات السياسية والاجتماعية بـين المجـددين والمحـافظين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٣، ص ١٠٢.
٤٤- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ١، مصدر سابق، ص ٤٢٦.
٤٥- أحمد أمين، زعماء الاصلاح في العصر الحديث، مصدر سابق، ص ١٤٢، ١٤٣.
٤٦- عثمان أمين، رائد الفكر المصري، مصدر سابق، ص ١٨٣.
٤٧- سليمان دنيا، الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين، مصدر سابق، ص ٥، ٦.
٤٨- قدري قلعجي، محمد عبده بطل الثورة الفكرية في الاسلام، أعلام الحرية، العـدد ١٢ بيروت، دار العلم للملايين (د.ت)، ص ٩٨.
٤٩- عبد المتعال الصعيدي، مرجع سابق، ص ٤٨.
٥٠- قدري قلعجي، مصدر سابق، ص ٤٨.
٥١- نفس المصدر السابق، ص ٩٩.

٥٢- الجامع الأزهر، أعمال مجلس إدارة الأزهر من ابتداء تأسيسه سنة ١٣١٢ حتي سنة ١٣٢٢، مصر، سنة ١٣٢٢، ص ٤٦.

٥٣- محمد عبد ا دراز، مصدر سابق، ص ١٧٩.

٥٤- الجامع الأزهر، أعمال مجلس إدارة الأزهر، مصدر سابق، ص ٤٨.

٥٥- محمد عبد ا دراز، مصدر سابق، ص ١٧٩.

٥٦- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٤، مصدر سابق، ص ٩.

٥٧- عبد ا محمود شحاته، منهج الامام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم، القاهرة، مكتبة وهبة، سنة ١٩٦٣، ص ٣٦.

٥٨- جولد تسيهر، مذاهب التفسير الاسلامي، ترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة، مكتبة الخانجي، سنة ١٩٥٥، ص١٥٥.

٥٩- محمد عبد ا دراز، دراسات اسلامية، مصدر سابق، ص ١٨١.

٦٠- عبد ا محمود شحاته، مصدر سابق، ص ١٩١.

٦١- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محد عبده، جـ١، مصدر سابق، ص ٤٤٤.

٦٢- الجامع الأزهر، أعمال مجلس إدارة الأزهر، مصدر سابق، ص ٤٥.

٦٣- نفس المصدر السابق، ص ٤٥.

٦٤- نفس المصدر السابق، ص ٤٦.

٦٥- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ١، مصدر سابق، ص ٤٨٠، ٤٨١.

٦٦- الأزهر، أعمال مجلس إدارة الأزهر، مصدر سابق، ص ٦٨.

٦٧- عبد العزيز محمد الشناوي، الأزهر جامع وجامعة، جـ١، مصدر سابق، ص ٢١٠.

٦٨- الأزهر، أعمال مجلس إدارة الأزهر، مصدر سابق، ص ٦٨.

٦٩- أحمد أمين، زعماء الاصلاح في العصر الحديث، مصدر سابق، ص ٣٤٣.

٧٠- محمد رجب البيومي، الأزهر بين السياسة وحرية الفكر، كتاب الهلال العدد ٣٨٧، مارس سنة ١٩٨٣، ص ٨٢.

٧١- أمين سامي، التعليم في مصر، القاهرة، مطبعة المعارف، سنة ١٩٧١، ص ٨١.

٧٢- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ٢، مصدر سابق، ص ٥٤٨.

٧٣- نفس المصدر السابق، ص ٥٤٩.

٧٤- نفس المصدر السابق، ص ٥٤٩.

٧٥- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٥، مـصدر سابق، ص ٦٢.

٧٦- نفس المصدر السابق، ص ٦٣.

٧٧- نفس المصدر السابق، ص ٦٣.

٧٨- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٥، مـصدر سابق، ص ٦٦- ٦٩.

٧٩- البهي الخولي، تذكرة الدعاة، بيروت، دار الفتح، سنة ١٩٦٣، ص ١٥٩.

خاتمة

هناك شخصيات تستحق أن نعاود قراءتها وأن نكرر زيارتها، وأن نقطع مسيرة قرن من الزمان لنتحدث إليها.

ولاشك أن الاستاذ الامام محمد عبده هو نموذج لهذه الشخصيات التـي آثـرت اتخـاذ التربية سبيلا لتحقيق نهضة المجتمع وتحقيق استقلاله.. ومن خلال مناقشتنا للفكر التربوي لهـذا الرائد التنويري نستطيع استخلاص أهم سمات هذا الفكر علي النحو الآتي:

أ- الشمول والتكامل

عالج الاستاذ الإمام التربية وقضاياها من منظور شامل ومتكامل، فقد أوضـح مفهـوم التربية وأهميتها وأهدافها، وتحدث عن وسائطها، وقام بتحليل عناصر المنظومة التعليمية مطبقا لما يقول علي واقع المجتمع المصري، كما تناول بعض القضايا التعليميـة المرتبطـة بتحقيـق الاصلاح الاجتماعي في مصر كقضية تعميم التعليم، وتعليم أبناء الفقراء، وتعليم المرأة، والدعوة إلي إنشاء جامعة مصرية، وناقش بعض قضايا التربية ذات الأبعاد الفلسفية والثقافية كالطبيعـة الانسانية ونظرية المعرفة،، والقيم، وحرية الإرادة والوسطية في التربية الإسـلامية، وقـضية الأصالة والمعاصرة، والحوار الثقافي، وتجديد اللغة، فضلا عن أفكاره وجهـوده فـي مجـال اصلاح التعليم الديني بوجه عام والتعليم في الأزهر بوجه خاص، وتطـوير أسـاليب الـدعوة الاسلامية.

وإذا كان الفكر التربوي للاستاذ الامام محمد عبده جاء التعبير عنه في صور متفرقة من خلال المقالات الصحفية والمؤلفات والمراسلات والحوارات ودروس التفسير في الأزهر، إلا أنه بتجميعها وتحليلها – كما فعلنا- تستطيع أن نقرر أنها تمثل نظرية شاملة عالجت كل أو معظـم المسائل المتصلة بقضايا التربية، وهو في هذا المجال لا يقل عن غيره من أعلام التربيـة فـي العالم الغربي.

ب- الإبـداع

فالفكر التربوي للأستاذ الامام محمد عبده لم يكن فكـرا تقليـديا يعتمـد علـي النقـل والاقتباس، فهو ينطوي علي جوانب إبداعية متعددة، فعند تفسيره للمعرفة كإحدي قضايا فلـسفة التربية وضع لنا نظرية الهدايات الأربع[1]،وعند معالجته لقضية الإدراك الحـسي أشـار إلـي القوانين الأساسية التي تحكمه كقوانين الانتظام الدينمي والتشابه والتقارب، وكان له السبق فـي هذا المجال علي أصحاب نظرية الجشطلات، كما تحدث عن عامل الارتبـاط الـذي سـبق بـه أصحاب نظرية الارتباط الشرطي.... وعند تحليله للتفكير وضع لنا خطواته التـي سـبق بهـا

خطوات التفكير العلمي عند الفيلسوف الأمريكي "جون ديوي" فضلا عن أنه كان له السبق في المناداة بمبدأ التربية عن طريق العمل الذي ارتبط بأصحاب الفلسفة البرجماسية. [٢]

ج - العمق الفكري

فقد تميز الاستاذ الامام محمد عبده بعمق فكري من خلال تحليله لمختلف قضايا التربية ومرجع ذلك إلي ثقافته الواسعة في الدراسات الدينية والاجتماعية والفلسفية فضلا عن حرصه علي التزود بكل ما هو جديد من الثقافات الأجنبية.

د - النزاهة الفكرية

ونعني بها القدرة علي تخليص النفس من مثيراتها وأهوائها عند وضع الخطط واقتراح الحلول لعلاج المشكلات، فلم يكن سعي الأستاذ الامام في إصلاح المجتمع والارتقاء به عن طريق التربية من أجل الحصول علي منفعة شخصية أو إشباع نزوة فردية، وإنما كان يستهدف مصلحة المجتمع وزيادة كفاءته في التعامل مع تحديات عصره، وربما من أجل ذلك حاربته السياسة، فالسلطة السياسية رأت في هذا المصلح تحديا لها وتعريا لضحالتها، وكشفا للكسل العقلي بل والانغلاق الفكري الذي أصيبت به، فهو لم يكن علي وفاق مع السلطة السياسية، وهو في النهاية ليس من النماذج التي ترضي السلطة.

هـ - الارتباط بالواقع

فقد كان الفكر التربوي للأستاذ الامام نتاج تفاعله بواقع المجتمع الذي عاش فيه، بمعني أنه تأثر بهذا الواقع وأثر فيه، ولم يقع في الفراغ الكائن بين عالم الفكر وعالم العمل، فقد شارك في الحياة العامة بكل حيلته وحوله، وكانت أفكاره أمينة مع الواقع الاجتماعي، بعيدة عن التأمل والخيال، معبرة عن أماني المجتمع وتطلعاته، ساعية لرسم صورة مستقبلية لما ينبغي أن تكون عليه الوقائع والأحوال بهدف تمكين الانسان المصري من أن يتبوأ مكانة مرموقة في مسيرة البشر نحو الحياة.

و - الاعتدال والبعد عن الثورية

لقد تميزت أفكار الاستاذ الامام بالاعتدال والبعد عن الثورية في سعيه للإصلاح، فكأن لسان حالة يقول: لقد جربت الأمة الثورة فماذا وجدت؟.. لقد زادت الأمور سوءا وأصبحت الثورة لا تجدي في إصلاح مسيرة الأمة وأن هناك مجالات أخري كقضايا التربية لو نالت الاهتمام والرعاية الكاملة لحصلت الأمة علي استقلالها في النهاية.

ز- الاتزان الثقافي

فقد ارتكزت اتجاهات الثقافة عند الاستاذ الامام محمد عبده علي ثلاثة جوانب متوازنة، فقد اهتم بكل ما هو صالح من التراث الثقافي وأفاد منه، كما استفاد من كل ما هو نافع من الحضارة الغربية، واستلهم من هذين المصدرين أفكارا جديدة، فأعينه كانت علي ماضيه، وأعينه كانت علي عصره، وأعينه كانت علي ما يبدعه من وحي هذين المصدرين.

ح- الريادة في الحوار مع الآخر

فقد فتح الاستاذ الامام محمد عبده حوارا موضوعيا مع مفكري الربع الأخير من القرن التاسع عشر حتي أصبحت كتاباته ومراسلاته سجلا للحياة الفكرية في تلك الفترة، كما اعتمد علي الأدلة العقلية ولم يقف عند حدود الأدلة النقلية في ردوده علي دعاوي المستشرقين والمعنيين بدراسة الاسلام ومقارنة الأديان.

وإذا كان ما ذكرناه يمثل أهم سمات الفكر التربوي عند الأستاذ الامام محمد عبده، فإلي أي حد يساير فكره التربوي الاتجاهات التربوية المعاصرة؟

نستطيع أن نستخلص من خلال فصول الدراسة السابقة أهم ملامح الفكر التربوي للإمام محمد عبده والتي تتمشي مع الاتجاهات التربوية المعاصرة كما يلي:

١- التربية هي الحياة

إذا كانت التربية المعاصرة تنظر إلي التربية باعتبارها خبرة حية يكتسبها الانسان من خلال تفاعله مع البيئة التي يحيا فيها، فقد عبر الاستاذ الامام عن هذا المفهوم قائلا: "كل إنسان لا ينضج إلا من خلال تجارب الحياة وشدائدها، فالتجارب والشدائد تخلق الرجال وتصنع الأبطال".[٣]

٢- التربية عملية متكاملة

إذا كانت التربية المعاصرة تدعو إلي تربية الانسان تربية متكاملة فقد دعا الامام محمد عبده إلي أن تكون التربية عملية متكاملة، لأن نمو الانسان يتم بطريقة متكاملة من النواحي البدنية والعقلية والنفسية في آن واحد.[٤]

٣- التربية عملية فردية اجتماعية معا

فالتربية المعاصرة تؤكد علي أن التربية عملية فردية اجتماعية في آن واحد، بمعني أنها تنمي الفرد وتهيئه بصورة تجعل مصالحه تنسجم وتتفق مع مصلحة الجماعة.

وقد عبر الاستاذ الامام محمد عبده عن هذا الاتجاه حيث يري أن التربية "هـي عمليـة إعداد الفرد للمعيشة الصالحة في نفسه ومع الناس الذين يعيشون معه، فإذا تربي الانسان أحـب نفسه لأجل أن يحب غيره، وأحب غيره لأجل أن يحب نفسه". (٥)

٤-التربية هي عملية استثمار اقتصادي

أصبح ينظر إلي التربية في عالمنا المعاصر علي أنها استثمار اقتصادي يتمثل في إعداد القوة البشرية اللازمة لدفع عملية الانتاج، وقد أشار الأستاذ الامام محمد عبده إلي هذه الحقيقـة في أكثر من مقال، فهو يري أن الأمم لا تقدر ثروتها بما تملك من موارد طبيعية وإنما بما تملك من قوة بشرية "أليس من البين أنه لا دين إلا بدولة، ولا دولة إلا بصولة، ولا صولة إلا بقـوة، ولا قوة إلا بثروة، وليس للدولة تجارة وصناعة، إنما ثروتها أهلها، ولا تمكن ثروة الأهـالي إلا بنشر العلوم فيما بينهم حتي يتبينوا طرق الاكتساب، فإن ذلك الأمر قد خفي علي ذوي الألبـاب فضلا عن غيرهم". (٦)

٥-أهمية العلم وقيمته

يعد عصرنا الحالي هو عصر العلم والتكنولوجيا، وقد أشار الامام محمد عبده إلي أهمية العلم وقيمته، فالعلم هو الكشف عن الأمر الحقيقي، ومن شروطه أن يكون بالدليل، وأن تكون له غاية تتمثل في نفع الانسان، وأن تداوم العلوم علي مراجعة نظرياتها، والعلم عنـده لا يقتـصر مفهومه علي العلوم النظرية وحدها، بل يشمل العلوم التجريبية. (٧)

٦-تعقيل التربية

فالتربية المعاصرة تري أن إنسانية الانسان تتحقق باستخدام عقله، لأن العقل هو الـذي يضمن صعود الانسان في سلم النشوء والارتقاء، وقد أبرز محمد عبده قيمـة العقـل وأهميـة استخدامه في حياتنا، فهو يري أن العقل قوة مستقلة يتمتع بها الانسان، ولابد أن يصرفها فيمـا يعود عليه بالنفع، والدين الاسلامي يرتكز علي أصول عقلية، منها النظر العقلي عنـد تحـصيل الايمان، وتقديم العقل علي ظاهر الشرع عند التعارض بينهما. (٨)

٧-التعليم في اطار الذاتية الثقافية للمجتمع

فالتربية الحديثة تنظر إلي التعليم علي أنه وسيلة هامة للحفاظ علي ذاتية المجتمع وهويته الثقافية، وقد أكد الامام محمد عبده علي هذه الحقيقة حيث يري أن التعليم كي يكون عاملا مـن عوامل تحقيق الوحدة القومية، لابد أن يكون نابعا من ظروف المجتمع مرتبطا بحاجاته. (٩)

٨-التعليم في اطار التربية المستمرة

أصبحت التربية المستمرة مطلبا هاما من مطالب المجتمعات الحديثة وعبر محمد عبده عن هذه الحقيقة بقوله: "ينبغي أن يسعي الانسان إلي طلب العلم والمعرفة واستكناه الحقائق طوال حياته، وأكمل الناس علما الذين لا ينقطعون عن طلب العلم طوال حياتهم".[١٠]

٩-التربية ضرورة لارساء الديمقراطية السليمة

تحرر التربية الانسان من قيود العبودية والجهل. ولا يمكن أن تعمل الحرية والديمقراطية في ظل الأمية أو الفقر الثقافي، وقد أوضح الامام محمد عبده أن الديمقراطية والحياة النيابية لا يمكن ان تنتشر في المجتمع الجاهل، فالتربية والتثقيف هما السبيل لتكوين الرأي العام، ومتي تكون الرأي العام سهل الحصول علي الحياة النيابية والدستورية.[١١]

١٠-أهمية تعليم البنت

أوضح الامام محمد عبده أهمية تعليم البنت في تطوير المجتمع وتحقيق ارتقائه، وبين أن تعليم الفتاة أمر لازم حض عليه الدين، فالآيات القرآنية تشرك الرجل والمرأة في التكاليف الدينية والدنيوية، وعن طريق التعليم يتحقق للفتاة كمالها الخلقي وتتعرف علي حقوقها وواجباتها، وإذا كان نطاق تعليم علوم الدين لها هو نطاق محدود، فإن تعليمها لعلوم الدنيا آفاق بلا حدود، وطالب بتعليم الفتاة أحدث علوم العصر.[١٢]

١١-التأكيد علي الجانب العملي للمنهج

فقد أوصي الامام محمد عبده بضرورة التأكيد علي الجانب العملي لمنهج المدرسة الابتدائية بحيث تدرس المواد الدراسية من وجهها العملي الذي ينطبق علي معاملات الحياة مسايرا في ذلك الاتجاهات المعاصرة في التربية.[١٣]

١٢-استخدام الطرق الحديثة في التدريس

فقد أبرز الاستاذ الامام محمد عبده الأسس التي ينبغي أن يقوم عليها التدريس والتي ما نزال نفتقر إليها حتي الآن في مدارسنا، منها البعد عن الحفظ والتلقين، واستخدام الفهم والتفكير، وأن يكون التدريس قائما علي ايجابية التلميذ، وربط الدراسة النظرية بالتطبيق، والتدرج من السهل إلي الصعب، واستغلال البيئة والأحداث الجارية ومراعاة الفروق الفردية.[١٤]

١٣-أهمية تضمين مناهج الدراسة للتربية السياسية

فقد أطلق محمد عبده علي التربية السياسية اسم الأدب السياسي، وهو العلم بالمصلحة العمومية، والحدود الشخصية، فالانسان إذا رأي حدود إخوانه أقام لنفسه حدا لا يتخطاه.[١٥]

١٤- الاهتمام بالتربية الجمالية

فقد أكد الاستاذ الامام علي أهمية الفنون الجميلة في ترقية الذوق، وتهذيب الأحاسيس، وتربية النفس علي حب الجمال، وأنها لغة نفسية تفوق في تعبيراتها أدق المعاني الشعرية.(١٦)

١٥- تعميم التعليم وإلزامه

فقد دعا محمد عبده إلي نشر التعليم في عموم الأمة لما له من أثر في تحقيق الاصلاح الاجتماعي المنشود، وطالب بأن يتضمن قانون الحكومة الأساسي تعميم التعليم، ورأي أن تحقيق ذلك يتطلب توفير المجانية واسهام الأغنياء في إنشاء المدارس.(١٧)

١٦- التجديد في اللغة

يعتبر الامام محمد عبده رائد الاصلاح اللغوي، وقد بذل جهدا كبيرا في سبيل تطوير اللغة من حيث الشكل والمضمون بحيث تكون مسايرة للتطور.(١٨)

ويبقي في النهاية أن نشير إلي أمر ينبغي الالتفات إليه وهو أن الاستاذ الامام محمد عبده يحظي بتقدير العالم الغربي أكثر من تقديرنا له. إن محمد عبده الذي تعرف به مصر المحروسة خصوصا في دنيا الفكر والاستنارة حيث يقال عن مصر في الدوائر الأكاديمية الغربية أنها بلد الامام محمد عبده يحظي بتقدير كبير في العالم الغربي، ففي مكتبة جامعة السربون في باريس ركن كامل يضم كل ما ورد أو سرد للأستاذ الامام أو عنه من مؤلفات وكتابات ومساجلات وتعليقات وأطروحات علمية وبحثية، وهم ينظرون إليه في أوربا علي أنه عبقري لم يمهله عمره الانساني بمزيد من السنين، ولكن أفكاره بالقطع لم تمت، ولذلك يحرصون علي رصد ما تبقي منه (فكرا ومنهجا) ويرون أن مدرسته العقلية لا تقل في العمق والتأثير عن مدارس الكبار أمثال (سقراط وأرسطو).(١٩)

إن محمد عبده كما يقول المستشرق الفرنسي (جاك بيرك) يبقي منه روحه وطريقته في التفكير، ومآثره العقلانية وجرأته في قول الحق، واهتمامه بأسلوب التربية كأساس لاصلاح المجتمع، وهو أحد العباقرة الذين تجاوز تأثيرهم حدود الزمان والمكان.(٢٠)

وإذا شاءت الأقدار أن يكون العام الذي رحل فيه الأستاذ الامام محمد عبده سنة ١٩٠٥ هو ذات العام الذي ولد فيه فيلسوف الوجودية الفرنسي الشهير "جون بول سارتر" إلا أنه توجد مفارقة في تخليد ذكري الرجلين.

إن فرنسا نظرت إلي الاحتفال بالذكري المئوية لميلاد سارتر علي أنه مناسبة قومية حيث أقامت المكتبة الوطنية في باريس معرضا عن سارتر استمر لمدة ستة أشهر ضم مؤلفاته في طبعات أنيقة جنبا إلي جنب مع الأطروحات العلمية التي تناولت فكره نقدا وتمحيصا، كما احتفت الصحف الفرنسية بهذه الذكري، فقد أصدرت صحيفة (لوموند) ملفا ثقافيا عن سارتر بعد

أن سبقتها (لوفيجارو) بملف أدبي يحتفي بصاحب "الوجود والعدم" فضلا عـن احتفـال بـاقي الصحف الفرنسية بعام ٢٠٠٥ الذي يعرف بعام سارتر.(٢١)

وفي الوقت الذي احتفلت فيه فرنسا بالعيد المئوي لميلاد سارتر علي هذا النحـو أتـت الذكري المئوية لوفاة الاستاذ الامام محمد عبده واقتصر الأمر في الاحتفال بها في مصر علـي مبادرات شخصية أو فردية فليت شعري.. إن الأستاذ الإمام محمد عبده لا يقل شأنا عن سارتر إن لم يتفوق عليه، فقد أرسي دعائم مدرسة إصلاحية أساسها التربية ومنهجها إصـلاح شـئون المجتمع والارتقاء به وهي مدرسة نحن أحوج ما نكون إليها اليوم وغدا أكثر من أي شئ آخر، كما قام بخطوات عملية في اصلاح التعليم بالأزهر وإعلاء شأن العقل والاجتهاد، وتجديد اللغـة والاصلاح الديني.

تحية للأستاذ الإمام محمد عبده بتراثه الخالد، وفكره الصامد، ونظرته الثاقبـة، وآرائـه الموضوعية، إنه بحق امام المصلحين وقدوة رجال التربية والدين والشعلة التي انطفأت منذ مائة عام بعد أن أيقظت الضمائر وحركت الوجدان، وأعلت من قيمة التربية والعقل ورسخت معنـي الحرية.

هوامش الخاتمة

١- الفصل الخامس ص (١٣٣)

٢- الفصل الرابع ص-ص (١١٥- ١٢٠)

٣- الفصل الثاني ص (٥١)

٤- الفصل الثاني ص (٥١)

٥- الفصل الثاني ص (٥٠)

٦- الفصل الثاني ص (٥٥)

٧- الفصل الثاني ص (٦٣)

٨- الفصل الثاني ص-ص (٦٠- ٦١)

٩- الفصل الخامس ص -ص (١٨٤- ١٨٥)

١٠- الفصل الثاني ص (٥١)

١١- الفصل الثاني ص (٥٦)

١٢- الفصل السابع ص-ص (٢١٨- ٢٢٢)

١٣- الفصل السادس ص (١٧٩)

١٤- الفصل السادس ص -ص (١٩٢- ١٩٥)

١٥- الفصل السادس ص (١٨٤)

١٦- الفصل الخامس ص-ص (١٤٣- ١٤٦)

١٧- الفصل السابع ص -ص (٢١٥- ٢١٦)

١٨- الفصل الخامس ص- ص (١٥٢- ١٥٥)

١٩- سعيد اللاوندي، محمد عبده وسارتر، مقارنات احتفالية، الأهـرام ٢٠٠٥/٣/٢١، ص ١٠.

٢٠- جاك بيرك، محمد عبده (عبقري) تجاوز تأثيره حدود الزمان والمكـان، حـوار أجراه سعيد اللاوندي، الأهـرام ١٣/٥/ ٢٠٠٥، ص ٤٠.

٢١- سعيد اللاوندي، محمد عبده، وسارتر مقارنات احتفالية، مصدر سابق، ص ١٠.

المراجع

المراجع العربية:

١- إبراهيم بيومي مدكور، مجمع اللغة العربية في عيده الخمسين، القاهرة، ١٩٨١.

٢- إبراهيم عصمت مطاوع وواصف عزيز واصف، التربية العملية وأسس طـرق التـدريس، القاهرة، دار المعارف، سنة ١٩٨١.

٣- أبو الفتوح رضوان، تاريخ مطبعة بولاق ولمحة في تاريخ الطباعـة فـي بلـدان الـشرق الأوسط، القاهرة، المطبعة الأميرية، سنة ١٩٥٣.

٤- أبو الفتوح رضوان، جناية الاحتلال علي التعليم، مجلد الرائد،يوليو ١٩٥٦

٥- ابو بكر القاضي، الإمام محمد عبده ومدرسة الحداثة والتجديد،

Httm.//WWW Sudanese on Line, Com/ Article/ Oct 5- Shtml.

٦- اجلال خليفة، الحركة النسائية الحديثة، القاهرة، المطبعة العربية الحديثة، سنة ١٩٧٣.

٧- احمد أمين، زعماء الاصلاح في العصر الحديث، القاهرة، مكتبة النهضة المـصرية، سـنة ١٩٧٩.

٨- احمد حسين اللقاني، اتجاهات في تدريس التاريخ، القاهرة، عالم الكتب، سنة ١٩٧٩.

٩- أحمد حسين، الاصلاح الاجتماعي في مصر (الثقافة الاسلامية والحياة المعاصـرة) جمـع وتقديم محمد خاف ا ، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٧٣.

١٠- أحمد خيري كاظم، وسعد يسي زكي، تدريس العلوم، القـاهرة، دار النهـضة العربيـة، ١٩٩٢، المقدمة.

١١- احمد زكي صالح، علم النفس التربوي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة العاشرة، (د.ت).

١٢- احمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في عصر محمد علي، القاهرة، مكتبة النهضة، سنة ١٩٣٨.

١٣- أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في مصر، جـ٢، عـصر اسـماعيل والـسنوات المتصلة به من حكم توفيق (١٨٦٣- ١٨٨٢)، القاهرة، مطبعة النصر، ١٩٤٥.

١٤- احمد محمد خليفة، في المسألة الاجتماعية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٠.

١٥- أدموند ديمولان، سر تفوق الانجلو سكسون، "بالفرنسية" ترجمة احمـد فتحـي زغلـول، القاهرة، ١٩٢٢.

١٦- البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، ترجمة كريم عزقول، مطبعـة النهـار للنشر، بيروت، ١٩٦٨.
١٧- البهي الخولي، تذكرة الدعاة، بيروت، دار الفتح، سنة ١٩٦٣.
١٨- الجامع الأزهر، أعمال مجلس إدارة الأزهر من ابتداء تأسيسه سـنة ١٣١٢ حتـي سـنة ١٣٢٢، مصر، سنة ١٣٢٢.
١٩- الجمعية الخيرية الاسلامية في ثمانين عاما، القاهرة، دار العلوم للطباعة، ١٩٧٩.
٢٠- الجمعية الخيرية الاسلامية، دفاتر محاضر جلسات مجلس الادارة، جـ١، محضر جلـسة الاثنين ٨ ذي القعدة سنة ١٣١٠هـ.
٢١- الجهاز المركزي للتعبئة والاحصاء، دراسة احصائية عن واقع الـزواج والطـلاق فـي المجتمع المصري، ٢٠٠٤.
٢٢- اللواء في ١٩٠٤/١٠/٢٥، ١٩٠٥/١/٨.
٢٣- اللواء، العدد ٢١ في ١٩٠٠/١/٢٤.
٢٤- المجالس القومية المتخصصة، السياسة الثقافية، مبادئ ودراسات، القاهرة، المركز العربي للبحث والنشر،١٩٩٤.
٢٥- المجمع اللغوي، اعمال المجمع مرفوعة للملك فؤاد، دار الوثائق القومية بالقلعة، سجل رقم س/١٢/ ٤١ بتاريخ ١٧ مارس ١٩٢٢.
٢٦- المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المعتقدات الشعبية في المجتمع المـصري، دراسة ميدانية، القاهرة ٢٠٠٣.
٢٧- الوقائع المصرية العدد ١٣٣٨ في ١٩ فبراير سنة ١٨٨٢.
٢٨- الوقائع المصرية، العدد ١٣٥٢ في ٥ مارس سنة ١٨٨٢
٢٩- الوقائع المصرية، العدد ٩٣٢ في ١٣ اكتوبر سنة ١٨٨٠.
٣٠- الوقائع المصرية، العدد ٩٩٠ في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨٠.
٣١- الوقائع المصرية، كلمة الامام محمد عبده في احتفال جمعية المقاصد، العدد ١٣٣٤ في ١٥ فبراير سنة ١٨٨٢.
٣٢- أمين سامي، التعليم في مصر، القاهرة، مطبعة المعارف، سنة ١٩٧١.
٣٣- تدلنا الفهارس الموجودة في دار الكتب المصرية عن مؤلفي ومترجمي كتب التربية خلال هذه الفترة.

٣٤- تشارلز آدمز، الاسلام والتجديد في مصر، ترجمة عباس محمود، القاهرة، لجنة دائرة المعارف الاسلامية، ١٩٣٥.
٣٥- توفيق الطويل، الفكر الديني الاسلامي في العالم العربي إبان المائة عام الأخيرة، الفكر العربي في مائة سنة، بيروت، الجامعة الأمريكية، ١٩٦٦.
٣٦- جرجس سلامة، أثر الاحتلال البريطاني في التعليم القومي في مصر، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٦٦.
٣٧- جرجي زيدان، الهلال، الجزء التاسع من السنة الثانية في ١٥ فبراير سنة ١٩٠٠، تحت عنوان ما هو الاستقلال الحقيقي.
٣٨- جرجي زيدان، الهلال، أول أكتوبر سنة ١٩٠٣، تحت عنوان المدرسة الكلية السورية والمدرسة الكلية المصرية.
٣٩- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، جـ٤، القاهرة، دار الهلال (د.ت).
٤٠- جولد تسيهر، مذاهب التفسير الاسلامي، ترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة، مكتبة الخانجي، سنة ١٩٥٥.
٤١- جون ديوي، الخبرة والتربية، ترجمة محمد رفعت رمضان، نجيب اسكندر، محمد بدران، القاهرة، مكتبة الانجلو (د.ت).
٤٢- حامد عبد السلام زهران، علم نفس النمو، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٥.
٤٣- حسن العطار، حاشية العطار علي شرح الجلال المحلي علي جمع الجوامع، جـ١، القاهرة، المطبعة العلمية، سنة ١٣١٨.
٤٤- حسن الفقي، التاريخ الثقافي للتعليم في مصر، دار المعارف، سنة ١٩٧١.
٤٥- حسن حنفي، التراث والتجديد، القاهرة، المركز العربي للبحث والنشر، ١٩٨٠.
٤٦- حلمي المليجي، علم النفس المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٠.
٤٧- خليل صابات، الصحافة رسالة، استعداد، فن، علم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٩.
٤٨- راشد البراوي ومحمد حمزة عليش، التطور الاقتصادي في مصر في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٤.
٤٩- رفاعة رافع الطهطاوي، مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، القاهرة، مطبعة شركة الرغائب، سنة ١٩١٢.
٥٠- زكريا بيومي سليمان، التيارات السياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٣.
٥١- زكي نجيب محمود، من زاوية فلسفية، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٢.

٥٢- زينب محمد فريد، تعليم المرأة العربية في التراث وفي المجتمعات العربيـة المعاصـرة، القاهرة، مكتبة الانجلو، سنة ١٩٨٠.
٥٣- سامية حسن ابراهيم، الجامعة الأهلية بين النشأة والتطور، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٥.
٥٤- سعيد اسماعيل علي، قضايا التعليم في عهد الاحتلال، القاهرة، عالم الكتب، سنة ١٩٧٤.
٥٥- سليمان دنيا، الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٨٥.
٥٦- سمير حلبي، محمد عبده رائد الإصلاح في العصر الحديث.
Http:/ WWW, Islam on Line Net/ Arabic/ History/ 1422/ 07/ Article 29, Shimi.
٥٧- سيد خير ا ، سيكولوجية الانسان، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٣.
٥٨- شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧.
٥٩- صالح عبد العزيز وعبد العزيز عبد المجيد، التربية وطرق التدريس، جـ١، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الخامس عشر، (د.ت).
٦٠- صالح عبد العزيز، التربية وطرق التدريس، جـ٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١.
٦١- صالح عبد العزيز، التربية وطرق التدريس، جـ٣، القاهرة، ط٥، دار المعارف، ١٩٧٣.
٦٢- صحيفة الجريدة ٣٠ أبريل ١٩١١، نقلا من كتاب "من آثار مصطفي عبد الرازق، جـ١، دار المعارف، (د.ت).
٦٣- صحيفة الجريدة ٣ مايو ١٩١٤ نقلا من كتاب آثار مصطفي عبد الرازق، دار المعـارف، جـ٢، ١٩٤٦.
٦٤- صلاح الدين حمزة، الامام محمد عبده وآراؤه النقدية والبلاغية، مطبعة عابدين، القـاهرة، ١٩٨٤.
٦٥- عباس محمد العقاد، عبقري الإصلاح والتعليم الأستاذ الامام محمد عبده، أعلام العرب (١) مكتبة مصر، الفجالة، ١٩٦٢.
٦٦- عبد السميع البطل، مجلة منبر الإسلام، العدد ٨، السنة ٢٥، نوفمبر سنة ١٩٦٧.
٦٧- عبد العاطي محمد احمد، الفكر السياسي للامام محمد عبده، القـاهرة، الهيئـة المـصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨.
٦٨- عبد العزيز محمد الشناوي، الأزهر جامع وجامعة، جـ١، القاهرة، مكتبة الانجلو، سـنة ١٩٨٣.

٦٩- عبد العزيز محمد الشناوي، الأزهر جامع وجامعة، جـ٢، القاهرة، مكتبة الانجلو، سـنة ١٩٨٤.

٧٠- عبد العظيم رمضان، صراع الطبقات في مـصر (١٨٣٧/١٩٥٢)، بيـروت، المؤسـسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٨.

٧١- عبد الفتاح جلال، من الأصول التربوية في الاسلام، المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي، ١٩٧٧.

٧٢- عبد ا النديم، الاستاذ في ١٨٩٣/٢/١٤.

٧٣- عبد ا عبد الدايم، التربية عبر القرون، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٥.

٧٤- عبد ا محمود شحاته، منهج الامام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم، القاهرة، مكتبـة وهبة، سنة ١٩٦٣.

٧٥- عبد المتعال الصعيدي، تاريخ الاصلاح في الأزهر، القـاهرة، مطبعـة الاعتمـاد، سـنة ١٩٤٣.

٧٦- عبد المنعم الدسوقي الجميعي، مجمع اللغة العربية، دراسـة تاريخيـة، القـاهرة، الهيئـة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣.

٧٧- عبد المنعم شميس، محمد عبده، الجديد، العدد ٢٤٢ اول فبراير١٩٨٢.

٧٨- عبد المنعم شميس، محمد عبده، الجديد، العـدد ٢٤٥، فـي ١٥ مـارس ١٩٨٢، الهيئـة المصرية العامة للكتاب.

٧٩- عبد الهادي بن سداد بن عبد الحق رشاد، رسالة في بيان صفة التـدريس والتـأليف فـي الأزهر، مخطوط، الخزانة التيمورية، سنة ١٩٠٢.

٨٠- عثمان أمين، دروس للشباب في سيرة الأستاذ الامام محمد عبده، المجلس الأعلي للـشئون الاسلامية، عدد ٤٠، نوفمبر ١٩٦٤.

٨١- عثمان أمين، رائد الفكر المصري الامام محمد عبده، القاهرة، مكتبة الانجلو، ١٩٦٥.

٨٢- عثمان أمين، رائد الفكر المصري، نقلا عن جرمان مارتان مقـال فـي "مجلـة العـالم الاسلامي" (بالفرنسية) باريس، سنة ١٩١١، م ١٣.

٨٣- عثمان أمين، محمد عبده، القاهرة، لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية، سنة ١٩٤٤.

٨٤- عثمان توفيق، عبد الحميد يونس، الأزهر، القاهرة، دار الفكر العربي، سنة ١٩٤٦.

٨٥- علي الدين هلال، التجديد في الفكر العربي الحديث، القاهرة، معهـد الدراسـات العربيـة العالية، ١٩٧٥.

٨٦- عنتر محمد لطفي، الجهود الأهلية في التعليم المصري في الفترة من سنة ١٨٨٢ إلي سنة ١٩٢٢، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة عين شمس، سنة ١٩٧٩.
٨٧- غريب سيد أحمد، عبد الباسط محمد عبد المعطي، المنهج والقياس، جـ ١، الاسـكندرية، دار الكتب الجامعية، ١٩٧٤.
٨٨- فؤاد البهي السيد، النمو النفسي، القاهرة، دار الفكـ ـر العربي، ١٩٨٢.
٨٩- فؤاد سليمان قلادة وآخرون، الأهداف التربوية وتخطيط تدريس المناهج، الاسكندرية، دار المطبوعات الحديثة، ١٩٩٧.
٩٠- فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، القاهرة، دار الكاتب العربي، ١٩٦٩.
٩١- قدري قلعجي، ثلاثة من أعلام الحرية، دار الكاتب العربي، بيروت، (د.ت).
٩٢- قدري قلعجي، محمد عبده بطل الثورة الفكرية في الإسلام، أعـلام الحريـة، العـدد ١٢، بيروت، دار العلم للملايين (د.ت).
٩٣- لويس عوض، المؤثرات الأجنبية في الأدب العربي الحديث، جـ ١، القاهرة، دار المعرفة، سنة ١٩٦٦.
٩٤- لويس عوض، تاريخ الفكر المصري الحديث من عصر اسـماعيل إلـي ثـورة ١٩١٩، المبحث الأول، الخلفية التاريخية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠.
٩٥- مجاهد توفيق الجندي، قراءة أولي في وثائق مجهولة، أضواء جديدة علي أوراق من ملف الإمام محمد عبده، مجلة الأزهر، أكتوبر ٢٠٠٥، جـ ٢٩، السنة ٧٨.
٩٦- مجلة المقتطف، الجزء الثامن، ديسمبر ١٨٨٨، رواد النهضة الحديثة، مارون عبود.
٩٧- محمد إبراهيم الفيومي، محمد عبده والسياسة، مجلة الأزهر، اكتوبر ٢٠٠٥، جـ ٩، السنة ٧٨.
٩٨- محمد البهي، الفكر الاسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، القاهرة، مطبعة مخيمر، ١٩٥٧.
٩٩- محمد الهادي عفيفي، أصول التربية، في الأصول الفلسفية للتربية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩.
١٠٠- محمد الهادي عفيفي، التربية والتغير الثقافي، القاهرة، مكتبة الانجلو، ١٩٧٤.
١٠١- محمد الهادي عفيفي، في أصول التربية، الأصول الثقافيـة للتربيـة، القـاهرة، مكتبـة الانجلو، ١٩٧٦.
١٠٢- محمد خيري حربي، تطور التربية والتعليم في اقليم مصر في القرن العشرين، القاهرة، سنة ١٩٥٨.

١٠٣- محمد رجب البيومي، الأزهر بين السياسة وحرية الفكر، كتـاب الهـلال العـدد ٣٨٧، مارس سنة ١٩٨٣.
١٠٤- محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ ـ١، القـاهرة، مطبعـة المنار، ١٩٣١.
١٠٥- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ ـ٢، القـاهرة، مطبعـة المنار، ١٩٣١.
١٠٦- محمد رشيد رضا، تاريخ حياة الشيخ محمد عبده، المنار، المجلد الثامن، مصر، مطبعـة المنار، ١٩٠٥.
١٠٧- محمد عبد الجواد، حياة مجاور في الجامع الأحمدي، القـاهرة، دار المعـارف، سـنة ١٩٤٧.
١٠٨- محمد عبد الرحيم غنيمة، تاريخ الجامعات الاسلامية الكبري، القـاهرة، دار الطباعـة العربية، سنة ١٩٥٣.
١٠٩- محمد عبد ا دراز، دراسات اسلامية، الكويت، دار القلم، سنة ١٩٨١.
١١٠- محمد عبده، الاسلام والرد علي منتقديه، القاهرة، ١٩٢٨.
١١١- محمد عبده، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، ط١، الكتابات السياسية، جمعها وحققها وقدم لها محمد عمارة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢.
١١٢- محمد عبده، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، جـ٢، الكتابات الاجتماعية، حققها وقدم لها محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبقة الثانية، بيروت، ١٩٨٠.
١١٣- محمد عبده، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٣، الاصلاح الفكـري والتربـوي والالهيات، حققها وقدم لها محمد عمارة، الطبعة الأولـي، بيـروت، المؤسـسة العربيـة للدراسات والنشر، ١٩٧٢.
١١٤- محمد عبده، التربية في المدارس والمكاتب الأميرية، الوقائع المصرية، العدد ٩٥٧، في ١٨٨٠/١١/٢٩.
١١٥- محمد عبده، التمرن والاعتياد، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ٢، القـاهرة، مطبعة المنار، ١٩٣١.
١١٦- محمد عبده، الشوري والقانون في الوقائع المصرية، عدد ١١٤٢ في ١٩ يونيو ١٨٨١.
١١٧- محمد عبده، العلم وتأثيره في الإرادة والاختيار، تاريخ الأستاذ الشيخ محمد عبده لمحمد رشيد رضا، جـ٢، القاهر، مطبعة المنار، ١٩٣١.

١١٨- محمد عبده، الكتب العلمية وغيرها، الوقائع المصرية، العـدد ١١٠٩، فـي ١١ مـايو ١٨٨١.
١١٩- محمد عبده، المعارف، الوقائع المصرية، العدد ٩٩٠ في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨٠.
١٢٠- محمد عبده، المعارف، الوقائع المصرية، العدد ٩٩٣ في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨٠.
١٢١- محمد عبده، المعارف، الوقائق المصرية، العدد ٩٩٧ في ٨ ديسمبر ١٨٨٠.
١٢٢- محمد عبده، تعليقات الاستاذ الامام علي البصائر النصيرية لنصير الدين الطوسي، بدون ناشر، ١٨٩٨.
١٢٣- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٤، حققها وقدم لها محمد عمارة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠.
١٢٤- محمد عبده، تفسير القرآن الكريم، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٥، بيـروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٣.
١٢٥- محمد عبده، تفسير المنار، جـ١، مطبعة الشعب، القاهرة، ١٩٥٤.
١٢٦- محمد عبده، تفسير سورة العصر وكتاب عام في التربية والتعليم، مصر، مطبعة النـار، ١٣٣٠، ١٩١١.
١٢٧- محمد عبده، تقديم نهج البلاغة، الأعمال الكاملة للامام محمد عبده، جـ٢، الكتابـات الاجتماعية حققها وقدم لها محمد عمارة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسـات والنـشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٠.
١٢٨- محمد عبده، خطاب الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في احتفال مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية بالمحلة، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، جـ١، القاهرة، مطبعة المنار، ١٩٣١.
١٢٩- محمد عبده، دروس في القرآن الكريم، كتاب الهلال (٩٦)، القاهرة، دار الهلال، مارس ١٩٥٩.
١٣٠- محمد عبده، رسالة التوحيد، تحقيق محمد ابو ريه، ط٥، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧.
١٣١- محمد عبده، شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، ط١، بيروت، ١٩٤٨.
١٣٢- محمد عبده، مذكرات الامام محمد عبده، كتاب الهلال، العدد ٢١، مطبعة الهلال، ابريل ١٩٦١.
١٣٣- محمد عبده، نظام مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية، القاهرة، مطبعـة المؤيـد، سـنة ١٩٠٢.
١٣٤- محمد علي العريان وآخرون، مفاهيم جديدة للتربية، الاسكندرية، مطبعة رويال، (د.ت).

١٣٥- محمد عمارة، الاسلام والمرأة في رأي الامام محمد عبده، كتاب الهلال، العــدد ٣٤٧، نوفمبر ١٩٧٩.

١٣٦- محمد عمارة، الامام محمد عبده، مشروع حضاري للاصلاح بالاسلام، مجلة الازهــر، اكتوبر ٢٠٠٥، الجزء التاسع، مجمع البحوث الاسلامية.

١٣٧- محمد فاضل الجمالي، تربية الانسان الجديد، تونس، مطبعة الاتحــاد العــام التونــسي، ١٩٧٧.

١٣٨- محمد فوزي عبد المقصود: التربية والتعليم عبر العصور،مطبعة جامعة القاهرة، فــرع الفيوم، ٢٠٠٢.

١٣٩- محمد فوزي عبد المقصود، الأصول الاجتماعية للتربية، مكتبــة دار العلــم، الفيــوم، ٢٠٠٤.

١٤٠- محمد فوزي عبد المقصود، التعليم بالمعاهد الأزهرية وأثره في تكوين بعض القيم لــدي التلاميذ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، سنة ١٩٨١.

١٤١- محمد لبيب النجيحي، الأسس الاجتماعية للتربية، القاهرة، مكتبة الانجلو، ١٩٧١.

١٤٢- محمد منير مرسي، أصول التربية الثقافية والفلسفية، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٩.

١٤٣- محمد يوسف نجم، العوامل الفعالة في تكوين الفكر العربي الحديث، الفكــر العربي في مائة عــام، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٦.

١٤٤- محمود سلامة محمود الهايشة، الامام المصلح محمد عبده، مائــة عــام علــي وفاتــه (انترنت)، الحوار المتمدن، العدد ٢٢١٩، ٢٠٠٥. Mahmoud Elhaisha @ Yahoo. Com.

١٤٥- مراد وهبة، مدخل إلي التنوير، دار العالم الثالث، مصر، ١٩٩٤.

١٤٦- مصطفي عبد الرازق، أثر المرأة في حياة الشيخ محمد عبده، مجلة الشباب، عــدد ١٧ فبراير سنة ١٩٢٦.

١٤٧- مصطفي عبد الرازق، محمد عبده، القاهرة، دار المعارف، سنة ١٩٤٥.

١٤٨- مصطفي فهمي، سيكولوجية التعلم، القاهرة، دار مصر للطباعــة، الطبعــة الخامــسة، ١٩٧٣.

١٤٩- مصطفي كمال حلمي، (مترجم)، أئمة في خطــر Nation At Risk تقريــر أمريكــي وضع عام ١٩٨٣ لعلاج أزمة التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية، مجلة اكتوبر، العدد ٣٥٨، ٤ سبتمبر ١٩٨٣.

١٥٠- معروف رزيق، كيف تلقي درسا، بيروت، دار الملايين، سنة ١٩٧٦.

١٥١- منير عطا ا سليمان وآخرون، تاريخ ونظام التعليم في جمهوريـة مـصر العربيـة، القاهرة، مكتبة الأنجلو، سنة ١٩٧٢م.

١٥٢- وزارة التربية والتعليم، القانون رقم ١٣٩، ١٩٨١.

١٥٣- يوسف القرضاوي، الايمان والحياة، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٧٥.

المراجع الاجنبية:

154- A.M. Brodley, How We Defended Arabic and His Friends, London, 1885.

155- Blunt , My Diaries, II , London.

156- Bramled, Theodore, "Ends And Means in Education", A Mid Century Appraisal , New York, Harper & Brothers, 1960.

157- Carr, Edward Hallet: The New Society , London, MacMillan & Co., 1981.

158- Charles Adams, Islam and Modernism in Egypt, London, 1933.

159- Houani, Albert, "Arabic Thought In the Liberal Age, 1798- 1939, 1967.

160- Inkles, "The Modernization, The Dynamic Of Growth" Voice of America Forume Lecture , 1976.

161- J- Dewy "Education and Social Change", in the Social Fronontier 3 May, 1937.

162- J. Wewy, "Education and Social Change in the Social Frontier 3 May, 1937.

163- John Dewey, My Pedgogic Creed: Chicago, 1897.

164- Mcclelland, D.C. "The Achieving Society", Princeton: NJ: Van Nostrand, 1971.

165- Shimahara N.Bi et al. "Social Reform", New York , David Mckay Co., Inc , 1985.

166- W.G. Smith, Islam In Modern History, New York, 1963.

167- Warren, R.S. "Social Change and Human Purpose Toward Understanding and Action", Chicago: Rand Mc Nally, 1987.